موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء الأربعون

أخلاق النبي وأهل بيته عليهم السلام

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام
لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

شبكة الفكر
alfeker.net

موسوعة
سيرة أهل البيت عليهم السلام

أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام

موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء الأربعون

أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

تأليف : باقر شريف القرشي

تحقيق : مهدي باقر القرشي

الناشر : .... دار المعروف ـ مؤسّسة الإمام الحسن عليه السلام

المطبعة : .... ستار

الطبعة الثانية : .... ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلّف

ردمك الدورة : ١ ـ ٤٢ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
ردمك الجزء (٤٠) : ٧ ـ ٨٢ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

عنوان الناشر : النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلّى الله عليه وآله

مكتبة الإمام الحسن عليه السلام ـ هاتف ٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠ ٠٠٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

الرَّحْمـٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

تقديم

١ ليست الأخلاق باطارها العامّ من ذاتيات الإنسان ومقوّمات حياته ، وإنّما هي مكتسبة من البيت والمدرسة والبيئة ، فإن كانت صالحة ومستقيمة في سلوكها وتهذيبها فإنّها تغرس في أعماق الإنسان ودخائل ذاته النزعات الشريفة ، والصفات الفاضلة . وإن كانت منحرفة وشاذّة في سلوكها ، فإنّها تطبع في نفسه الصفات الآثمة ، والنزعات الشريرة التي تهوي به إلى مستوى سحيق ، وقد أكّد علماء الاجتماع هذه الظاهرة ، فقالوا : إنّ الحياة الاجتماعيّة حياة تأثير وتأثّر ، فكلّ إنسان يتأثّر فيمن حوله ، وكذلك يؤثّر فيمن حوله .

إنّ الأخلاق بمفهومها العامّ التي اكتسبها الإنسان منذ أقدم عصوره تؤثّر بصورة إيجابيّة في سلوكه وسائر اتّجاهاته ، وتظلّ ملازمة له ـ على الأكثر ـ طوال حياته ، لا تفارقه ولا تنفصل عنه ، وقد قرّر علماء النفس والاجتماع على اكتساب الأخلاق ، وأنّها ليست ذاتيّة ، واستندوا في ذلك إلى عملية أُجريت على طفل عاش في غابة مع الحيوانات فتأثّر بطباعها وسلوكها ، فكان يمشي على أربع ، ويحكي طباعها ، ولمّا فصلوه عنها ظلّ ملازماً لعاداتها .

٢ إنّ الأخلاق الفاضلة أهمّ صفة يمتاز بها الإنسان ، وتكسبه وسام شرف في جميع أدوار حياته وبعد مماته ، وبها يبلغ أسمى مرتبة من الكمال التي يبلغها الإنسان . يقول بعض علماء الاجتماع : إنّ الأُمم في مرحلة البداوة كانت تفتخر بالقوّة البدنيّة ، فإذا ارتقت تفاضلت بالعلم ، فإذا بلغت غاية الارتقاء تفاضلت بالأخلاق .

إنّ الأخلاق الرفيعة هي أسمى مرحلة من رقيّ الإنسان وكماله ، كما أنّها الدعامة الأُولى في تقدّم الأُمم ، وتطوّر الشعوب . يقول الشاعر :

وَإِنَّما الأُمَمُ الأَخْلاقُ ما بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُم ذَهَبوا

وهذا الشعر صحيح ، وواقع لا جدال فيه ، فإنّ بقاء الأُمم ، واستمرار سيادتها إنّما هو ببقاء أخلاقها ، وأمّا انهيارها فإنّه بذهاب أخلاقها .

إنّ المجتمع الذي تنعدم فيه الأخلاق إنّما هو مجتمع ميّت ليس فيه عصب للحياة ، ولا بصيص من الوعي .

٣ إنّ التقدّم العلمي والتكنولوجي الذي أحرزته بعض الدول الغربيّة ليس هو تقدّماً حضاريّاً ينعم في ظلاله الإنسان ، وإنّما هو وسيلة لكبريائها وغطرستها وغزوها لبعض الشعوب الضعيفة ، وجعلها تحت مناطق نفوذها ، ومن الغريب أنّها تنادي بحقوق الإنسان ، وإشاعة الحريّات بين الشعوب .

ومن المؤكّد أنّها لو كانت تؤمن بذلك لوفّرت لشعوبها روح المحبّة والكرامة ، والتحرّر من الأنانيّة والاستغلال ، وحمتها من المخدّرات والشذوذ الجنسي ، وغيره من مآثم الحياة .

٤ ونظرة سريعة وخاطفة في بعض الأديان والمذاهب الاجتماعيّة فإنّا لا نجدها قد عرضت بصورة إيجابيّة ومتميّزة لتهذيب النفوس وصيانتها من النزعات الشرّيرة ، والصفات المرذولة ، فقد طويت فيها هذه الأُمور ، خصوصاً في المذاهب الاجتماعيّة من الرأسماليّة والشيوعيّة ، فلم تعن بأيّ جانب من الجوانب الأخلاقيّة ، وإنّما عنت بتنمية المادة وتوفيرها للفرد ، كما في النظام الرأسمالي ، أو للدولة كما في النظام الماركسي حتّى لو كان ذلك مبنيّاً على الظلم والغبن والاستغلال ، ولم تحفل بقضايا الروح وصفاء النفوس وطهارتها من الآثام ، ومن ثمّ فقد منيت بالفشل ، وانهار النظام الماركسي وأصبح من مهزلة العقل البشري .

٥ أمّا الإسلام ـ والحمد لله تعالى ـ فقد وضع برامجه لتهذيب الأخلاق ، واعتبر النبيّ ﷺ الأخلاق من أهمّ القيم التي تبنّتها رسالته الخالدة ، فقد أشاد بكلّ فضيلة يسمو بها الإنسان ، وأعلن الحرب بلا هوادة على كلّ نزعة شرّيرة ، وصفة فاسدة تفسد المجتمع ، وتؤدّي إلى الخراب وانهيار الأخلاق .

إنّ الأخلاق الفاضلة جزء من رسالة الإسلام ، وعنصر ذاتي من عناصر دعوته ، كما أعلن النبيّ ﷺ ذلك بقوله : « إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاق » .

إنّ مكارم الأخلاق هي التي تدعو إلى الترابط والمحبّة والتعاون وغيرها من المُثل الكريمة التي تستقيم بها الحياة ، ومن الجدير بالذكر أنّ الإسلام قد تبنّى العنصر الأخلاقي في نظامه الاقتصادي ، فحرّم الغبن والاستغلال والاحتكار وغيرها من الاُمور التي تؤدّي إلى شلّ الحركة الاقتصاديّة ، وإشاعة البؤس في البلاد .

٦ كان النبيّ ﷺ آية من آيات الله تعالى العظام في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيّين ، فقد غيّر بأخلاقه الكريمة مجرى تأريخ العالم ، وأحدث تحوّلاً اجتماعيّاً بالغ الأهمّية في الحياة الفكريّة والعقائديّة في ذلك المجتمع الذي كان غارقاً في الجهل والتخلّف ، والذي كان من انحطاطه عبادته للأصنام والأوثان ، وجهله بجميع شؤون الحياة ، والتي منها وأد البنات ، فقد شاع عنهم القول : « وأد البنات من المكرمات » ، ومضافاً لذلك الفقر السائد ، فقد نهش الجوع أجسامهم ، وعمد بعضهم إلى قتل أبنائه خشية من الاملاق .

لقد حرّرهم النبيّ ﷺ بأخلاقه الرفيعة من ذلك التخلّف والانحطاط ، وأقام لهم نظاماً اقتصاديّاً متطوّراً لا ظلّ فيه للفقر والحاجة .

٧ أمّا الأئمّة الهداة من عترة رسول الله ﷺ فهم مصابيح الإسلام ، ودعاة العدل الاجتماعي ، وهم امتداد لحياة جدّهم الرسول ﷺ في سموّ أخلاقهم ، وسائر مثلهم ، وهم من ألصق النّاس به ، وقد قرنهم ﷺ بمحكم التنزيل ، وجعلهم سفن

النجاة ، وأمن العباد ، وفرض الذِّكر الحكيم مودّتهم على جميع المسلمين ، وقد تسلّحوا سلام الله عليهم بأخلاق جدّهم الرسول ﷺ في هداية النّاس ، فهم أشبه المسلمين بهديه وسلوكه ومعالي أخلاقه ، وقد ذكر الرواة صوراً رائعة من سموّ أخلاقهم يهتدي بها الضالّ ، ويسترشد بها الحائر ، وهي من نفحات جدّهم ﷺ الذي فتح آفاق الفكر ، وأسّس معالم الحضارة في الأرض .

٨ ومن بين الأرصدة المشرقة لأخلاق أئمّة أهل البيت عليهم السلام أدعيتهم القيّمة التي حفلت بجميع معاني الانابة إلى الله تعالى ، وتركّزت بصورة خاصّة على مكارم الأخلاق ، ولنستمع إلى بند من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام المثل الأعلى لروحانيّة الإسلام ، قال عليه السلام : « وَسَدِّدْني لأَنْ أُعارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بِالْبِرِّ ، وَأُثيبَ مَنْ حَرَمَني بِالْبَذْلِ ، وَأُكافِيءَ مَنْ قَطَعَني بِالصِّلَةِ ، وَأُخالِفَ مَنِ اغْتابَني إِلىٰ حُسْنِ الذِّكْرِ وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ » .

أرأيتم هذه النفس الملائكيّة التي اتّصفت بكلّ فضيلة خلقها الله تعالى ، وتجرّدت من كلّ نزعة مادّيّة ، واتّجهت صوب الخالق العظيم ، فرسمت لعباده أروع صور الكمال والفضيلة .

٩ وبعد . . فإنّي أعرض في بحوث هذا الكتاب صوراً مشرقة من أخلاق النبيّ العظيم ﷺ ، الذي ملك بها القلوب والعواطف ، كما أعرض لنفحات شذيّة من أخلاق الأئمّة الطاهرين دعاة الاصلاح الاجتماعي في دنيا الإسلام ، وهي من مناجم الحكمة ، ومن ذخائر الأرصدة الروحيّة الهادفة إلى تهذيب الأخلاق ، وصيانة النفوس من دنس الأمراض النفسيّة ، آملاً من الله تعالى أن ينتفع بها إخواني المؤمنين ، خصوصاً أبنائي من أهل العلم أعزّهم الله تعالى ، وحماهم من كلّ سوء ، فإنّهم حماة الإسلام ، وشموع الفكر والهداية لهذه الأُمّة ، وعليهم في هذه الظروف الحسّاسة من تأريخ أُمّتنا أن يتفاعلوا مع النّاس بروح المودّة ، وينشروا القيم الأصيلة ، والمُثل العليا ،

وجواهر ما اثر عن أئمّة الهدى من الحِكم والآداب التي هي بلسم للنفوس المتعطّشة لهدي الإسلام .

◆ ١٠ وأعود للحديث ثانياً مع أبنائي من أهل العلم الذين هم أمل هذه الأُمّة ومصدر توجيهها في بناء حضارتها وإبراز قيمها ، فأقول لهم : إنّ الفلسفة الماديّة القائمة على إنكار الله تعالى قد فشلت وطويت وأُقبرت ؛ وذلك بما أبرزته السفن الفضائية من صور المجرّات التي لا تحصى ، وأنّ هذا الكوكب الذي نعيش عليه إنّما هو نقطة صغيرة جدّاً أمامها ، وهي جميعاً قائمة على أسمى مراتب النظام المذهل المستمدّ من خالق الكون وواهب الحياة . يقول الشاعر العربي :

لَوْ تَسلَّقْنا السَّمواتِ سَماءً فسَماء   وانْتَهيْنا حيثُ يَنْسَدُّ طَريقُ الانْتِهاء

لَوجَدْنا السِّرَّ مَكْتوباً وهو لا إله إلّا الله

ومن المؤكّد أنّه ليس هناك دين يضمن للإنسان سلامته وسعادته ويتّصل بالله تعالى سوى دين الإسلام القائم على الفكر والحقّ الذي اعتنقه أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وأبرزوا قيمه إلى النّاس ، فعلى أهل العلم إبرازه إلى النّاس مشفوعاً بسموّ الأخلاق ونكران الذات ، والله تعالى وليّ التوفيق .

مكتبة الإمام الحسن العامة

النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

الأَخلاقُ النَّبَوِيَّة

نحن أمام نفحات شذيّة من أخلاق النبيّ ﷺ تنير القلوب ، وتهذّب العواطف ، وتملأ النفوس رضا وطمأنينة ، إنّها النور الذي امتدّت موجاته في هذا الشرق ، ثمّ أضاءت في جميع رحاب الكون ، وهي تحمل صوراً مشرقة للحياة القائمة على الفضيلة وسموّ الذات ، وسلامة الفكر ، وسعادة الإنسان ، وقبل التحدّث عنها نعرض لبعض ما أُثر عن النبيّ ﷺ من الأخبار التي حثّ فيها على التحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات :

مكارم الأخلاق

دعا النبيّ ﷺ المسلمين إلى التزيّن بمكارم الأخلاق التي هي الركيزة الأُولى في إقامة المجتمع الإسلامي ، وهذه بعض أحاديثه :

١ ـ قال ﷺ : « **إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النّاسَ بِأَمْوالِكُمْ ، فَسَعوهُم بِأَخْلاقِكُمْ** »[١] .

إنّ الأخلاق الكريمة هي التي توحّد ما بين المشاعر والعواطف ، وتشيع المحبّة والمودّة بين النّاس ، وهي أكثر تأثيراً ، وأعظم أثراً من بذل المال الذي هو شرايين الحياة .

---

(١) أمالي الصدوق : ٢٦٨ .

٢ ـ قال ﷺ : «**أَفاضِلُكُم أَحْسَنُكُم أَخْلاقاً ، المُوَطِّئونَ أَكْنافاً ، الّذينَ يأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ، وَتُوطَأُ رِحالُهُم**»(١).

إنّ أسمى النّاس منزلة ، وأعظمهم مكانة هم المتّصفون بالأخلاق الكريمة ، الذين يألفون النّاس ويؤلفون فيما بينهم ، ويوطأ المحتاجون رحالهم .

٣ ـ قال ﷺ : «**إنَّ صاحِبَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الْقائِمِ . . .**»(٢).

إنّ الله تعالى أعدّ الأجر الجزيل لمن اتّصف بحسن الأخلاق ، فله أجر الصائم والقائم في عبادة الله تعالى .

٤ ـ قال ﷺ : «**عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ في الْجَنَّةِ لا مَحالَةَ**»(٣).

إنّ الله تعالى أعدّ الفردوس الأعلى لذوي الأخلاق الكريمة ، الذين هم من أفاضل المجتمع وذخائره .

٥ ـ قال ﷺ لوصيّه وباب مدينة علمه ، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «**يا عَلِيُّ ، أَلا أُخبِرُكُمْ بِأَشْبَهِكُمْ بِي خُلُقاً ؟**».

قال : «**بَلىٰ يا رَسُولَ اللهِ**».

قال : «**أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً ، وَأَعْظَمُكُمْ حِلْماً ، وَأَبَرُّكُمْ بِقَرابَتِهِ ، وَأَشَدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ إِنْصافاً . . .**»(٤).

إنّ حسن الخلق من أسمى الصفات ، ومن اتّصف به وبالحلم فقد شابه النبيّ ﷺ.

٦ ـ من وصايا النبيّ ﷺ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، قال له : «**يا عَلِيُّ ، أَحْسِنْ**

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ١١٠.

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ١٠٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ١٠٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه : ٢ : ٣٤٠.

خُلُقَكَ مَعَ أَهْلِكَ وَجِيْرانِكَ وَمَنْ تُعاشِرُ، وَتُصاحِبُ مِنَ النّاسِ تُكْتَبُ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ في الدَّرَجاتِ الْعُلىٰ »[١].

إنّ حسن الأخلاق مع الأهل والجيران والأصحاب من أفضل الأعمال التي يكتسبها الإنسان في دنياه.

٧ ـ قال ﷺ: « **إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُحِبُّ مَكارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَيَبْغَضُ سَفاسِفَهَا** »[٢].

إنّ الله تعالى يحبّ الأخلاق الكريمة، ويبغض الأخلاق السيّئة التي تشيع الكراهية والبغضاء بين النّاس.

٨ ـ قال ﷺ في وصيّته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: « **يا عَلِيُّ، ثَلَاثٌ مِنْ مَكارِمِ الْأَخْلَاقِ: تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ** »[٣].

إنّ هذه الخصال الكريمة من أُمّهات الأخلاق، ومحاسن الصفات.

هذه بعض الأخبار التي حثّ النبيّ ﷺ أُمّته على التحلّي بالأخلاق الكريمة، والصفات الفاضلة؛ ليكونوا قدوة لأُمم العالم وشعوب الأرض.

مساوئ الأخلاق

حذّر النبيّ ﷺ المسلمين من الأخلاق السيّئة التي تقطع الصلة بين المسلمين، وتشيع الكراهية والعداء فيما بينهم، وهذه بعضها:

١ ـ قال ﷺ: « **أَبَى اللهُ لِصاحِبِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ بِالتَّوْبَةِ** ».

فقيل له: كيف ذاك يا رسول الله؟

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤: ٦٧. تحف العقول: ١٤.

(٢) سفينة البحار: ١: ٤١١، مادة « خلق ».

(٣) الخصال: ١٢٥.

قال : «لِأَنَّهُ إذا انساب مِنْ ذَنْبٍ وَقَعَ في ذَنْبٍ»[١].

إنّ الأخلاق السيّئة تجرّ الإنسان إلى اقتراف الذنوب ، حتّى توردهُ إلى المهالك .

٢ ـ قال ﷺ : «إيّاكُمْ وَسُوْءَ الْخُلُقِ ، فَإِنَّ سُوْءَ الْخُلُقِ في النّارِ»[٢].

إنّ سوء الخُلق يردي صاحبه في المهالك ، ويلقيه في شرّ عظيم ، ويورده النّار .

٣ ـ قال ﷺ : «إِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَما يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»[٣].

إنّ سوء الخلق منقصة وانحطاط ، وقد حذّر منه النبيّ ﷺ لأنّه يفسد العمل .

٤ ـ قال ﷺ : «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَبْغَضُ الْمُعَبِّسَ في وُجُوْهِ إِخْوانِهِ»[٤].

إنّ العبس في وجوه الاخوان من الصفات الذميمة التي تبعد بين المسلمين ، وتشيع الكراهية والبغضاء فيما بينهم ... هذا نزر يسير من الأخبار التي أُثرت عن النبيّ ﷺ في ذمّ الأخلاق السيّئة .

مكارم الأخلاق

أمّا مكارم أخلاق النبيّ ﷺ فقد استوعبت بفخر جميع لغات الأرض ، وتحدّث النّاس عنها باعتزاز ، وله في مدح الله تعالى له بها غنى عن وصف الواصفين . قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥] ، وهذه شذرات منها :

---

(١) بحار الأنوار : ٧٤ : ٨.

(٢) بحار الأنوار : ٧٤ : ٤٨.

(٣) كنز العمّال : ٣ : ٤٤٣.

(٤) كنز العمّال : ٣ : ٤٤١.

(٥) القلم ٦٨ : ٤.

١ ـ نكران الذات

من معالي أخلاق النبيّ ﷺ نكران الذات ، فقد تنكّر لكلّ مظهر من مظاهر العظمة ، ولم يكن ذلك نظريّة له ، وإنّما هو واقع عملي طبّقه على واقع حياته ، وقد روى المؤرّخون من ذلك بوادر كثيرة كان منها :

١ ـ وفد عليه شخص فأخذته هيبة النبيّ فاختطف الرعب سحنات وجهه ، فنهره النبيّ ، وقال له :

« وَيْحَكَ ، إِنَّما أَنا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيْدَ »(١) .

أرأيتم هذا النكران للذات ، وعدم الاعتداد بالنفس ، والرفض لكلّ بادرة من بوادر العظمة والعلوّ على النّاس . إنّ العظمة والعبوديّة بجميع أبعادها إنّما هي لله تعالى خالق الكون ، وواهب الحياة ، فله وحده تعنو الوجوه لا لغيره .

٢ ـ نهى النبيّ ﷺ أصحابه أن يطروه ويعظّموه ؛ لأنّ فيه علوّاً وشموخاً عليهم ، فقال لهم : **« لَا تُطْرُوْني كَمَا أَطْرَتِ النَّصارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّما أَنا عَبْدُ اللهِ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ »**(٢) .

إنّ أهمّ الصفات التي كان يرغب أن تضفى عليه أنّه عبد الله تعالى ورسوله . لقد كره النبيّ ﷺ كراهية شديدة الأنانيّة والعظمة .

روى ابن عبّاس ، قال : مشيت خلف رسول الله ﷺ لأنظر هل يكره أن أمشي وراءه أو يحبّ ذلك ، قال : فالتمسني بيده وألحقني به حتّى مشيت بجانبه ، ثمّ تخلّفت مرّة ثانية ، فالتمسني بيده وألحقني به ، فعرفت أنّه يكره ذلك(٣) .

---

(١) تاريخ بغداد : ٦ : ٢٢ .

(٢) صحيح البخاري : ٤ : ١٤٢ .

(٣) تاريخ بغداد : ١٢ : ٩١ .

٣ ـ من معالي أخلاق النبيّ ﷺ ونكرانه للذات أنّه إذا دعاه عبد أجابه ، ولا يترفع عليه ، وأُثر عنه القول : **«لَوْ دَعاني عَبْدٌ إِلىٰ كُراعٍ لأَجَبْتُه . . .»**(١) .

٤ ـ ومن آيات أخلاقه أنّه كان إذا أُهدي إليه كراع قبله ، وأُثر عنه القول : **«لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُراعٌ لَقَلِبْتُ ، وَلَوْ دُعيتُ إِلَى ذِراعٍ لأَجَبْتُ»**(٢) .

إنّه لم يترفّع على أي أحد ، ويجيب مَن دعاه ولو على تناول ذراع من لحم شاة .

٥ ـ ومن سموّ أخلاقه أنّه كان يأنس بمجالسة الفقراء والضعفاء ، ويجلسهم إلى جانبه ، وكان ذلك آية من سموّ أخلاقه ونكرانه للذات .

وصف الإمام عليه السلام لأخلاق النبيّ ﷺ

وتحدّث الإمام أمير المؤمنين عن معالي أخلاق النبيّ ﷺ بقوله :

«ما صافَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَداً قَطُّ في حاجَةٍ أَوْ حَديثٍ فانْصَرَفَ حَتّىٰ يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْصَرِفُ ، وَما نازَعَهُ الْحَديثَ أَحَدٌ حَتّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذي يَسْكُتُ ، وَما رُئِيَ مُقَدِّماً رِجْلَهُ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيْسٍ لَهُ قَطُّ ، وَلا عَرَضَ لَهُ أَمْرانِ إِلَّا أَخَذَ بِأَشَدِّهِما ، وَما انْتَصَرَ لِنَفْسِهِ مِنْ مَظْلَمَةٍ حَتّىٰ تُنْتَهَكَ مَحارِمُ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ ، وَما أَكَلَ قَطُّ مُتَّكِئاً حَتّىٰ فارَقَ الدُّنْيا ، وَما سُئِلَ شَيْئاً قَطُّ فَقالَ : لا ، وَما رَدَّ سائِلَهُ حاجَةً إِلَّا بِها ، أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ . . .»(٣) .

٢ ـ الحلم

من صفات النبيّ ﷺ الحلم ، فكان من أحلم النّاس ، فلا يغضب على مَن أساء

---

(١) بحار الأنوار : ١٦ : ٢٧٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٨ : ١٢٢ .

(٣) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد ﷺ : ١ : ٨٥ .

إليه ، إلّا إذا انتهكت حرمات الله تعالى ، فإنّه يقابل ذلك بعنف ، ومن آيات حلمه أنّ ذا الخويصرة ، وهو من الجفاة الذين ملئت نفوسهم بالحرص والجهل ، جاء إلى النبيّ ﷺ وهو يقسّم الأموال ، فقال له :

يا رسول الله ، اعدل . . .

فأجابه النبيّ ﷺ : **« وَيْحَك ، فَمَنْ يَعْدِلُ إذا لَمْ أَعْدِلْ . . . لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إن لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ . . . »**[١] .

ولم يقابله النبيّ ﷺ إلّا بالعفو والإحسان ، وأعطى بذلك مثلاً لأصحابه ليقتدوا بسيرته .

ومن آيات حلمه أنّه عفى عن ألدّ أعدائه ، وهم قريش الذين قابلوه بالحرب والاعتداء عليه وعلى من آمن به ، وشنّوا عليه الحرب بلا هوادة ، ولمّا خرج من مكّة قادوا الجيوش للقضاء عليه ، وإطفاء نور الإسلام .

ولمّا فتح الله تعالى له الفتح المبين ، واحتلّ مكّة ، وقد أيقن أهلها بالانتقام منهم إلّا أنّه عفا عنهم وقال لهم : **« اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ »** ، وكان ذلك آية من آيات نبله ، وسموّ أخلاقه ، فلم يقابلهم بالمثل .

٣ ـ الإعراض عن الجاهلين

من معالي أخلاق النبيّ ﷺ الاعراض عن الجاهلين ، فقد أدّبه الله تعالى بهذا الخُلق الرفيع . قال تعالى : **﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْـجَاهِلِينَ ﴾**[٢] ، فكان يجادلهم بالتي هي أحسن ، ولا يثير عليهم أيّة عاطفة ، فإذا أصرّوا ولم يخضعوا للمنطق أعرض عنهم وتركهم يسبحون في ظلمات الجهل .

---

(١) كنز العمّال : ١١ : ٣٠٣.

(٢) الأعراف ٧: ١٩٩.

٤ ـ الوفاء

ومن معالي أخلاقه الوفاء ، فقد كان من أوفى النّاس لمن أحسن إليه ، ومن وفائه أنّه كان يذكر دوماً زوجته أمّ المؤمنين خديجة التي ما تركت لوناً من ألوان البرّ والإحسان إلّا قدّمته إليه ، فقد وقفت إلى جانبه أيّام محنة الإسلام وغربته ، وقدّمت جميع ما تملكه من الثراء العريض لخدمة الإسلام ، وقد شكر النبيّ ﷺ هذا الإحسان ، فكان يذكرها دوماً بمزيد من التبجيل والتعظيم بعد وفاتها ، وكان إذا ذبح شاة تخيّر أطيب ما فيها من لحم ، وبعثه إلى صديقات خديجة ، وقد شقّ ذلك على عائشة ، وضاقت منه ذرعاً ، فقالت له : يا رسول الله ، ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها ، فنهرها النبيّ ﷺ وقال مغضباً :

« مَا أَبْدَلَني اللهُ تَعَالىٰ خَيْراً مِنْها ، آمَنَتْ بِي حِيْنَما كَفَرَ بِيَ النّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمالِهَا حَيْنَمَا حَرَمَني النّاسُ ، وَرُزِقْتُ مِنْها الْوَلَدُ ـ وَهِيَ سَيِّدَةُ نِساءِ الْعالَمِينَ فاطِمَةُ الزَّهْراءِ عليها السلام ـ وَلَمْ أُرْزَقْ مِنْ غَيْرِها » .

وقد زارته هالة أخت خديجة ؛ فلمّا سمع صوتها فرح ورحّب بها غاية الترحيب ، وراح يقول : **« هالَةُ أُخْتُ خَدِيْجَةَ »** ، وان هذا حقّاً غاية الوفاء .

ومن عظيم وفائه أنّه كان يبعث بالصلة والكسوة إلى إحدى مرضعاته ، ولمّا جيء بالسبي في واقعة حنين رأى أُخته من الرضاعة في سبايا هوازن ، فلمّا رآها عرفها ، فدعا بها ، فلمّا مثلت عنده بسط لها رداءه فجلست عليه ، وقال لها : **« إنْ أَحْبَبْتِ أَقَمْتِ عِنْدِي مُحَبَّبَةً مُكَرَّمَةً ، وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتِّعَكِ وَتَرْجِعي إِلىٰ قَوْمِكِ »** ، فاختارت الرجوع ، فمتّعها (١) .

لقد كان الوفاء جزءً من كيانه ، وذاتاً من ذاتيّاته ، ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة

---

(١) نهاية الارب : ١٨ : ٢٦٨ .

على أحبّائه وأصدقائه ، وإنّما كان وفيّاً بالعهد حتّى مع أعدائه إذا عاهدهم ، وكان لبعضهم إحسان عليه .

٥ ـ الصبر

أمّا الصبر فهو من الصفات البارزة في شخصيّة النبيّ ﷺ ، فقد تلقّى المحن والكوارث من قريش بالصبر ، فقد كذّبوه وحاربوه وحاربوا من آمن برسالته .

ولمّا فجع بولده الوحيد إبراهيم ، وقف على جثمانه وقال له : « **يا إِبْراهِيمُ ، تَدْمَعُ الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا ما يُرْضِي الرَّبَّ ، وَإِنّا بِكَ يا إِبْراهِيمُ لَمَحْزُوْنُونَ** » ، وواجه المصاب الأليم بصبر وثبات ، وتسليم لأمر الله تعالى .

ولمّا استشهد عمّه الشهيد حمزة حزن عليه وصبر على فادح المصيبة ، حيث مُثِّل به أقسى تمثيل ، وفي يوم أُحد انخذل النّاس عنه ، ولم يمكث معه إلّا أخوه وابن عمّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد أُصيب صلوات الله عليه بحجر فشجّه ، وكسرت رباعيّته ، وغمر الدم وجهه الشريف ، وصمد صابراً في المعركة حتّى تركه المشركون ، إلى غير ذلك من الأحداث القاسية التي ألمّت به ، وقد تسلّح بالصبر حتّى فتح له الله تعالى الفتح المبين ، ونصره على أعدائه وخصومه ، وأذلّ قريشاً التي ناجزته الحرب .

لقد صبر النبيّ على كلّ المحن التي ألمّت به . يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ وَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ ، فَقالَ : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾**[1] » .

لقد ربّاه الله تعالى بكلّ فضيلة ، وأمره أن يصبر على ما عاناه من البلاء من قومه .

---

(١) المزمّل ٧٣ : ١٠ .

قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[١].

٦ ـ الرحمة

ومن صفات الرسول ﷺ الرحمة والرأفة لجميع النّاس ، مؤمنين وكافرين ، وقد عمّت رحمته قريشاً الذين ما تركوا لوناً من ألوان الأذى والتنكيل إلّا قابلوه به ، ولمّا اشتدّوا في تعذيبه دعا لهم قائلاً: « اللّهُمَّ اهْدِ قَوْمي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ »[٢].

وتحدّث عن نفسه وما يحمله في طيّاتها من الرحمة قائلاً:

« إِنَّما أَنا رَحْمَةٌ مُهْداةٌ » .

نعم ، إنّه فيض من رحمة الله تعالى لعباده ، فلم يقابل أي شخص أساء إليه بسوء ، وإنّما يقابله بالإحسان لينزع عن نفسه نزعات البغي والشرّ ، وقد سخر منه بعض زعماء العرب حينما رآه يوسع الإمام الحسين عليه السلام تقبيلاً وهو طفل ، فسأله عن علاقته به ، فأخبره أنّه سبطه ، فأنكر ذلك وقال : يا رسول الله ، عندي عشرة أطفال من أبنائي ما قبّلت منهم واحداً ، فقال النبيّ ﷺ : « وَما عَلَيَّ مِنْكَ إِنْ نَزَعَ اللهُ تَعالَى الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ » .

وكان من رحمته بسبطيه أنّ أحدهما اعتلاه وهو في أثناء سجوده ، فأطال السجود ، فسأله المصلّون من خلفه عن إطالة سجوده ، فقال لهم : « إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَني وَكَرِهْتُ أَنْ أُزْعِجَهُ » ، وكان من رحمته وشفقته على بضعته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء صلوات الله عليها أن جعل رضاها من رضاه ، وغضبها من غضبه ، وكان يجلّها ويعلن كرامتها وسموّ منزلتها عنده في بهو جامعه وعلى منبره ، وكان ذلك من آيات رحمته ، وقد عمّت حتّى الحيوانات ، فكانت عنده شاة وكان يطعمها

---

(١) لقمان ٣١ : ١٧.

(٢) السيرة النبويّة / زيني دحلان : ٢ : ٢٦٧.

بيده، وذلك لإرشاد المسلمين إلى الرفق بالحيوانات، لقد كانت الرحمة من ذاتيّاته لجميع النّاس، خصوصاً المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾(١).

لقد كان من حرصه وشفقته على قومه الذين كذّبوه وناجزوه الحرب وجهدوا على قتله أنّه لم يدعو عليهم، فهبط عليه جبرئيل وقال له: «إنّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد أمر ملك الجبال تأمره بما شئت فيهم، وهبط عليه ملك الجبال وعرفه امتثالاً لأمره، فقال ﷺ: «**أَرْجُوْ أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدِ اللهَ تَعَالىٰ، وَلَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً**»(٢).

أرأيتم هذه الرحمة التي لا حدود لها، وقد أعلنها الله تعالى في كتابه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(٣).

ومن رحمته وشفقته أنّه كان يؤتى بالصبي ليدعو له بالخير، أو يسمّيه، فيأخذه ويضعه في حجره، وربّما بال الصبي عليه، فيصيح بعض من رآه بأهله، فيقول النبيّ ﷺ: «**لا تَزْرِمُوا الصَّبِيَّ**»، ثمّ يفرغ لدعائه له، ويترك ذلك سروراً لأهل الصبي، ويقوم النبيّ فيغسل ثوبه وبدنه(٤).

وكان شديد الشفقة والرحمة لأهله وعياله. يقول أنس بن مالك خادمه: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ.

لقد كان النبيّ ﷺ مثالاً للرحمة والشفقة على جميع النّاس، من غير فرق بين أهله وغيرهم.

---

(١) التوبة ٩: ١٢٨.

(٢) شرح السنّة: ١٣: ٢١٤. الشفا بتعريف بأحوال المصطفى: ١: ٢٥٥. تفسير ابن كثير: ٣: ٢٥٩.

(٣) الأنبياء ٢١: ١٠٧.

(٤) بحار الأنوار: ٦٦: ٤٢٦.

٧ ـ التواضع

ومن معالي أخلاق المصطفى ﷺ التواضع، وقد روى المؤرّخون صوراً رائعة من تواضعه، كان منها:

١ ـ مارواه عدي بن حاتم، قال: دخلت على محمّد وهو في المسجد، فسلّمت عليه، فقال: «**مَنِ الرَّجُلُ ؟**». قلت: عدي بن حاتم، فقام فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف طويلاً، وهي تكلّمه في حاجتها، فقلت: والله ما هذا بملك، ثمّ مضى بي إلى بيته، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدّمها لي، وقال: «**اجْلِسْ عَلَيْها**»، فقلت: بل أنت اجلس عليها، فقال: «**بَلْ أَنْتَ**»، فجلست عليها، وجلس هو على الأرض، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك(١).

وكانت هذه طبيعته الابتعاد عن جميع مظاهر التكبّر على النّاس.

٢ ـ زار النبيّ ﷺ سعد بن عبادة، فلمّا انصرف عنه قدّم له سعد حماراً، وأمر ابنه قيساً بمصاحبته، فقال له النبيّ: «**ارْكَبْ مَعِيْ**»، فأبى قيس، فقال له النبيّ ﷺ: «**أمّا أَنْ تَرْكَبَ، وَأَمّا أَنْ تَنْصَرِفَ...**»(٢).

لقد كره النبيّ ﷺ أن يركب وقيس يمشي خلفه، فإنّ في ذلك إظهاراً للعظمة، وهو ينفر من ذلك.

٣ ـ وكان من تواضع النبيّ ﷺ أنّه خرج لبني النضير وقريظة وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف، عليه إكاف من ليف، وهذا غاية التواضع ونكران الذات. إنّ التواضع من أبرز خُلق الرسول ﷺ، وقد استطاع بهذا الخلق الرفيع أن يكهرب النفوس، ويستولي على مشاعر النّاس وعواطفهم.

---

(١) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد ﷺ: ٣: ٦٠٦.

(٢) السيرة النبويّة / زيني دحلان: ٢: ٢٧٧.

٨ ـ الزهد في الدنيا

من صفات النبيّ ﷺ الزهد في جميع متع الدنيا ، فقد آثر الفقر على الغنى ، والضيق على السعة .

وهذه بعض الروايات عن زهده :

١ ـ روت عائشة أنّ النبيّ ﷺ لم يمتلأ جوفه شبعاً قطّ ، ولم يبثّ شكوى إلى أحد ، وكانت الفاقة أحبّ إليه من الغنى ، وإن كان يظلّ جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع ، فلم يمنعه ذلك من صيام يومه ، ولو شاء سأل ربّه فآتاه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ، ولقد كنت رحيمة ممّا أرى به ، فامسح بيدي على بطنه ممّا أرى به من الجوع ، فأقول : نفسي لك الفداء ، لو تبلغت من الدنيا ممّا يقوتك ؟ فيقول :

« يا عائِشَةُ ، مَا لِيَ وَلِلدُّنْيا ؟ إخْواني أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلىٰ مَا أَشَدَّ مِنْ هٰذا ، فَمَضَوْا عَلىٰ حَالِهِم ، فَقَدِمُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مآبَهُمْ ، وَأَجْزَلَ ثَوابَهُمْ ، فَأَجِدُني اسْتَحْي إنْ تَرَفَّهْتُ في مَعِيْشَتي أَنْ يَقْصُرَ بي غَداً ، وَما مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إلَيَّ مِنَ اللحُوقِ بِإخْواني وَأَخِلّائي »[١] .

٢ ـ روى ابن عبّاس ، قال : كان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاءً »[٢] .

٣ ـ دخل رجل على النبيّ ﷺ فرآه جالساً على حصير قد أثّر في جسمه ، ووسادة من ليف أثّرت في خدّه ، فجعل الرجل يقول : ما رضى بهذا كسرى ولا قيصر ، إنّهم ينامون على الحرير والديباج ، وأنت على هذا الحصير ، فقال له

---

(١) أخلاق النبوّة : ٢٨٦ .

(٢) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد ﷺ : ١ : ٩٤ .

النبيّ ﷺ : « **ما أَنَا وَالدُّنيا ، إِنَّما مَثَلُها كَمَثَلِ راكِبٍ مَرَّ عَلىٰ شَجَرَةٍ ، وَلَها فَيْءٌ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَها ، فَلَمّا مالَ الظِّلُّ عَنْها ارْتَحَلَ وَتَرَكَها** »[١].

٤ ـ روت عائشة قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيّام تباعاً من خبز حتّى مضى لسبيله[٢].

٥ ـ روت عائشة ، قالت : كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً حشوه من ليف ، وقد توفّي صلوات الله عليه ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله ، وهو يدعو : « **اللّٰهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتاً** »[٣].

٦ ـ أهدى رجل من الأنصار إلى النبيّ ﷺ صاعاً من رطب قد حملته جاريته ، فقال لها النبيّ ﷺ : « **انْظُرِي هَلْ تَجِد في الْبَيْتِ قِصْعَةً أَوْ طَبَقاً فَتَأْتِيْني بِهِ** » ؛ وذلك ليضع فيه الرطب ، فذهبت فلم تجد فيه شيئاً ، فأخبرت النبيّ بذلك ، فكنس موضعاً بثوبه ، وأمرها أن تضع الرطب فيه ، وقال :

« **وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لَوْ كانَتِ الدُّنْيا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ جَناحَ بَعُوضَةٍ ما أُعْطِيَ مِنْها الْكافِرُ وَالْمُنافِقُ شَيْئاً** »[٤].

هذه نبذ يسيرة من زهد النبيّ ﷺ في الدنيا ، فلم يحتو بيته على أي شيء من أثاث البيوت ، وإنّما كان خالياً منها ، وقد اقتدى به وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، الذي طلّق الدنيا ثلاثاً حتّى وافاه الأجل ، ولم يخلّف من حطام الدنيا صفراء ولا بيضاء ، وكان همّه في أيّام حكومته إقامة العدل ، ونشر الرفاهية والخير بين المسلمين.

---

(١) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد ﷺ : ١ : ٩٤.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ١ : ١٤٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل : ٢ : ٤٤٦. سنن ابن ماجة : ٢ : ٣٨٧. فتح الباري : ١١ : ١٣٦.

(٤) بحار الأنوار : ١٦ : ٤٥٦.

٩ ـ الحياء

من صفات النبيّ ﷺ الحياء. قال أبو سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها[١].

وكان من شدّة حيائه أنّه لمّا فتح مكّة التي كانت مركزاً للقوى المعادية له، ولمّا دخلها حفّت به قوّاته المسلّحة، وهو مطأطأ برأسه إلى الأرض حياءً وخجلاً من قريش التي جهدت على مناجزته، فخاطبهم بناعم القول: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ**».

وكان من حيائه أنّه لم يصرّح باسم مَن يكرهه، وإنّما يقول: «**ما بالُ أَقْوامٍ يَقُولُونَ أَوْ يَصْنَعُون كَذا...**»[٢].

وكان يقول: «**إنَّ اللهَ تَعالىٰ إذا أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْداً نَزَعَ مِنْهُ الْحَياءَ، فَإِذا نَزَعَ مِنْهُ الْحَياءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقيتاً مُمْقِتاً، فَإِذا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقيتاً مُمْقِتاً نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمانَةُ، وَإِذا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مُخَوَّناً نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِذا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجيماً مُلَعَّناً نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الْإِسْلامِ**»[٣].

وقال ﷺ: «**الْحَياءُ وَالْإِيمانُ مَقْرُونانِ في قَرْنٍ واحِدٍ، فَإِذا سُلِبَ أَحَدُهُما تَبِعَهُ الْآخَرُ**»[٤].

وورث هذه الظاهرة سبطه الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام، وفيه يقول الفرزدق في رائعته:

---

(١) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد ﷺ: ١: ٩٨.

(٢) تاريخ الإسلام / الذهبي: ١: ٤٥٥.

(٣) سنن ابن ماجة: ٢: ٣٤٧. كنز العمّال: ٣: ١١٩.

(٤) معاني الأخبار: ٤١٠.

يُغْضي حَياءً وَيُغْضىٰ مِنْ مَهابَتِهِ فَـما يُكَـلَّمُ إلَّا حـينَ يَـبْتَسِمُ

إنّ الحياء من أنبل الصفات ، وهو ينمّ عن سموّ الذات ، وشرف النفس ، وهو من الصفات الأصيلة لسيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله .

١٠ ـ الجود والسخاء

كان النبيّ صلى الله عليه وآله من أندى النّاس كفّاً ، وأكثرهم برّاً ، وقد ذكر الرواة بوادر كثيرة من برّه وإحسانه ، كان منها :

١ ـ أُتي بمال من البحرين ، فقال لأصحابه : «**انْثُرُوهُ**» ، فنثروه ، وكان أكثر مال أُتي به إليه ، فخرج إلى المسجد ، فلمّا قضى الصلاة وزّعه على أصحابه ، ولم يبقِ لنفسه منه شيئاً(١) .

٢ ـ أهدت امرأة إليه بردة ، وكان محتاجاً لها ، فلبسها ، فرآها رجل من أصحابه ، فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذه ؟ فقال : «**نَعَمْ**» ، ونزعها وأعطاها له(٢) .

٣ ـ سأل رجل النبيّ صلى الله عليه وآله فأعطاه غنماً سدّت ما بين جبلين ، فرجع إلى بلده مسروراً قد غمرته مبرّة النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال لقومه : اسلموا ، فإنّ محمّداً يعطي عطاء مَن لا يخشى الفاقة(٣) .

٤ ـ ردّ على هوازن سباياها ، وقد بلغت ستّة آلاف(٤) .

٥ ـ ومن جوده وبرّه أنّه لمّا رجع من حنين جاءت إليه الأعراب يسألونه أن يسعفهم من كرمه ، وقد اضطرّوه إلى شجرة وخطفوا رداءه ، فقال لهم : «**أَعْطُوني رِدائي ، لَوْ كانَ لي عَدَدَ هٰذِهِ الْعِضاهِ نِعَماً لَقَسَّمْتُها بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لا تَجِدُوْني بَخِيلاً ،**

---

(١) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله : ١ : ٩١.

(٢) محمّد المثل الكامل : ٢٦.

(٣) و (٤) جواهر البحار في فضائل المختار : ١ : ٤١.

وَلا كَذّاباً ، وَلا جَباناً »[١] .

إنّ النبيّ ﷺ لم يقتصر في معروفه على البؤساء ، وإنّما شمل الجميع ، ووصف الإمام أمير المؤمنين جوده وسخائه وباقي صفاته بقوله : «**كانَ أَجْوَدَ النّاسِ كَفّاً ، وَأَشْرَحَهُمْ صَدْراً ، وَأَصْدَقَ النّاسِ لَهْجَةً ، وَأَلْيَنَهُمْ عَريكَةً ...**»[٢] .

يقول شوقي في جوده :

وَالبِرُّ عِنْدَكَ ذِمَّةٌ وَفَريضَةٌ ⁂ لَا ذِمَّةٌ مَمنونَةٌ وَحِبـاءُ

وكان بنفسه يتولّى البرّ للفقراء ، ولا يوكّل أحداً بذلك تقول عائشة : ما رأيت رسول الله ﷺ يكل صدقاته إلى غير نفسه حتّى يكون هو الذي يضعها في يد السائل[٣] .

لقد كان النبيّ ﷺ من أجود النّاس ، وأبرّهم ، كما قال ابن عبّاس ، وقد ورث هذه الظاهرة الكريمة سبطه وريحانته الإمام الحسن عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة ، فكان لا يعرف للمال قيمة ، سوى ما يردّ به جوع جائع ، أو يكسو به عارياً حتّى لقّب بكريم أهل البيت ، مع أنّهم معدن الكرم .

١١ ـ الإنابة إلى الله تعالى

من ذاتيات النبيّ ﷺ الإنابة إلى الله تعالى ، والخوف الشديد منه . يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **ما كانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَظَلَّ خائِفاً جائِعاً في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** »[٤] .

روى ابن عمر ، قال : إنّا كنّا نعدّ في مجلس رسول الله ﷺ يقول مائة مرّة :

---

(١) محمّد المثل الكامل : ٢٥ .

(٢) و (٣) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد ﷺ : ١ : ٩١ .

(٤) روضة الكافي : ٦٣ .

« رَبِّ اغْفِرْ لِيْ إِنَّكَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ »[١].

لقد أناب إلى الله تعالى ، وأرهق نفسه إرهاقاً شديداً في عبادته حتّى نزل عليه الوحي بهذه الآية : ﴿ **طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ** ﴾[٢] ، وقد فاق جميع الأنبياء بكثرة عبادته .

يقول الرواة : إنّه كان دوماً يلهج بذكر الله تعالى ، فإذا أصبح قال : « **الْحَمْدُ لِلّٰهِ كَثِيراً عَلَىٰ كُلِّ حالٍ** » يردّد ذلك ثلاثمائة وستّين مرّة ، وإذا أمسى قال مثل ذلك[٣] .

وكان يقول : « **خَيْرُ الْعِبادَةِ قَوْلِ : لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ** »[٤] .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كانَ لَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَإِنْ خَفَّ حَتّىٰ يَسْتَغْفِرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَمْساً وَعِشْرِينَ مَرَّةً** »[٥] .

وكان في كلّ يوم يستغفر الله عزّ وجلّ سبعين مرّة ، ويضيف إلى الاستغفار : « **وَأَتُوبُ إِلَيْهِ** »[٦] .

وروى ابن مسعود ، قال : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله من سورة النساء ، فلمّا بلغت هذه الآية : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ شَهِيداً** ﴾[٧] ، ففاضت عيناه من الدموع[٨] .

لقد تعلّق النبيّ صلى الله عليه وآله بالله ، وتفاعل حبّه بمشاعره وعواطفه ، وهو ناجم عن معرفته

---

(١) روضة الكافي : ٦٣.

(٢) طه ٢٠ : ١ و ٢.

(٣) أُصول الكافي : ٢ : ٤٨٩.

(٤) أُصول الكافي : ٢ : ٥٠٦.

(٥) أُصول الكافي : ٢ : ٥٠٤.

(٦) أُصول الكافي : ٢ : ٥٠٥.

(٧) النساء ٤ : ٤١.

(٨) مسند أحمد بن حنبل : ١ : ٣٧٤.

الكاملة بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة.

١٢ ـ الشجاعة

كان النبيّ ﷺ أشجع النّاس، وأقواهم شكيمة، وتحدّث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن شجاعة النبيّ ﷺ بقوله:

«إنّا كُنّا إذا اشْتَدَّ الْبَأْسُ، وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ، اتَّقَيْنا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَما يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدوِّ مِنْهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتَني يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِهِ، وَهُوَ أَقْرَبُ مِنّا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكانَ مِنْ أَشَدِّ النّاسِ بَأْساً»(١).

وروى العبّاس عن شجاعة النبيّ ﷺ بقوله: لمّا التقى المسلمون والكفّار يوم حنين ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته نحو الكفّار وأنا آخذٌ بلجامها، أكفّها أن لا تسرع...(٢).

ودلّ ذلك على استهانته بالقوى المكثّفة التي أحاطت بالمسلمين من جميع جهاتهم في واقعة حنين.

وقال عمر بن حصين: ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلّا كان أوّل مَن يضرب، ولمّا رآه أُبي بن خلف يوم أُحد جعل يقول: أين محمّد لا نجوت إن نجا، ولمّا شاهده شدّ عليه، فاعترضه رجال، فأمرهم النبيّ أن يخلّوا عنه، وتناول النبيّ حربة من الحارث فطعنه في عنقه طعنة كانت تهوي به عن فرسه، ثمّ انهزم، وقفل راجعاً إلى قريش، رافعاً عقيرته قائلاً: قتلني محمّد، وهم يقولون له: لا بأس بك، فقال: لو كان جميع النّاس لقتلهم محمّد، قد قال: أنا أقتلك، والله لو بصق

---

(١) جواهر البحار في فضائل النبيّ المختار: ١: ٤٣.

(٢) فتح الباري: ٨: ٢٨. صحيح البخاري: ٤: ٣٧. سنن أبي داود: ٣: ٥٠. مسند أبي عوانة: ٤: ٢٧٦.

عليَّ لقتلني ، ثمّ هلك بسرف[١] .[٢]

إنّ شجاعة الرسول ﷺ من البطولات النادرة في التاريخ .

وقد ورث هذه الشجاعة النادرة سبطه أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، فقد توسّط في ساحة الحرب وقد أحاطت به العصابات المجرمة من كلّ جانب ، فلم يحفل بها ، فإذا حمل عليها فرّت من بين يديه فرار المعزى إذا شدّ فيها الذئب ـ على حدّ تعبير الرواة ـ ولمّا سقط صريعاً في ميدان الشرف والكرامة خاف ذلك الجيش المنحطّ من الدنوّ منه وجبنوا .

يقول السيّد حيدر :

فَما أَجْلَتِ الحَرْبُ عَنْ مِثْلِهِ صَرِيعاً يُجَبِّنُ شُجْعانَها

١٣ ـ حبّ الفقراء

ومن معالي أخلاق النبيّ ﷺ حبّه العارم للفقراء ، فكان أباً ، وحصناً ، وملاذاً ، وكهفاً لهم ، وقد وجدوا في كنف مراعاته من البرّ ما لا يوصف ، وقد أُثرت عنه الكثير من الأخبار في الحثّ على الإحسان لهم ، وقد جعل لهم نصيباً مفروضاً في أموال الأغنياء ، فشرّع الزكاة لتنفق عليهم ، وكان يدعو الله تعالى أن يحشره في زمرتهم ، فقد روى أبو سعيد قائلاً : سمعت رسول الله ﷺ يدعو :

« اللّهُمَّ أَحْيني مِسْكيناً ، وَتَوَفَّني مِسْكيناً ، وَاحْشُرْني في زُمْرَةِ الْمَساكينِ ، وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِياءِ مَنْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيا وَعَذابُ الآخِرَةِ »[٣] .

وروى أنس : أنّ النبيّ ﷺ قال : **« اللّهُمَّ أَحْيني مِسْكيناً ، وَاحْشُرْني في زُمْرَةِ**

---

(١) **سرف** : موضع على ستّة أميال من مكّة . معجم البلدان : ٣ : ٢٣٩ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٢ : ٦٧ . الثقات / ابن حبّان : ١ : ٢٢٩ .

(٣) المستدرك على الصحيحين : ٢ : ٥٦ .

المَساكِينِ يَوْمَ الْقِيامَةِ »، فانبرت إليه عائشة قائلة: لِم يا رسول الله ؟

فقال لها:

« **إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً. يا عائِشَةُ، لَا تَرُدّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ. يا عائِشَةُ، أَحِبِّي الْمَساكِيْنَ، وَقَرِّبِيْهِمْ، فَإِنَّ اللهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ الْقِيامَةِ** »(١).

١٤ ـ العدل

أمّا العدل فهو من معالي أخلاق النبيّ ﷺ وسموّ ذاته، فقد فُطِر عليه، وهو من أهمّ بنود رسالته المشرقة الهادفة إلى نشر العدالة الاجتماعيّة بين النّاس، وقد قال له بعض جهلاء العرب:

اعدل يا محمّد.

فردّ عليه: « **وَيْحَكَ، فَمَنْ يَعْدِلُ إنْ لَمْ أَعْدِلْ... لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إذا لَمْ أَعْدِلْ...** »(٢).

وكان من عدله أنّه لا يأخذ أحداً بقَرَف أحد، ولا يصدّق أحداً على أحد، وقد نشر العدل بجميع رحابه وصنوفه بين النّاس، فلم يميّز أحداً على أحد، وساوى بين الجميع في الحقوق والواجبات، ولم يستثنِ منهم أي أحد، وأقام نظامه على أروع صور العدل الذي فيه حياة النّاس، وصيانة حقوقهم وأمنهم ورخائهم(٣).

١٥ ـ الأريحيّة

وظاهرة أُخرى من أخلاق النبيّ ﷺ الأريحيّة، وملاطفة النّاس، بما تطيب به

---

(١) صحيح الترمذي: ٢: ٥٦.

(٢) الشفا: ١: ٢٢٣.

(٣) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد ﷺ: ١: ١٠٦.

نفوسهم ، وهذه بعض البوادر التي أُثرت عنه :

١ ـ جاءه شخص وفيه بله ، فقال : يا رسول الله ، احملني ، فقال له : **« أَحْمِلُكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ »** ، فأنكر ذلك ، وقال له : ما عسى أن يغني عنّي ابن الناقة ؟ فأجابه الرسول ببسمات : **« هَلْ يَلِدُ الْجَمَلُ إِلَّا ابْنَ النَّاقَةِ »**[١] .

٢ ـ جاءته عجوز تطلب منه أن يدعو الله تعالى لها بالجنّة ، فقال لها : **« إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُها عَجُوزٌ »** ، فولّت باكية ، فقال ﷺ : **« أَخْبِرُوها أَنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُها عَجُوزٌ ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ : ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً ﴾[٢] »**[٣] .

٣ ـ كان خوّات بن جبير الأنصاري يجوب في أطناب البيوت قبل الإسلام فيزني بالنساء ، فإذا سئل عن شأنه يجيب أنّ له ناقة ضالّة يفتّش عنها ، وأسلم خوّات على يد النبيّ ﷺ ، وبعد فترة التقى بالنبيّ ، فسلّم عليه ، فقال له النبيّ مداعباً : **« ما فَعَلَ جَمَلُكَ الشَّرُودُ »** .

فأجابه خوّات بأدب : عقله الإسلام يا رسول الله[٤] .

٤ ـ أصبح النبيّ ﷺ متغيّر اللون ، فقال بعض أصحابه : لأضحكنّه ، وخفّ نحوه فقال له : بأبي أنت وأُمّي ، بلغني أنّ الدجّال يخرج والنّاس جياع فيدعوهم إلى الطعام ، أفترى إن أدركته أن أضرب في ثريده ، حتّى إذا تضلّعت آمنت بالله تعالى وكفرت به ، أم أتنزّه عن طعامه ؟ فضحك النبيّ ﷺ ، وكان ضحكه التبسّم ، وقال له : **« بَلْ يُغْنِيكَ اللهُ تَعالىٰ بِما يُغْني الْمُؤْمِنينَ »**[٥] .

---

(١) نثر الدرر : ٢ : ١٣٣ . المستطرف : ٢ : ٢٦٣ .

(٢) الواقعة ٥٦ : ٣٦ و ٣٧ .

(٣) محاضرات الراغب : ١ : ٢٨٢ .

(٤) نثر الدرر : ٢ : ١٣٢ . التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٣٦٢ .

(٥) نثر الدرر : ٢ : ١٣٢ .

وكثير من أمثال هذه البوادر ذكرت في سيرته ﷺ ، وهي تعطي أمثلة عن سموّ أخلاقه ، ومسايرته للنّاس بما يصلح شؤونهم ، ويقيم طباعهم .

هـذه صـور مـوجزة عـن مكـارم أخـلاق الرسـول ﷺ التـي مـلك بـها القـلوب والعواطف ، وغيّر طباع قومه التي كانت شبيهة بأخلاق الحيوانات .

أخلاق العترة الطاهرة عليهم السلام

من المؤكّد أنّ العترة الطاهرة التي أذهب الله تعالى عنها الرجس وطهّرها تطهيراً كانت تحكي طباع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكارم أخلاقه، وتشابهه بجميع صفاته، فهي صورة صادقة عنه، تحمل أفكاره وذاتيّاته، وقد ساهمت مساهمة إيجابيّة في نشر الأخلاق الإسلاميّة وإشاعتها بين النّاس، وهذا عرض لبعض ما أُثر عنهم من سموّ الأخلاق ومحاسن الصفات:

الإمام علي عليه السلام

أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو أخو النبيّ صلى الله عليه وآله ، وباب مدينة علمه ، وأبو سبطيه ، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى ، وقد غذّاه النبيّ بمكارم أخلاقه ، وسكب في نفسه مُثله وقيمه التي استوعب شذاها العالم بأسره ، وقد أقامه عَلماً وإماماً لأُمّته ؛ ليقيم أودها ، ويهديها للتي هي أقوم .

وكانت أخلاق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كأخلاق أخيه وابن عمّه الرسول صلى الله عليه وآله في إشراقها ونضارتها وسلامتها من الدوافع المادّية التي يؤول أمرها إلى الزوال .

إنّ مكارم الأخلاق كانت من أبرز صفات الإمام ، فدعا إليها ، وطبّقها على واقع حياته ، وهذا عرض لذلك :

مكارم الأخلاق

وتبنّى الإمام عليه السلام بصورة إيجابيّة الدعوة إلى التحلّي بمكارم الأخلاق التي يسمو بها الإنسان ، وقد حفل نهجه بالكثير من وصاياه بذلك ، كان منها :

١ - وصيّته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام

« يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَه لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا ، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ،

وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَاتَعْلَمُ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ . فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ ، وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ »(١) .

وضع الإمام هذه الفقرات عن محاسن الأخلاق التي يتحلّى بها الإنسان ، وهي :

١ ـ أن يجعل الإنسان نفسه ميزاناً فيما بينه وبين غيره ، فيحبّ له ما يحبّ لنفسه من الخير ، ويكره له ما يكره لها من الشرّ . ومن الطبيعي أنّ هذه الظاهرة الفذّة إذا سادت في المجتمع فإنّه يبلغ القمّة في كماله وتماسكه .

٢ ـ التحذير من ظلم الغير والاعتداء عليه ، فكما أنّ الإنسان يشجب من ظلمه ، كذلك عليه أن يحمل هذا الشعور مع غيره .

٣ ـ على الإنسان أن يحسن للغير كما يحبّ أن يُحسن إليه .

٤ ـ أن يستقبح الإنسان الأعمال السيّئة التي تصدر منه ، كما يستقبح صدورها من غيره ، كما عليه أن يرضى من النّاس ما يرضاه لنفسه .

٥ ـ ليس للإنسان أن يقول ويحكم بغير علم ، فإنّه يؤدّي ذلك إلى الأضرار البالغة له ولغيره .

٦ ـ نهى الإمام عليه‌السلام من إعجاب الإنسان بنفسه ، فإنّه من رذائل الصفات التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق .

٧ ـ حذّر الإمام عليه‌السلام من الإفراط في جمع الأموال ، فإنّه يجرّ له الويل والعطب ، خصوصاً إذا لم يؤدّ حقوق الله تعالى منها ، فإنّ الوزر يكون عليه ، والمهنأ بها غيره(٢) .

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٤٦ ، خطبة ٣٢ .

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام : ٥ : ٢٣ و ٢٤ .

٢ ـ وصيّته عليه السلام لولده الحسين عليه السلام

أوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولده الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام بالوصيّة التالية الحافلة بمكارم الأخلاق، والمستوعبة لجميع الفضائل التي يسمو بها الإنسان، وهذه بعض بنودها:

«يا بُنَيَّ! أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي الْغِنىٰ وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ في الرِّضىٰ وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنىٰ والْفَقْرِ، وَبِالْعَدْلِ عَلَى الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ، وَبِالْعَمَلِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالرِّضىٰ مِنَ اللهِ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ».

وحفلت هذه الكلمات بأُمور بالغة الأهميّة، وهي:

١ ـ الحثّ على تقوى الله تعالى، ولزوم طاعته في جميع الأحوال والأوقات، فإنّها من سبل السعادة والنجاة.

٢ ـ اتّباع الحقّ في جميع الأوقات والأحوال.

٣ ـ القصد في الغنى والفقر، وعدم الإسراف والتبذير في الحالين.

٤ ـ اتّباع العدل، سواء أكان مع الصديق أم مع العدوّ.

٥ ـ السعي في العمل وعدم الكسل.

٦ ـ الرضا بقضاء الله تعالى في الشدّة والرخاء.

ويواصل الامام عليه السلام وصيّته إلى ولده الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

«وَاعْلَمْ أَيْ بُنَيَّ! إِنَّهُ مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ. وَمَنْ رَضِيَ بِقَسْمِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلىٰ ما فاتَهُ. وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْي قُتِلَ بِهِ. وَمَنْ حَفَرَ بِئْراً لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهَا. وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْراتُ بَيْتِهِ. وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَعْظَمَ خَطِيئَةَ غَيْرِهِ. وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطَبَ. وَمَنِ

اقْتَحَمَ الْغَمَراتِ غَرِقَ » .

وحفل هذا المقطع بغرر الحكم التي تستقيم بها حياة الإنسان ، وتبعده عن المهالك ، وآثام الحياة ، وتفتح له الطريق ليعيش في أمن ورخاء وسلام بعيداً عن مشاكل الحياة . ومن فصول هذه الوصيّة قوله :

« وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ . ومَنْ اسْتَغْنىٰ بِعَقْلِهِ زَلَّ . وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ . وَمَنْ سَفِهَ عَلَيْهِمْ شُتِمَ . وَمَنْ دَخَلَ مَداخِلَ السَّوْءِ اتُّهِمَ . وَمَنْ خالَطَ الْأَنْذالَ حُقِّرَ . وَمَنْ جالَسَ الْعُلَماءَ وُقِّرَ »(١) .

أرأيتم هذه الحكم القيّمة التي هي من أروع البرامج للحياة الرفيعة التي تسودها الأخلاق الفاضلة ، والتي ترفع الإنسان إلى مدارج العظماء والأولياء .

٣ ـ وصيّته عليه‌السلام للحارث

زوّد الإمام عليه‌السلام صاحبه الحارث الهمداني بوصيّة حفلت بمحاسن الأخلاق ، ومكارم الصفات ، ومن فصولها هذه الكلمات المشرقة :

قال عليه‌السلام : **« وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ صاحِبُهُ لِنَفْسِهِ ، وَيُكْرَهُ لِعامَّةِ الْمُسْلِمينَ . وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ ، وَيُسْتَحىٰ مِنْهُ فِي الْعَلانِيَةِ ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذا سُئِلَ عَنْهُ صاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ اعْتَذَرَ مِنْهُ . وَلا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبالِ الْقَوْلِ ، وَلا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ ما سَمِعْتَ بِهِ ، فَكَفىٰ بِذٰلِكَ كَذِباً . وَلا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ ما حَدَّثُوكَ بِهِ ، فَكَفىٰ بِذٰلِكَ جَهْلاً . وَاكْظِمِ الْغَيْظَ ، وَتَجاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ ، وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ »**(٢) .

لقد حذّر الإمام عليه‌السلام الحارث من هذه المساوئ التي تهوي بالإنسان إلى مستوى

---

(١) ينابيع المودّة : ٣ : ٤٤٨ .

(٢) نهج البلاغة : ٣ : ١٢٩ ، خطبة ٦٩ .

سحيق ، كما أمره بالاتّصاف بكظم الغيظ ، والحلم عند المقدرة .

إنّ الحِكم الرفيعة التي أوصى بها الإمام عليه السلام هي من معالي الأخلاق ، ومن أسمى الصفات التي يشرف بها الإنسان ، وتجعله في قمّة الأفذاذ ... هذا بعض ما أُثر عن الإمام عليه السلام من الحكم الأخلاقيّة .

مكارم أخلاقه

ونعود للحديث عن معالي أخلاق الإمام عليه السلام ، فمن المؤكّد أنّه لم يشابهه فيها أي أحد من الأُسرة النبويّة ، ولا من الصحابة ، فقد تفرّد بالفضائل والمآثر وسموّ الذات ، فقد ميّزه الله تعالى وفضّله على كثير من خلقه تفضيلاً .

ونلمح ـ بإيجاز ـ إلى بعض ما أُثر عنه من معالي الأخلاق :

١ ـ حلمه عليه السلام

أمّا الإمام عليه السلام فهو من أحلم النّاس ، ومن أكثرهم كظماً للغيظ ، فلم يثأر من أي أحد اعتدى عليه ، أو أساء له ، وإنّما كان يقابل المسيء بالصفح والإحسان ؛ ليقلع روح الشرّ من نفسه ، وقد شابه أخاه وابن عمّه الرسول صلى الله عليه وآله بهذه الصفة الكريمة ، فقد قابل بالصفح المعتدين عليه من أهل مكّة الذين هم من ألدّ أعدائه ، وقال لهم ـ بعد فتح مكّة ـ : « **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ** » . على هذا النهج سار وصيّه وباب مدينة علمه ، فقابل خصومه بالعفو والإحسان .

بوادر من حلمه عليه السلام

ذكر الرواة بوادر كثيرة من حلم الإمام عليه السلام تنمّ عن نفسه العظيمة التي خلقها الله تعالى لتكون مشكاة نور لعباده تهديهم للتي هي أقوم ، وهذه نفحات منها :

١ ـ دعا الإمام عليه السلام غلاماً له فلم يستجب له ، وكرّر دعوته له ، فلم يجبه ، فقال له :

« ما حَمَلَكَ عَلىٰ تَرْكِ إجابَتي ؟ » .

فردّ عليه الغلام قائلاً : كسلت عن إجابتك ، وأمنت عقوبتك .

وفرح الإمام عليه السلام وراح يقول :

« الْحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَني مِمَّنْ يَأْمَنُهُ خَلْقُهُ ، امْضِ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ تَعالىٰ »(١) .

٢ ـ قصده أبو هريرة ، وكان معروفاً بانحرافه عنه ، ومتجاهراً ببغضه ، فسأله حاجة فقضاها له ، فعاتبه بعض أصحابه على ذلك ، فقال :

« إنّي لَأَسْتَحي أَنْ يَغْلِبَ جَهْلُهُ حِلْمي ، وَذَنْبُهُ عَفْوي ، وَمَسْأَلَتُهُ جُودي »(٢) .

٣ ـ كان ابن الكوّاء من الخوارج ، وكان يجاهر بسبّ الإمام ، ويعلن شتمه أمامه ، فلم يقابله بالمثل ، ولم يعاقبه ، وإنّما تلا عليه الآية : ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ﴾(٣) ، وأعاد هذا الانسان الممسوخ الآية على الإمام ، فأجابه : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾(٤) ، ولم يتّخذ معه أي إجراء صارم فيوعز باعتقاله وتأديبه .

٤ ـ ومن عظيم حلمه أنّه بعد ما ظفر بعائشة بعد فشلها في حرب الجمل ، وهي من ألدّ أعدائه ، ومعها مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير وغيرهما من الذين أشعلوا نار الحرب ، وأعلنوا التمرّد والعصيان المسلّح على حكومته ، فعفا عنهم جميعاً ، وسرّح عائشة سراحاً جميلاً ، وجهّزها جهازاً حسناً ، وهكذا كانت سيرته الصفح والإحسان لمن أساء إليه .

يقول ابن أبي الحديد عن حلم الإمام : « وأمّا الحلم والصفح ، فكان أحلم النّاس

---

(١) أمالي المرتضى : ١ : ٥٢٥ . مناقب آل أبي طالب : ١ : ٣٨٠ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ١ : ٣٨٠ .

(٣) الزُّمر ٣٩ : ٦٥ .

(٤) الرُّوم ٣٠ : ٦٠ .

عن المذنب، وأصفحهم عن المسيء، وقد ظهر حجّة ما قلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم، وكان من أعدى النّاس، وأشدّهم بغضاً له، فصفح عنه.

وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة، فقال: أتاكم الوغد اللئيم عليّ بن أبي طالب.. وكان عليّ عليه السلام يقول: «**ما زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتّى شَبَّ عَبْدُاللهِ**»، ولمّا ظفر به يوم الجمل صفح عنه، وقال له: «**اذْهَبْ فَلا أَرَيَنَّكَ**»، ولم يزد على ذلك.

وظفر بسعيد بن العاص بعد واقعة الجمل بمكّة، وكان له عدوّاً، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً»(١).

٥ ـ ومن عظيم صفحه وحلمه أنّ معاوية لمّا زحف لحرب الإمام في صفّين، استولت قوّاته على حوض الفرات، فلمّا جاء الإمام مع جيشه وجد حوض الفرات قد احتلّته جيوش معاوية، فطلب الإمام منهم أن يسمحوا لجيشه بالتزوّد من الماء، فامتنعوا من إجابته، وقالوا: لا والله، ولا قطرة حتّى تموت ظمأً كما مات ابن عفّان. وأوعز الإمام إلى قوّاته باحتلال الفرات، فاحتلّته، وانبرى بعض أصحاب الإمام قائلاً: يا أمير المؤمنين، امنعهم الماء كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة واحدة، واقتلهم بسيف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجة لك في الحرب. وامتنع الإمام من إجابتهم، فقال: «**لا وَاللهِ لا أُكافِئُهُمْ بِمِثْلِ فِعْلِهِمْ، افْسَحُوا لَهُمْ عَنِ الشَّرِيعَةِ فَفِي حَدِّ السَّيْفِ ما يُغْنِي عَنْ ذٰلِكَ**»(٢).

٦ ـ ومن عظيم حلمه وسموّ ذاته أنّه في يوم من أيّام صفّين ظفر بعمرو بن العاص، وهو العقل المدبّر في حكومة معاوية، فلمّا رأى هذا الجبان الماكر أنّ الإمام قد أقبل عليه بسيفه كشف عورته، فخجل منه الإمام وأشاح بوجهه عنه.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١: ٢٣.

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١: ١١٢ ـ ١١٥.

هذه بعض البوادر من حلمه وعفوه التي دلّت على نفس ملائكيّة قد تغذّت بقيم النبوّة ومكوّناتها.

٢ - تواضعه عليه السلام

من ذاتيّات الإمام عليه السلام، ومن محاسن أخلاقه التواضع، ولكنْ للفقراء والمستضعفين لا للأغنياء والمتكبّرين، وقد شابه بذلك أخاه وابن عمّه الرسول صلى الله عليه وآله، فقد كان أباً للفقراء والمحرومين، وهذه شذرات من تواضعه:

١ - وفد عليه رجل مع ابنه وحلّا عنده ضيفاً، فأمر لهما بطعام، وبعد الفراغ من تناولهما له بادر الإمام، فأخذ إبريقاً ليغسل يد الأب، ففزع الرجل، وقال: كيف يراني الله وأنت تصبّ الماء على يدي؟

فأجابه الإمام برفق ولطف:

«إنَّ اللهَ يَرانِي أَخاكَ الَّذِي لَا يَتَمَيَّزُ مِنْكَ، وَلَا يَتَفَضَّلُ عَنْكَ، وَيَزِيدُنِي بِذٰلِكَ مَنْزِلَةً فِي الْجَنَّةِ».

أي روح ملائكيّة هذه الروح! وأي سموّ في الذات مثل هذا السموّ؟! إنّ الإنسانيّة لتنحني إجلالاً وإكباراً إلى هذا الخُلق الرفيع.

وانصاع الرجل إلى كلام الإمام، فمدّ يده، وصبّ عليها الماء، ولمّا فرغ ناول الابريق إلى ولده محمّد بن الحنفيّة، وقال له:

«لَوْ كانَ هٰذَا الْإِبْنُ حَضَرَنِي دُونَ أَبِيهِ لَصَبَبْتُ الْماءَ عَلىٰ يَدِهِ، وَلٰكِنَّ اللهَ يَأْبىٰ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ الْإِبْنِ وَأَبِيهِ».

وانبرى محمّد فغسل يد الولد[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١: ٣٧٣.

وهذه الأخلاق العلويّة مقتبسة من أخلاق الرسول الأعظم ﷺ الذي بعثه الله تعالى ليتمّم مكارم الأخلاق.

٢ ـ من تواضع الإمام عليه السلام أنّه اجتاز في رجوعه من صفّين على دهاقين الأنبار، فقابلوه بمزيد من التعظيم والتكريم، فأنكر الإمام ذلك، وقال لهم:

«وَاللهِ! ما يَنْتَفِعُ بِهٰذا أُمَراؤُكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَتَشْقَوْنَ بِهِ عَلىٰ آخِرَتِكُمْ. وَما أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَراءَها الْعِقابُ، وَما أَرْبَحَ الرّاحَةَ مَعَها الْأَمانُ مِنَ النّارِ»[1].

إنّ المهرجانات الشعبيّة من الزينة والتصفيق والتهليل الذي تقيمه الشعوب إلى ملوكها ورؤساء جمهوريّاتها في عرف الإمام ضلال وانحراف عن الحقّ، وأنّ الرؤساء كبقيّة أفراد الشعب، لا ميزة لهم عليهم.

يقول الرواة: إنّه لمّا قدم من حرب الجمل اجتاز على المدائن فهرع أهلها لاستقباله، وعلت زغردة النساء، فذهل عليه السلام، وسألهم عن ذلك، فقالوا له: إنّا نستقبل ملوكنا بمثل ذلك، فقال لهم الإمام بما مضمونه: إنّه ليس ملكاً وإنّما هو كبقيّة المواطنين، لا ميزة له عليهم سوى أنّه يقيم الحقّ والعدل في البلاد، ومكث جالساً في مكانه لم ينصرف حتّى انصرف النّاس إلى أعمالهم[2].

٣ ـ ومن تواضعه أنّه لا يسمح لأي أحد أن يسير خلفه، لا من الشرطة ولا من غيرهم، فقد سار عليه السلام وتبعه بعض أصحابه، فالتفت إليهم وقال:

«أَلَكُمْ حاجَةٌ؟».

فقالوا:

لا، ولكن نحبّ أن نمشي معك.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٧٢.

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١١: ٣٥.

فزجرهم ، وأمرهم بالانصراف إلى منازلهم قائلاً:

«ارْجِعُوا . . النِّعالُ خَلْفَ أَعْقابِ الرِّجالِ مَفْسَدَةٌ لِقُلُوبِ النَّوْكىٰ»[1] [2].

إنّ هذه الأخلاق الرفيعة هي أخلاق الأنبياء العظام وأوصيائهم ، وقد مثّلها إمام المتّقين ، وسيّد الوصيّين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بسلوكه وسيرته .

وذكر الرواة صوراً مشرقة من تواضعه في أيّام حكومته .

٣ ـ عيادته عليه السلام للمرضى

من معالي أخلاق الإمام عليه السلام عيادته للمرضى ، وكان يحفّز أصحابه على ذلك ، فقد قال لهم : **« مَنْ أَتىٰ أَخاهُ الْمُسْلِمَ يَعُوْدُهُ مَشىٰ فِي خُرافَةِ الْجَنَّةِ**[3] **، فَإِذا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ »**[4].

وكان إذا سمع أحداً من أصحابه مريضاً بادر لعيادته ، وقد عاد كوكبة من المرضى ،كان منهم :

١ ـ عاد شخصاً مريضاً ، فقال له :

«جَعَلَ اللهُ ما كانَ مِنْ شَكْواكَ حطّاً لِسَيِّئاتِك ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لا أَجْرَ فِيهِ ، وَلٰكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئاتِ ، وَيَحُتُّها حَتَّ الْأَوْراقِ . وَإِنَّما الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسانِ ، وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدامِ »[5].

٢ ـ مرض صعصعة ، وهو من خلّص أوليائه ، فأطرى عليه الإمام قائلاً:

---

(١) **النوكى** :الحمقى .

(٢) ربيع الأبرار : ٤: ١٣١ .

(٣) **خرافة الجنّة** :ثمارها .

(٤) ربيع الأبرار : ٤: ١٢٧ .

(٥) ربيع الأبرار : ٤: ١٣١ .

«وَاللهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا خَفِيفَ الْمُؤُونَةِ، حَسَنَ الْمَعُونَةِ».

فأجابه صعصعة: وأنت يا أمير المؤمنين، إنّ الله في عينك لعظيم، وإنّك بالمؤمنين لرحيم، وإنّك بكتاب الله لعليم.

ولمّا أراد الإمام عليه‌السلام الخروج قال له:

«يا صَعْصَعَةُ، لَا تَجْعَلْ عِيادَتِي فَخْراً عَلىٰ قَوْمِكَ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُوْرٍ»[1].

لقد تنكّر الإمام لجميع ألوان الفخر، ومظاهر العظمة، وآمن إيماناً مطلقاً بأنّ الذي يستحقّ العظمة إنّما هو الله تعالى لا غيره.

٤ ـ كراهته عليه‌السلام للمدح

كان الإمام عليه‌السلام يسأم المدح والإطراء، وكان يقول لمن أطراه:

«أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ».

وإذا أطرى عليه رجل قال له:

«اللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِيْ مِنْهُ، وَأَنا أَعْلَمُ مِنْهُ بِنَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ما لَا يَعْلَمُ»[2].

٥ ـ الصراحة والصدق

والشيء البارز في أخلاق الإمام عليه‌السلام التزامه المطلق بالصراحة والصدق في جميع شؤون حياته، فلم يوارب، ولم يخادع، ولم يداهن في دينه، وسار على منهاج أخيه وابن عمّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، ولو أنّه اعترف بالأعراف السياسيّة القائمة

---

(١) ربيع الأبرار: ٤: ١٣٢.

(٢) أمالي المرتضى: ١: ٢٧٤.

على الكذب لما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفّان عميد الأُسرة الأمويّة ، فـقد الحّ عليه عبدالرحمن بن عوف العضو البارز في الشورى العمريّة أن يبايعه بشرط أن يسير بسيرة الشيخين ، فرفض ذلك رفضاً باتّاً ؛ لأنّها لا تتّفق مع الكتاب والسنّة ، وصارحه الإمام أن يسوس الأُمّة على ضوء كتاب الله وسنّة نبيّه ، وليس غيرهما من رصـيد يستند إليه في عالم السياسة الإسلاميّة ، لقد أبى ضميره أن يخادع أو يماكر في سبيل الوصول إلى السلطة التي تهالك على الظفر بها عيون الأُمّة ، وقدّموا أنهاراً من الدماء في سبيل الوصول إليها لينعموا في خيرات البلاد .

لقد زهد الإمام في جميع مغريات الحكم والسلطان ، وكـان كـثيراً مـا يـتنفّس الصعداء من الآلام التي صبّها القرشيّون عليه ، وقد سمعه النّاس يقول :

« وا وَيْلاهُ ، يَمْكُرُونَ بي ، وَيَعْلَمُونَ أَنّي بِمَكْرِهِمْ عالِمٌ ، وَأَعْرَفُ مِنْهُمْ بِوُجُوهِ الْمَكْرِ ، وَلـكِنّي أَعْلَمُ أَنَّ الْمَكْرَ وَالْخَديْعَةَ في النّـارِ ، فـأَصْبِرُ عَـلَىٰ مَكْـرِهِمْ ، وَلا أَرْتَكِبُ مِـثْلَ ما ارْتَكَبُوا »(١) .

إنّ الذي منعه أن يسير على وفق السياسة الماكرة أنّها في النّار ، وقد ردّ سلام الله عليه على مَن قال فيه أنّه لا دراية له في الشؤون السياسيّة ، وأنّ معاوية خبير بها ، قال عليه السلام :

« وَاللهِ ! ما مُعاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنّي ، وَلـكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلا كَراهِـيَةُ الْـغَدْرِ لَكُـنْتُ مِنْ أَدْهَىٰ النّاسِ »(٢) .

وقد أنكر على بعض الساسة الذين يستخدمون جـميع الوسـائل للـوصول إلى الحكم ، وبرّروا ذلك بأنّها حيلة منهم ، قال :

« وَما يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ . وَلَقَدْ أَصْبَحْنا في زَمانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ

---

(١) جامع السعادات : ١ : ٢٠٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٢٠ : ٢٠٦ .

كَيْساً، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلىٰ حُسْنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ ! قَاتَلَهُمُ اللهُ ! قَدْ يَرَىٰ الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ الْعَيْنِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ »(١).

على هذا الخُلق الرفيع بنى الإمام عليه السلام سياسته القائمة على الصراحة والصدق التي لا التواء ولا خداع فيها، وهذا هو السبب في خلوده في جميع الأجيال والآباد(٢).

٦ ـ الإيثار

ومن معالي أخلاقه وسموّ ذاته تقديمه لقنبر خادمه على نفسه في لباسه وطعامه، فقد اشترى ثوبين: أحدهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين، وأعطى الثوب الذي قيمته ثلاثة دراهم لقنبر، فقال له:

أنت أوْلى به يا أمير المؤمنين. أنت تصعد المنبر وتخطب...

انظروا إلى قوله:

« أَنْتَ شابٌّ، وَلَكَ شَرْخُ الشَّبابِ، وَأَنا أَسْتَحِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَتَفَضَّلَ عَلَيْكَ »(٣).

أرأيتم هذه النفس الملائكيّة التي سمت في سماء العدل، فأضاءت الدنيا بكمالها، وسموّ آدابها، ونكرانها للذات.

٧ ـ انعاؤه عليه السلام للتفاخر

منع الإمام عليه السلام رعيّته من التفاخر بالآباء، كما منع من التفاخر بالأبناء

---

(١) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام: ١: ٤٢٣.

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١١: ٣٣ و ٣٤.

(٣) التمثيل والمحاضرة: ٢٨٤.

والأموال ، وغير ذلك من التفوّق الذي لا يمتّ إلى الفضيلة بصلة(١) .

إنّ التفاخر والتفاضل بين النّاس إنّما هو بعمل الخير ، وإسداء المعروف إلى النّاس الذي به تنتعش حياتهم الاقتصاديّة والثقافيّة ، أمّا غير ذلك من الفضول الذي هو من السراب .

٨ ـ مواساته عليه السلام للفقراء

من معالي أخلاق الإمام عليه السلام مواساته للفقراء في جشوبة العيش ، ومكاره الدهر ، وقد أعلن هذه المواساة بقوله :

«أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ : هٰذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ !»

وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ»

«وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ»

وليس في تاريخ الشرق وغيره حاكم مثل الإمام في مواساته للفقراء والمحرومين ، فقد شاركهم في مكاره الدهر وجشوبة العيش ، ولمّا انتقل إلى حظيرة القدس لم يترك صفراء ولا بيضاء(٢) .

٩ ـ المساواة

من معالي أخلاقه عليه السلام مساواته للنّاس في أيّام حكمه ، وهذه بعض مساواته :

١ ـ المساواة في العطاء

من سموّ أخلاق الإمام عليه السلام وتحرّجه في الدين : المساواة ، فقد ساوى في العطاء

---

(١) خزانة الأدب : ٣ : ٥٩ .

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ١١ : ٢٩ .

بين المسلمين والمسيحيّين من سكّان الوطن الإسلامي، كما لم يقدّم القرشي على غيره[(١)]، الأمر الذي نجم منه أن تنكّرت له الأوساط الرأسماليّة من القرشيّين، وأعلنوا التمرّد على حكومته.

وعلى أي حال، فقد خالف الإمام في سياسته الحالية ما سلكه عمر من تقديم بعض الطبقات في المجتمع على بعض، وقد تعرّضت هذه السياسة إلى النقد من قِبل الاقتصاديّين وغيرهم، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا: حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام.

٢ ـ المساواة أمام القانون

ألزم الإمام عليه السلام عمّاله وولاته على الأقطار بتطبيق المساواة العادلة بين النّاس في القضاء وغيره. قال عليه السلام في إحدى رسائله إلى بعض عمّاله:

«فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّىٰ لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ»[(٢)].

حقّاً هذا هو العدل الذي تنعم به الشعوب وتسود فيه الرحمة والخير.

٣ ـ المساواة في الحقوق

ومن مظاهر المساواة العادلة التي أعلنها الإمام عليه السلام أيّام حكومته المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، فلم يفرض حقّاً على الضعيف دون غيره، بل الجميع متساوون أمام عدله[(٣)].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٢٩.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ١٦٣.

(٣) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١١: ٢٩.

١٠ ـ زهده عليه السلام

من سموّ ذات الإمام عليه السلام وتكامل أخلاقه زهده في الدنيا، ورفضه الكامل لجميع متعها وزبارجها وزينتها، لقد سيطر على جميع رغبات النفس، وعوّد نفسه البؤس والحرمان، فلم يستجب لأيّة متعة من متع الحياة، فكان من أزهد النّاس، كما يقول عمر بن عبدالعزيز[1].

ولمّا تشرّفت به الخلافة الإسلاميّة، وأشرقت الدنيا بحكومته طلّق الدنيا ثلاثاً، وعاش في أرباض يثرب والكوفة عيشة الفقراء، فلم يبنِ له داراً.

ولم يلبس من ناعم الثياب، وإنّما كان يلبس ثياب الفقراء، ويأكل أكلهم، وقد قيل له في ذلك، فأجاب:

«كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ».

لقد أحبّ أن يواسي الفقراء في فقرهم وبؤسهم حتّى لا يجزعون من مرارة العيش.

صور من زهده عليه السلام

وذكر المؤرّخون والرواة صوراً مذهلة من زهد الإمام لم يحدّث التاريخ لها نظيراً في جميع فترات التاريخ، وهذه صور منها:

١ ـ لباسه عليه السلام

ولم يعن الإمام عليه السلام بلباسه، وإنّما كان يلبس أخشن الثياب، وقد حكى المؤرّخون بوادر كثيرة منها، وهي:

ـ روى عمر بن قيس، قال: رئي عليّ وعليه إزار مرقوع، فعوتب عليه، فقال:

---

(١) تاريخ دمشق: ٣: ٢٥٢.

« يَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ »[١] .

ـ قال أبو إسحاق السبيعي : كنت قد حملني أبي على عاتقه وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يخطب ، وهو يتروّح بكمّه ، فقلت : يا أبه ، أمير المؤمنين يجد الحرّ ؟ فقال : لا يجد حرّاً ولا برداً ، ولكنّه غسل قميصه وهو رطب ، ولا له غيره ، فهو يتروّح به[٢] .

ـ روى أبو حيّان التميمي ، عن أبيه ، قال : رأيت عليّاً على المنبر يقول :

« مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي سَيْفِي هـٰذا ؟ فَلَوْ كانَ عِنْدِي ثَمَنُ إزارٍ ما بِعْتُه » .

فقام إليه رجل فقال له : أنا أُسلفك ثمن إزار ... وعلّق على ذلك عبدالرزاق فقال : لقد فعل الإمام ذلك وكانت الدنيا إذ ذاك بيده إلّا الشّام[٣] .

ـ روى عليّ بن الأقمر قال : رأيت عليّاً وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول :

« مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هـٰذَا السَّيْفَ ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ لَطالَما كَشَفْتُ بِهِ الْكُرَبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَوْ كانَ عِنْدِي ثَمَنُ إزارٍ ما بِعْتُهُ »[٤] .

ـ روى هارون بن عنترة قال : دخلت على عليّ في الخورنق ، وهو يرعد من البرد ، وعليه سمل قطيفة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله ـ تعالى ـ قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال ، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال :

« وَاللهِ ! ما أَرْزَؤُكُمْ شَيْئاً مِنْ مالِكُمْ ، وَإِنَّها لَقَطِيفَتِي الَّتِي خَرَجْتُ بِها مِنْ مَنْزِلِي بِالْمَدِينَةِ »[٥] .

---

(١) صفة الصفوة : ٦ : ١٦٨ .

(٢) الغارات : ١ : ٩٩ .

(٣) الاستيعاب (المطبوع على هامش الإصابة) : ٢ : ٤٩ . جواهر المطالب : ١ : ٢٨٤ .

(٤) صفة الصفوة : ١ : ١٦٨ .

(٥) حلية الأولياء : ٣ : ٢٣٦ .

ـ خطب الإمام عليه‌السلام وقال لأهل الكوفة : « **دَخَلْتُ بِلادَكُمْ بِأَسْمالِي هٰذِهِ وَراحِلَتِي هٰذِهِ ، فَإِذا خَرَجْتُ مِنْ بِلادِكُمْ بِغَيْرِ ما دَخَلْتُ فَإِنِّي مِنَ الْخائِنِينَ** »(١) .

ـ اشترى الإمام ثوباً فأعجبه ، فكره أن يلبسه ، فتصدّق به(٢) .

ـ ذكر الرواة أنّه لم يكن عند الإمام عليه‌السلام إلّا قميص لا يجد غيره في وقت الغسل(٣) .

ـ ذكر المؤرّخون أنّ الإمام في أيام خلافته لم يكن عنده ثلاثة دراهم ليشتري بها إزاراً أو ما يحتاج إليه ، ثمّ يدخل بيت المال فيقسّم كلّ ما فيه على الناس ، ثمّ يصلّي فيه ، ويقول : « **الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْهُ كَما دَخَلْتُهُ** »(٤) .

هذه بعض البوادر من زهد الإمام عليه‌السلام في لباسه ، فقد توفّي وليس عنده من الثياب سوى الثوب الذي كان عليه .

ومن الجدير بالذكر أنّ هارون الرشيد لمّا توفّي ترك أربعة آلاف عمامة مطرّزة ما عدا الثياب ، فضلاً عن الأموال الهائلة التي خلّفها في خزانته ، وهكذا غيره من ملوك الأمويّين والعبّاسيّين الذين نهبوا أموال المسلمين وأنفقوها على شهواتهم ولياليهم الحمراء . ومن المؤكّد أنّهم لا علاقة لهم بالإسلام(٥) .

٢ ـ طعامه عليه‌السلام

امتنع الإمام عليه‌السلام من تناول الأطعمة الشهيّة ، واقتصر على ما يسد الرمق من الأطعمة البسيطة ، كالخبز والملح ، وربّما تعدّاه إلى اللبن أو الخلّ ، وكان في أيّام

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٦٧ .

(٢) و (٣) مناقب آل أبي طالب : ١ : ٣٦٦ .

(٤) مناقب آل أبي طالب : ١ : ٣٦٤ .

(٥) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام : ١ : ١٠٦ .

رسول الله ﷺ يربط الحجر على بطنه من الجوع[١]، وكان قليل التناول للّحم، وقد قال: «**لَا تَجْعَلُوا بُطُونَكُمْ مَقَابِرَ لِلْحَيْوانَاتِ**».

يقول ابن أبي الحديد: إنّه ما شبع من طعام قطّ، وقد أُتي له بفالوذج[٢]، فلمّا رآه قال:

«**إِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ، حَسَنُ اللَّوْنِ، طَيِّبُ الطَّعْمِ، وَلٰكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أُعَوِّدَ نَفْسِي مَا لَمْ تَعْتَدْ**»[٣].

وقد روى الإمام أبوجعفر عليه السلام قال: «**أَكَلَ عَلِيٌّ مِنْ تَمْرِ دَقَلٍ**[٤] **ثُمَّ شَرِبَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، وَضَرَبَ يَدَهُ عَلى بَطْنِهِ وَقالَ: مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ**»، ثمّ تمثّل:

«**فَإِنَّكَ مَهْما تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَها وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعا**»[٥]

لقد تحرّج رائد العدالة الاجتماعيّة في طعامه كأشدّ ما يكون التحرّج، وقد تحدّث عن زهده بقوله:

«**فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ**».

إنّ الإمام عليه السلام لم ينل من أطائب الطعام حتّى وافاه الأجل المحتوم، فقد أفطر آخر يوم من حياته في شهر رمضان على خبز وجريش ملح، وأمر برفع اللبن الذي قدّمته ابنته السيّدة أُمّ كلثوم[٦].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٣٥١.

(٢) **الفالوذج**: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٣) حلية الأولياء: ١: ٨١. كنز العمّال: ١٥: ١٦٤.

(٤) **الدقل**: نوع من التمر.

(٥) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١: ١٠٧.

(٦) منتهى الآمال: ١: ٣٣٤.

وهو في نفس الوقت كان يطعم اليتامى العسل بيده ، حتّى قال بعض أصحابه : وددت أنّي كنت يتيماً .

لقد زهد الإمام عليه‌السلام في جميع متع الحياة الدنيا ، وتجرّد تجرّداً تامّاً من جميع رغباتها ، وقد روى صالح بن الأسود ، قال : رأيت عليّاً قد ركب حماراً وأدلى برجليه إلى موضع واحد ، وهو يقول : « **أَنا الَّذِي أَهَنْتُ الدُّنْيا** »(١) .

أجل والله لقد احتقر الإمام عليه‌السلام الدنيا ، فلم يحفل بأي مظهر من مظاهر السلطة والحكم ، واتّجه نحو الله تعالى ، وعمل كلّ ما يقرّبه إليه زلفى .

وقد تحدّثنا بصورة مفصّلة عن زهده في موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام ، ونقلنا هذه الصور منها .

١١ ـ إنابته عليه‌السلام لله تعالى

من سموّ ذات الإمام عليه‌السلام ، ومن عناصر أخلاقه إنابته المطلقة إلى الله تعالى ، فقد كان من أعظم المنيبين إليه ، ومن أكثرهم خوفاً ورهبة منه ، وقد روى المؤرّخون صوراً من خشيته من الله تعالى كان منها :

١ ـ روى أبو الدرداء ، قال : شهدت عليّ بن أبي طالب في بعض محلّات بني النجّار ، وقد اعتزل عن مواليه ، واختفى ممّن يليه ، واستتر بنخيلات ، فافتقدته ، ويُعد عليَّ مكانه ، فقلت : لحق بمنزله ، فإذا بصوت حزين ونغمة شجيّة قائلة :

« **إِلٰهِي كَمْ مِنْ مُوبِقَةٍ حَلُمْتَ عَن مُقابَلَتِها بِنِقْمَتِكَ ، وَكَمْ مِنْ جَرِيرَةٍ تَكَرَّمْتَ عَنْ كَشْفِها بِكَرَمِكَ ، إِلٰهِي إِنْ طَالَ فِي عِصْيانِكَ عُمْرِي ، وَعَظُمَ فِي الصُّحُفِ ذَنْبِي ، فَما أَنا بِمُؤَمِّلٍ غَيْرَ غُفْرانِكَ ، وَلَا أَنا بِراجٍ غَيْرَ رِضْوانِكَ ...** » .

وذهل أبو الدرداء ، وهام من خشية الله تعالى ، وراح يفتّش عن صاحب الصوت ،

---

(١) تاريخ دمشق : ٣ : ٢٣٦ . جواهر المطالب : ١ : ٢٧٦ .

ولم يلبث أن عرفه ، وإذا هو إمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فاستتر ليسمع بقيّة مناجاته ، وراح الإمام يصلّي ، فلمّا فرغ من صلاته توجّه إلى الله تعالى بقلب منيب ، وأخذ في المناجاة قائلاً :

« إلٰهِي اُفَكِّرُ فِي عَفْوِكَ فَتَهُونُ عَلَيَّ خَطِيئَتِي ، ثُمَّ أَذْكُرُ الْعَظِيمَ مِنْ أَخْذِكَ فَتَعْظُمُ عَلَيَّ بَلِيَّتِي . . . » .

ثمّ قال :

« آهِ إن أنا قَرَأْتُ فِي الصُّحُفِ سَيِّئَةً أنا ناسِيها وَأَنْتَ مُحْصِيها ، فَتَقُولُ : خُذُوهُ ، فَيا لَهُ مِنْ مأْخُوذٍ لَا تُنْجِيْهِ عَشِيرَتُهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَبِيلَتُهُ ! يَرْحَمُهُ الْمَلَأُ إذا أُذِنَ فِيهِ بِالنِّداءِ . . . آهِ مِنْ نارٍ تُنْضِجُ الْأَكْبادَ وَالْكُلَىٰ ، آهِ مِنْ نارٍ نَزّاعَةٍ لِلشَّوىٰ ! آهِ مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ مُلْهِباتِ لَظَىٰ . . . » .

يقول أبو الدرداء : ثمّ انفجر الإمام عليه السلام باكياً وخمد صوته ، فسارعت إليه فوجدته كالخشبة الملقاة فحرّكته فلم يتحرّك ، فقلت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مات والله عليّ بن أبي طالب ، فبادرت مسرعاً إلى بيته أنعاه إلى أهله ، فأخبرت سيّدة النساء فاطمة عليها السلام ، فقالت :

« يا أَبا الدَّرْداءِ ، ما كانَ مِنْ شَأْنِهِ ؟ . . . » .

فأخبرتها بما رأيته ، فقالت :

« هِيَ وَاللهِ يا أَبا الدَّرْداءِ الْغَشْيَةُ الَّتِي تَأْخُذُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ . . . » ، وناولتني ماء وأمرتني أن أريقه على وجهه الشريف ، ففعلت ذلك ، فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي ، فقال لي :

« مِمَّ بُكاؤُكَ يا أَبا الدَّرْداءِ ؟ » .

فقال له أبو الدرداء : أبكي لما أنزلته بنفسك ، فأجابه الإمام بصوت حزين :

« يا أَبا الدَّرْداءِ ، كَيْفَ لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ دُعِيَ بِي إِلَى الْحِسابِ ، وَأَيْقَنَ أَهْلُ الْجَرائِمِ بِالْعَذابِ ، وَاحْتَوَشَتْنِي مَلائِكَةٌ غِلاظٌ ، وَزَبانِيَةٌ فِظاظٌ ، فَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَي الْمَلِكِ الْجَبّارِ ، قَدْ أَسْلَمَنِي الْأَحْياءُ ، وَرَحِمَنِي أَهْلُ الدُّنْيا ، لَكُنْتَ أَشَدَّ رَحْمَةً لِي بَيْنَ يَدَيْ مَنْ لَا تَخْفىٰ عَلَيْهِ خافِيَة ... ».

ويهر أبو الدرداء من خشية الإمام ، وعظيم خوفه من الله تعالى ، وراح يقول : ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ[(١)].

٢ ـ وصف ضرار لمعاوية ما رآه من إنابة الإمام إلى الله وخشيته منه قائلاً : لو رأيته في محرابه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وهو قابض على لحيته يتململ تململ السليم[(٢)] ، ويبكي بكاء الحزين ، وهو يقول :

« يا دُنْيا ، إِلَيَّ تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ ؟ هَيْهاتَ هَيْهاتَ ، لَا حاجَةَ لِي فِيكِ ، أَبَنْتُكِ ثَلاثاً لَا رَجْعَةَ لِي عَلَيْكِ ».

ثمّ يقول : **« آهِ آهِ لِبُعْدِ السَّفَرِ ، وَقِلَّةِ الزّادِ ، وَخُشُونَةِ الطَّرِيقِ »**.

ويهر معاوية وراح يقول : حسبك يا ضرار ، كذلك والله كان عليّ[(٣)].

٣ ـ روى نوف البكالي شدّة خشية الإمام عليه‌السلام من الله تعالى ، وعظيم إنابته ، فكان يصلّي الليل كلّه ويخرج ساعة بعد ساعة ، فينظر إلى السماء ، ثمّ يتلو القرآن ، فمرّ بي ، فقال لي :

« يا نَوْفُ ، أَراقِدٌ أَنْتَ أَمْ رامِقٌ ؟ ».

بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

---

(١) أمالي الصدوق : ٢٤٨ ـ ٢٤٩. بحار الأنوار : ٤١ : ١٨.

(٢) **السليم** : الذي لدغته الحيّة.

(٣) أمالي الصدوق : ٣٧١. بحار الأنوار : ٤١ : ١٦.

فالتفت إليّ وقال:

«يَا نَوْفُ، طُوبَىٰ لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَاءَهَا طِيباً، وَالْقُرْآنَ دِثَاراً، وَالدُّعَاءَ شِعَاراً، وقَرَضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْرِيضاً، عَلَىٰ مِنْهَاجِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ. إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيم: قُلْ لِلْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: لَا يَدْخُلُوا بَيْتاً مِنْ بُيُوتِي إِلَّا بِقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ، وَأَبْصَارٍ خَاشِعَةٍ، وَأَكُفٍّ نَقِيَّةٍ، وَقُلْ لَهُمْ: اعْلَمُوا إِنِّي غَيْرُ مُسْتَجِيبٍ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ دَعْوَةً مِنْ خَلْقِي فِي قَلْبِهِ مَظْلَمَةٌ...»(١).

٤ـ روى أبو جعفر عليه السلام، قال: «دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَإِذا هُوَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعِبادَةِ ما لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ؛ قَدْ اصْفَرَّ لَوْنُهُ مِنَ السَّهْرِ، وَرَمَضَتْ عَيْناهُ مِنَ الْبُكاءِ، وَدَبَرَتْ جَبْهَتُهُ، وَانْخَرَمَ أَنْفُهُ مِنَ السُّجُودِ، وَوَرِمَتْ ساقاهُ وَقَدَماهُ مِنَ الصَّلاةِ».

قال أبو جعفر: «فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسي حينَ رَأَيْتُهُ بِتِلْكَ الْحالَةِ وَهُوَ يَبْكي، فَبَكيتُ رَحْمَةً لَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقالَ: أَعْطِني بَعْضَ تِلْكَ الصُّحُفِ الَّتي فِيْها عِبادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ، فَأَعْطَيْتُهُ، فَقَرَأَ شَيْئاً يَسِيْراً ثُمَّ تَرَكَها مِنْ يَدِهِ تَضَجُّراً، وَقالَ: مَنْ يَقْوىٰ عَلىٰ عِبادَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ»(٢).

١٢ ـ سخاؤه عليه السلام

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أندى النّاس كفّاً، ومن أكثرهم برّاً وإحساناً للفقراء، وكان لا يرى للمال قيمة سوى أن يردّ به جوع جائع، أو يكسو عرياناً، وكان يؤثر الفقراء على نفسه ولو كانت به خصاصة، أليس هو وأهل بيته الذين

---

(١) الخصال: ١٦٤.

(٢) الإرشاد: ٢٧١. وسائل الشيعة: ١: ٦٨.

أطعموا المسكين واليتيم والأسير قوتهم، وطووا ثلاثة أيّام صياماً لم يذوقوا سوى ماء القراح، فاتحفهم الله بسورة هل أتى، وهي وسام شرف، وفخر لهم على امتداد التاريخ.

إنّ الإمام عليه السلام هو الذي تصدّق بخاتمه على المسكين في أثناء صلاته، فأنزل الله تعالى في حقّه الآية الكريمة: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾[1].

شذرات من جوده عليه السلام

ذكر المؤرّخون بوادر كثيرة من برّ الإمام عليه السلام وإحسانه إلى الفقراء، كان منها:

١ ـ روى الأصبغ بن نباتة، قال: جاء رجل إلى الإمام عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ لي إليك حاجة قد رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله ـ تعالى ـ وعذرتك؟

فقال له الإمام:

« **اُكْتُبْ حاجَتَكَ عَلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرىٰ ذُلَّ السُّؤالِ عَلىٰ وَجْهِكَ** ».

فكتب الرجل: إنّي محتاج، فأمر الإمام بإحضار حلّة فأهداها له، فلبسها الرجل وقال:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلىٰ مَحاسِنُها ... فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنا حُلَلا
إِنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنائِي نِلْتَ مَكْرُمَةً ... وَلَسْتَ تَبْغِي بِما قَدْ قُلْتُهُ بَدَلا
إِنَّ الثَّناءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صاحِبِهِ ... كالْغَيْثِ يُحْيِي نَداهُ السَّهلَ وَالْجَبَلا
لَا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي خَيْرٍ تُواقِعُهُ ... فَكُلُّ شَخْصٍ سَيُجْزىٰ بِالَّذِي عَمِلا

---

(١) المائدة ٥: ٥٥.

وأمر الإمام له بمائة دينار، فدفعها له، وبادر الأصبغ قائلاً:

يا أمير المؤمنين، ومائة دينار ؟!

لقد استكثر الأصبغ إعطاء الرجل مائة دينار، فأجابه الإمام:

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنازِلَهُمْ، وَهٰذِهِ مَنْزِلَةُ الرَّجُلِ عِنْدِي»[1].

٢ـ من بوادر جوده أنّه لمّا قسّم بيت مال البصرة على جيشه لحق كلّ واحد منهم خمسمائة دينار، وأخذ هو مثل ذلك، فجاءه شخص لم يحضر الواقعة، فقال له: كنت شاهداً معك بقلبي وإن غاب عنك جسمي، فأعطني من الفيء شيئاً.

فأعطاه ما أخذه لنفسه، ورجع ولم يصب من الفيء شيئاً[2].

٣ـ ومن سخائه ما رواه المعلّى بن خنيس عن الإمام الصادق عليه السلام: **«أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام أَتىٰ ظُلَّةَ بَنِي ساعِدَةَ، وَكانَتِ السَّماءُ قَدْ أَمْطَرَتْ، وَهُوَ يَحْمِلُ جِراباً فِيهِ الْخُبْزُ، فَمَرَّ عَلىٰ قَوْمٍ نِيامٍ، وَهُمْ مِنَ الْفُقَراءِ، فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيْفَ وَالرَّغيفَينِ تَحْتَ فِراشِهِم، حَتّىٰ أَتىٰ عَلىٰ آخِرِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ»**[3].

٤ـ خرج الإمام وهو يحمل على ظهره قربة، وفي يده صحفة وهو يقول:

«اللّٰهُمَّ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلٰهَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجارَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْبَلْ قُرُباتِي اللَّيْلَةَ، فَما أَمْسَيْتُ أَمْلِكُ سِوىٰ ما فِي صَحْفَتِي وَغَيْرَ ما يُوارِينِي، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مَنَعْتُهُ نَفْسِي مَعَ شِدَّةِ سَغَبِي فِي طَلَبِ الْقُرْبَةِ إِلَيْكَ غَنماً، اللّٰهُمَّ فَلَا تَخْلُقْ وَجْهِي، وَلَا تَرُدَّ دَعْوَتِي»،

---

(١) جواهر المطالب: ٢: ١٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١: ٢٠٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٣٤٩.

وأخذ يطعم الفقراء[١].

٥ ـ كان الإمام عليه السلام عنده أربعة دراهم، فتصدّق بواحد منه ليلاً، وبالثاني نهاراً، وبالثالث سرّاً، وبالرابع علانية، فنزلت فيه الآية: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ**﴾[٢].

٤ ـ كان فقير في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ساكناً في دار ضيّقة، وبجوارها حديقة لشخص موسر، وفيها نخل يتساقط بعض ثمرها على دار الفقير، فيبادر إلى أخذ التمر من أفواه الأطفال، فشكا الفقير ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فبعث خلفه وطلب منه أن يبيعها عليه، ويأخذ عوضها بستاناً في الجنّة، فأبى وقال: لا أبيع عاجلاً بآجل، ولم يستجب للنبيّ، وأخبر النبيّ الإمام عليّاً بذلك، فبادر إلى الرجل وطلب منه أن يبيع بستانه عليه، فاستجاب له على أن يعطيه عوضها بستاناً للإمام، فأجابه إلى ذلك، وباعها عليه، وبادر الإمام فوهب البستان للفقير[٣].

هذه بعض البوادر من سخاء الإمام عليه السلام الذي كان ينفقه على البؤساء والفقراء.

يقول الشعبي: كان عليّ أسخى النّاس. كان على الخُلق الذي يحبّه الله تعالى، وهو السخاء والجود، ما قال لا لسائل قطّ[٤]، وقد اقتبسنا هذه البحوث من موسوعتنا حول الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار: ٤١: ٢٩.

(٢) كشف الغمّة: ١: ٥٠، و ٢٧٤ من سورة البقرة.

(٣) تفسير فرات: ٢١٣.

(٤) مستدرك على الصحيحين: ٣: ١٥٣. أسد الغابة: ٥: ٥٢٢. تهذيب التهذيب: ١٢: ٤٤١.

فاطمة الزهراء عليها السلام

أمّا سيّدة نساء العالمين ، فهي بضعة رسول الله ﷺ الذي يرضى الله تعالى لرضاها ، ويغضب لغضبها ، حسبما تواترت النصوص بذلك عن أبيها [١] ، وهي تشبه أباها في كرائم صفاته ، ومعالي أخلاقه ، وقد ورثت منه ذاتيّاته وعناصره النفسيّة ، وهذه صورة موجزة من سموّ أخلاقها ، وما امتازت به من الصفات الرفيعة :

انقطاعها عليها السلام إلى الله عزّ وجلّ

من معالي أخلاق سيّدة النساء عليها السلام انقطاعها الكامل إلى الله تعالى ، فقد اعتصمت به ، ولجأت إليه في جميع أمورها ، وقد تجلّى ذلك في عبادتها ، وقد تحدّث الإمام الحسن عليه السلام عن عبادتها وإيمانها العميق بالله تعالى . قال :

« رَأَيْتُ أُمّي فاطِمَةَ عليها السلام فِي مِحْرَابِها لَيْلَةً ، فَلَمْ تَزَلْ راكِعَةً ساجِدَةً حَتّى اتَّضَحَ عَمُودُ الصُّبْحِ ، وَسَمِعْتُها تَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَتُسَمِّيهِمْ ، وَتُكْثِرُ مِنَ الدُّعاءِ لَهُمْ ، وَلَا تَدْعُو لِنَفْسِها بِشَيْءٍ ، فَقُلْتُ لَها : يا أُمّاهُ ، لِمَ لَا تَدْعِينَ لِنَفْسِكِ ؟

فَقالَتْ : يا بُنَيَّ ، الْجارُ ثُمَّ الدّارُ . . . » [٢] .

وقال الحسن البصري : ما كان في هذه الأمّة أعبد من فاطمة عليها السلام . إنّها كانت تقوم

---

(١) حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام : ٧٨.

(٢) المصدر المتقدّم : ٧١.

حتّى تتورّم قدماها[١].

لقد كانت بضعة الرسول ﷺ تنفق لياليها ساهرة في عبادة الله تعالى والتبتّل إليه، وقد ذكرنا عرضاً مفصّلاً لعبادتها وأدعيتها في كتابنا حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام.

برّها عليها السلام بالفقراء

من عناصر سيّدة النساء سلام الله عليها البرّ بالفقراء، والإحسان إلى الضعفاء، وهي التي نزلت فيها وفي زوجها وولديها سورة هل أتى، التي منها قوله تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾[٢].

وهذه صور من برّها:

١ - إنّها كانت تطحن الحبّ من الحنطة والشعير لفقراء جيرانها الذين يعجزون عن الطحن، وقد عيّرها بذلك المعتزّ بالله العبّاسي الذي لم يفقه من القيم الإسلاميّة شيئاً، فردّ عليه صفي الدين الحلّي بقوله:

عَيَّرْتَها بالرَّحَى والزّادِ تَطْحَنُهُ ... لا زالَ زادُكَ حَبّاً غيرَ مَطْحُونِ

٢ - إنّها كانت تستقي الماء بقربة، فتحملها لضعفاء جيرانها من الذين لا يتمكّنون من الحصول على الماء.

٣ - إنّها في ليلة زواجها من سيّد الوصيّين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أهدى لها أبوها رسول الله ﷺ ثوباً لتلبسه، ولمّا أصبح الصبح جاء رسول الله ﷺ فلم يرَ عليها

---

(١) حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: ٧١.

(٢) الدهر ٧٦: ٨ و ٩.

الثوب ، فسألها عن ذلك ، فقالت :

«أبَتاهُ ، لَقَدْ طَرَقَتْ عَلَيَّ الْبابَ فَتاةٌ فَقِيرَةٌ تَطْلِبُ ثَوْباً ، فَأَخَذْتُ ثَوْبِي الْقَدِيمَ لِأَدْفَعَهُ لَها إِلَّا أَنِّي تَذَكَّرْتُ قَوْلَ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(١) **، وَأَنا أُحِبُّ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ فَآثَرْتُها عَلىٰ نَفْسِي ، وَأَعْطَيْتُهُ لَها »**(٢) .

أيّة نفس ملائكيّة هذه النفس العظيمة التي مثّلت الإسلام بجميع قيمه . إنّها نفس محمّد صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين .

٤ ـ من مبرّات سيّدة نساء العالمين ما رواه جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر ، فلمّا فرغ منها جلس في القبلة والنّاس حوله ، فأقبل شيخ طاعن في السنّ وهو يشكو الجوع قائلاً :

يا نبيّ الله ، أنا جائع فأطعمني ، وعارٍ فأكسني .

فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله بإتيان بضعته ، فهي التي تسعفه ، فانطلق الأعرابي إلى بيت الزهراء سلام الله عليها ، فسلّم عليها ، وقال :

يا بنت محمّد ، أنا عاري الجسد ، جائع ، فواسيني يرحمك الله .

وكانت الزهراء عليها السلام في ضائقة اقتصاديّة ، فلم تجد شيئاً تسعفه به سوى جلد كبش ينام عليه ولداها الحسنان ، فقالت له : **« خُذْ هٰذا أَيُّها الشَّيْخُ »** ، فزهد فيه ، وردّه إليها ، فعمدت سلام الله عليها إلى عقد في عنقها فخلعته وناولته له ، كان قد أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة الشهيد ، فأخذه الأعرابي وانطلق نحو النبيّ صلى الله عليه وآله وقال : يا رسول الله ، أعطتني هذا العقد ، وقالت : بعه عسى الله أن يعوّضك به خيراً ، فبكى النبيّ صلى الله عليه وآله وقال : **«وَكَيْفَ لا يَصْنَعُ اللهُ بِكَ خَيْراً وَقَدْ أَعْطَتْكَهُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَيِّدَةُ بَناتِ آدَمَ»** .

---

(١) آل عمران ٣ : ٩٢.

(٢) حياة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام : ٦٥ و ٦٦.

وبادر الطيّب ابن الطيّب عمّار بن ياسر فاشترى العقد بعشرين ديناراً ، ومائتي درهم ، وبردة يمانيّة ، وراحلة تبلغه إلى أهله ، وأطعمه البرّ واللحم ، فانطلق الشيخ فرحاً مسروراً وهو يدعو لسيّدة النساء قائلاً :

اللّهمّ لا إله لنا سواك ، اللّهمّ اعطِ فاطمة ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت .

وعمد عمّار إلى العقد فطيّبه بالمسك ، ولفّه في بردة يمانيّة ، وأعطاه بيد عبد له ، وقال له : خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت له ، ومضى العبد فدفع العقد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمره النبيّ أن يمضي به إلى سيّدة النساء ، فأخذته وأعتقت العبد ، فلمّا سمع النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك ضحك ، وقال :

« عَظيمٌ بَرَكَةُ هٰذَا الْعِقْدِ ، أَشْبَعَ جائِعاً ، وَكَسا عَرْياناً ، وَأَغْنىٰ فَقيراً ، وَأَعْتَقَ عَبْداً ، وَرَجَعَ إِلىٰ صاحِبِهِ »(١) .

العفاف والحجاب

ومن سموّ أخلاق بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله العفاف والحجاب ، وقد بلغت القمّة في هذه الظاهرة ، وأعطت للمرأة المسلمة الدروس لتكون مربّية للجيل ، ومنشأة للأبناء الصالحين ، الذين يكونون قرّة عين لآبائهم وأُمّهاتهم ووطنهم ، وهذه شذرات من عفافها :

١ ـ روى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال : استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله :

« لِمَ حَجَبْتِهِ ، وَهُوَ لَا يَراكِ ؟ » .

فأجابته :

---

(١) حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام : ٦٦ و ٦٧ .

«**إِنْ لَمْ يَكُنْ يَرانِي ، فَإِنِّي أَراهُ**» .

وانبرى النبيّ صلى الله عليه وآله فأثنى على ابنته قائلاً:

«**أَشْهَدُ أَنَّكِ بَضْعَةٌ مِنِّي**»(١) .

لقد بلغت بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله أرقى مراتب الحشمة والعفّة والطهارة ، وعلى المرأة المسلمة أن تقتدي بسيّدة النساء لتبني مجتمعاً إسلاميّاً قائماً على الشرف والفضيلة .

٢ ـ قدّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سؤالاً إلى بضعة الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً:

«**مَتىٰ تَكُونُ الْمَرْأَةُ أَدْنىٰ مِنْ رَبِّها ؟**» .

فقالت عليها السلام :

«**أَنْ تَلْزَمَ قَعْرَ بَيْتِها . . .**» .

وعرض الإمام جوابها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال :

«**صَدَقَتْ ، إِنَّ فاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي**»(٢) .

إنّ الحجاب زينة وشرف للمرأة ، فمتى تزيّنت به كانت في أسمى مكانة ، وأعزّ منزلة ، ونالت إعجاب الجميع ، وأمّا إذا كانت مبتذلة وعارية ، فإنّ المجتمع يزهد فيها ، ولا تكون لها أيّة مكانة في النفوس .

إنّ حجاب سيّدة النساء عليها السلام نور وهداية لكلّ فتاة فاضلة تريد أن تعيش عزيزة في المجتمع .

موقفها عليها السلام الحاسم في نصرة الإمام عليه السلام

وكان من معالي أخلاقها موقفها الحاسم بصلابة وشموخ في نصرة زوجها الإمام

---

(١) حياة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام : ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) الجعفريات : ٩٥.

أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام ، فقد صمّم المهاجرون من قريش بزعامة عمر بن الخطّاب على صرف الخلافة عن الإمام وتقليدها لأبي بكر ، وكانت سلام الله عليها تؤمن إيماناً لا يخامره أدنى شكّ أنّ زوجها أحقّ بمنصب النبيّ صلى الله عليه وآله وأولى بمركزه .

ومن المؤكّد أنّ ذلك لم يكن ناشئاً عن عاطفة أو غيرها من الأمور التي تؤول إلى التراب ، فإنّ شأنها بعيد كلّ البعد عن الانقياد لغير الحقّ ، فقد أفاض عليها أبوها صلى الله عليه وآله بمكوّناته النفسيّة ، وغذّاها بالإيمان الخالص لتكون قائدة لنساء أُمّته ، ترشدهنّ إلى معالم الحياة الكريمة ، وتهديهنّ للتي هي أقوم .

لقد نظرت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله بعمق وشمول إلى مَن هو أولى بقيادة الأُمّة بعد رحيل أبيها إلى حظيرة القدس ، فلم ترَ أحداً أحقّ من زوجها بهذا المنصب الخطير الذي تُناط به سلامة الأُمّة وصيانتها من الانحراف ، وضمان مستقبلها وقيادتها لأُمم العالم وشعوب الأرض ، فقد توفّرت فيه جميع الصفات الفاضلة التي يجب أن يتّصف بها القائد الأعلى للأُمّة ، والتي منها :

١ ـ إنّ الإمام كان أوّل مَن آمن بالإسلام ووعى قيمه وأهدافه ، كما أنّه أوّل مَن أقام الصلاة في بيت الله الحرام مع النبيّ صلى الله عليه وآله .

٢ ـ كان الإمام عليه السلام القوّة الضاربة التي حمت الإسلام أيّام محنته وغربته ، وكان سيفه منجل الموت الذي حصد الرؤوس العفنة من مشركي قريش ، وذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب ، فهو أوّل مجاهد في الإسلام ، وأبرز بطل في القوّة العسكريّة ، التي حملت رسالة الإسلام ، ورفعت كلمة الله تعالى في الأرض .

إنّ الإمام عليه السلام صاحب المواقف المشهورة ، كيوم بدر ويوم حنين ويوم الأحزاب وغيرها ، فقد قام الإسلام بسيفه ، وتأسّس على جهاده ، فلم تفتح ثغرة على الإسلام من المشركين إلّا تصدّى الإمام إلى سدّها ، وقد أسند النبيّ صلى الله عليه وآله القيادة العليا

في جيشه للإمام عليه السلام في جميع حروبه ، وما ولج الإمام عليه السلام حرباً إلّا كان الفتح على يده ، وهو الذي أذلّ اليهود وقهرهم ، وفتح حصونهم ، وكسر شوكتهم .

٣ ـ إنّ الإمام عليه السلام كان أعلم الصحابة ، وأدراهم بأحكام الدين وشؤون الشريعة ، خصوصاً في شؤون القضاء ، وقد قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله : « **أَقْضاكُم عَلِيٌّ** » ، واشتهرت كلمة عمر فيه : « لولا عليّ لهلك عمر » ، ولم يشاركه أي أحد من الصحابة في هذه الموهبة ، وقد ألمحنا إلى صور من قضائه في موسوعته عليه السلام : قضاء الإمام من ذخائر الفكر الإسلامي .

وكما كان الإمام أعلم المسلمين بشؤون القضاء وأحكام الدين ، فقد كان من أعلمهم في الشؤون السياسيّة والإداريّة وأنظمة الحكم ، وعهده للزعيم مالك الأشتر من أوثق الأدلّة على ذلك ، فقد حفل بصورة شاملة بالشؤون السياسيّة بما لم يحفل به أي دستور سياسي في الإسلام وغيره من الوثائق السياسيّة في العالم ، فقد صوّر هذا العهد عمق سياسة الإمام عليه السلام في الشؤون السياسيّة العالمية ، وتفوّقه على جميع المخطّطين للسياسة في العالم .

وكانت رسائله إلى ولاته وعمّاله من مصادر السياسة الواعية الرشيدة التي ينعم النّاس في ظلالها .

وكما كان الإمام عليه السلام أعلم المسلمين في الأُمور السياسيّة ، فقد كان أعلمهم بسائر العلوم الأُخرى ، كعلم الكلام والفلسفة والفقه وعلم الحساب والنحو .

يقول العقّاد : « إنّ الإمام فتق أبواباً كثيرة من العلوم تربو على ثلاثين علماً ، ومع هذه الثروات العلميّة التي يملكها الإمام عليه السلام كيف يقدم غيره عليه والله تعالى يقول في كتابه : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[١] .

---

(١) الزّمر ٣٩ : ٩.

وليس أدعى إلى السخرية والاستهزاء من القول بجواز تقديم المفضول على الفاضل ،كما يذهب لذلك البعض ، فإنّ هذا المنطق يتجافى مع القيم الإسلاميّة التي ألزمت بتقديم العلماء على غيرهم ، فإنّ إقصاءهم عن مكانتهم ، وتقديم الغير عليهم يوجب التدمير الكامل لقيم الأمّة ومقوّماتها الفكريّة والعلميّة .

٤ ـ من الصفات الرفيعة التي يملكها الإمام عليه السلام نكرانه للذات ، وإيثاره لمصلحة الأمّة على كلّ شيء ، واحتياطه التامّ في أموال المسلمين ، وهذه الظاهرة قد تجلّت بصورة واضحة في سياسته حينما تولّى زعامة الأمّة بعد الإجهاز على عثمان عميد الأمويّين ، فقد زهد في جميع مظاهر الحياة الناعمة ، وبإجماع مؤرّخي الأحداث في الإسلام أنّه لم يدّخر لنفسه ولا لأهله أي شيء من أموال الدولة ، وتحرّج فيها كأشدّ ما يكون التحرّج ، وساس المسلمين سياسة قوامها العدل الخالص والحقّ المحض ، وساوى بين جميع المواطنين ، مسلمين وغيرهم ، في جميع الحقوق والواجبات .

ومن المؤكّد أنّه لم يعرف الشرق العربي وغيره حاكماً عادلاً كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نكرانه للذات ، وعدم استخدامه للسلطة في جميع المنافع والأغراض السياسية .

٥ ـ من الصفات البارزة في شخصيّة الإمام رائد العدالة الكبرى في الأرض تقوى الله تعالى والإنابة إليه ، فهو زعيم الموحّدين وإمام المتّقين ، وهو القائل :

« لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقالِيمَ السَّبْعَةَ بِما تَحْتَ أَفْلاكِها عَلىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ تَعالىٰ فِي جُلْبِ شَعِيرَةٍ أَسْلُبُها مِنْ فَمِ جَرادَةٍ ما فَعَلْتُ » .

وبالإجماع أنّه كان داعية الله تعالى الأكبر بعد أخيه وابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن مظاهر تقواه أنّه امتنع من إجابة عبدالرحمن بن عوف ، حينما ألحّ عليه بعد مقتل عمر أن يقلّده الخلافة بشرط أن يسير بسيرة الشيخين ، فأبى .

ومن المؤكّد أنّ هذا طعن صريح في سياستهما وسيرتهما ، ولو كان الإمام

من عشّاق الملك والسلطان لأجابه إلى ذلك، ثمّ يسير بسياسته للدولة على وفق مخطّطاته الإسلاميّة، فإن اعترض عليه ابن عوف فيعتقله أو ينفيه.

إنّ الإنسانيّة في جميع فترات التأريخ لم ترَ حاكماً مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عدله وورعه وتقواه، وتجرّده من جميع المحسوبيّات، فقد جهد نفسه وحمّلها من أمره رهقاً من أجل أن يقيم في الشرق العربي حكومة قوامها العدل الخالص والحقّ المحض.

٦- إنّ بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله قد رأت أباها قد رشّح زوجها الإمام عليه السلام لمنصب الخلافة من بعده، وعيّنه قائداً لمسيرة أُمّته، وأخذ البيعة له من المسلمين في غدير خم، فقد نزلت عليه الآية الكريمة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾[1]، فقام النبيّ بعد هذا الانذار من الله، فجمع الحجّاج في صعيد خم الذين قفلوا من حجّ بيت الله الحرام، وتلا عليهم الآية الكريمة، وعرّفهم بما أمر الله تعالى به من تعيين الإمام خليفة من بعده، فبايعه المسلمون بالإمرة والولاية، وبايعته أُمّهات المؤمنين، وهنّأه بالخلافة عمر بن الخطّاب، وقال له: «هنيئاً يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة...».

إنّ البيعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في غدير خم جزء من رسالة الإسلام، فمن أنكرها فليس برشيد، ومضافاً إلى بيعة المسلمين للإمام في غدير خم، فإنّ هناك النصوص المتواترة من النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام عليه السلام والإشادة بمنزلته، وسموّ مكانته، كقوله صلى الله عليه وآله: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، وقوله: «**عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ مَعَهُ**»، وأنّه مع القرآن والقرآن معه، وقوله: «**أَنا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها**»، وغير ذلك من الأحاديث التي دوّنتها الصحاح والسنن، وليس الغرض

---

(١) المائدة ٥: ٦٧.

منها إلّا ترشيح الإمام لمنصب الخلافة ، وإقامته إماماً وهادياً للأمّة من بعده .

وعلى أي حال ، لقد آمنت بضعة الرسول بأنّ الإمام هو خليفة أبيها الشرعي ، فرأت أنّ الواجب عليها مناهضة حكومة أبي بكر ، وإرجاع الخلافة إلى خطّها الرسالي ، وقد وقف أبو بكر وصاحبه عمر موقفاً اتّسم بالشدّة والغلظة وعدم المبالاة ، فقد هجم عمر على دارها ليخرج الإمام ليبايع أبا بكر ، ومعه عصابة من شرطته ومعهم الحطب ، وقد رفع عمر عقيرته قائلاً :

« والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على مَن فيها » .

فقيل له : إنّ فيها فاطمة .

قال : وإن[١] .

فتلقّته سيّدة النساء على الباب فقالت له :

« أَتَراكَ مُحْرِقاً عَلَيَّ بابِي ؟ » .

قال : نعم ، وذاك أقوى ممّا جاء به أبوك[٢] .

خطابها عليها السلام التأريخي

وضاقت الدنيا على بضعة الرسول صلى الله عليه وآله ، فانبرت سلام الله عليها إلى الجامع النبوي لتقيم الحجّة الحاسمة على أبي بكر ، فخطبت خطابها التاريخي الذي وضعت فيه النقاط على الحروف ، وبرزت كأعظم سيّدة خلقها الله تعالى في الأرض ، وذلك في مواهبها وعبقريّاتها وبما أُوتيت من روائع الحكمة وفصل الخطاب ، ونظراً لأهمّية خطابها فقد كان السادة العلويّون في العصور الأُولى يلزمون أبناءهم بحفظه .

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ : ١٩ ، وغيرها .

(٢) أنساب الأشراف : ١ : ٥٨٦ .

لقد كان عمر سيّدة النساء تسعة عشر عاماً ، وخطبت خطابها التأريخي الخالد الذي يعجز عن الإتيان بمثله أي خطيب ملهم في العالم ، ولكنّ ذلك ليس غريباً على سيّدة النساء التي غذّاها أبوها سيّد الكائنات بمعارفه وعلومه ، وأفاض عليها مكوّناته النفسيّة حتّى صارت صورة صادقة عنه .

وعلى أي حال ، فإنّ خطاب سيّدة نساء العالمين سلام الله عليها كان ثورة عارمة على حكومة أبي بكر ، وقد حاولت أن تطوي عروش دولته ، وتنسف قواعد حكومته ، إلّا أنّه استطاع بما يملك من قابليّات دبلوماسيّة أن يخمد الثورة ويطفئ شرارتها .

وقد ذكرنا نصّ خطابها مع التعليق عليه في كتابنا حياة سيّدة النساء فاطمة عليها السلام .

وصاياها عليها السلام الخالدة

وطافت بريحانة الرسول وبضعته الآلام الموهنة من غصب حقّها ومعاملتها معاملة عادية ، وغير ذلك من المحن القاسية التي عانتها ، ففتكت بجسمها الشريف الأمراض فلازمت الفراش ، وأخذت تذوي كما تذوي الأزهار عند الضماء ، ومشى الموت إليها سريعاً وهي في شبابها الغضّ الأهّاب ، ولمّا بدت لها طلائع الرحيل إلى الله تعالى أوصت بوصيّتها البالغة الأهمّية ، والتي فيها الطعن بحكومة أبي بكر وعدم شرعيّتها ، وكان من أعظم بنودها :

١ ـ أن لا يحضر تشييع جثمانها المقدّس أحد من الذين هضموها واعتدوا عليها ؛ لأنّهم أعداؤها وأعداء أبيها .

٢ ـ أن يوارى جثمانها في غلس الليل البهيم .

٣ ـ أن يعفى موضع قبرها ليكون رمزاً لغضبها على القوم غير قابل للشكّ والتأويل على ممرّ القرون والأجيال وإلى هذا المعنى أشار شريف مكّة بقوله :

قُل لنا أيُّها المُجادِلُ في القَولِ ... عَـنِ الغـاصِبَيْنِ إذْ غَـصباها
أَهُما ما تَـعَمَّدَاهـا كـما قُـلتَ ... بِـظُلْمٍ كَـلَّا وَلَا اهْـتَضَماها
فَـلِماذا إذْ جُـهِّزَتْ لِـلقاءِ اللهِ ... عِندَ المَـماتِ لَـم يَـحْضُرَاهـا
شَيَّعَتْ نَعْشَها مَلائِكَةُ الرّحمنِ ... رِفْـقاً بِـها وَمـا شَـيَّعاها
كانَ زُهْداً في أَجْرِها أَمْ عَـناداً ... لِأَبـيها النَّـبِيِّ لَـم يَـتْبَعاها
أَمْ لِأَنَّ البَـتُول أَوْصَتْ بِـأَنْ لا ... يَشْـهَدا دَفْـنَها فَـما شَـهِداهـا
أَمْ أَبُـوها أَسَـرَّ ذاكَ إِلَيْـها ... فَـأَطاعَتْ بِـنْتُ النَّبِيِّ أَبَـاها
كيفَ ما شِئْتَ قُلْ كَفاكَ فهذِي ... فِرْيَةٌ قد بَلَغْتَ أَقْـصَى مَـدَاهـا

ونفّذ الإمام عليه السلام جميع وصاياها التي وضعت فيها الحجر الأساس لمبدأ أهل البيت عليهم السلام ، وبهذا انطوى الحديث عن سموّ أخلاق بضعة الرسول صلى الله عليه وآله التي هي امتداد لأخلاق أبيها صلى الله عليه وآله الذي أقام قواعد الفكر في دنيا الإسلام .

الإمام الحسن عليه السلام

الإمام الحسن عليه السلام من أفذاذ العترة الطاهرة، ومن نجومها المشرقة، فهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنّة، وإمام إن قام أو قعد، حسب ما نطقت به الأخبار في حقّه من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان سلام الله عليه المثل الأعلى لمكارم الأخلاق، وسموّ الذات، وقد شهد له بذلك ألدّ أعدائه مروان بن الحكم حينما كان يبادر لحمل جنازته، فأنكر عليه ذلك الإمام الحسين عليه السلام، وقال له: «**أَتَحْمِلُ جَنازَتَهُ وَقَدْ كُنْتَ تُجَرِّعُهُ الْغُصَصَ وَالْآلامَ**»، فقال: كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال.

وعلى أيّ حال، فهذا عرض موجز لبعض ما أُثر عنه من القول في مكارم الأخلاق ومساوئها، وما نقل عنه الرواة من سموّ الأخلاق، وفيما يلي ذلك:

مكارم الأخلاق

تحدّث الإمام عليه السلام عن مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، فقال:

«**مَكارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرَةٌ: صِدْقُ اللِّسانِ، وَإِعْطاءُ السَّائِلِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْمُكافَئَةُ بِالصَّنائِعِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَالتَّذَمُّمُ[1] عَلَى الْجارِ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ لِلصّاحِبِ، وَقِرىٰ**

---

(١) **التذمّم**: الحماية.

الضَّيْفِ ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَياءُ »(١) .

وهذه الصفات هي أُصول الأخلاق الكاملة التي ترفع الإنسان وتزدهر بها شخصيّته.

وسأله معاوية فقال له : يا أبا محمّد ، ثلاث خلال لم أجد من يجبيني عنها ؟

« ما هِيَ ؟ » .

ـ المروءة ، الكرم ، النجدة .

فأجابه الإمام عنها : **« أَمّا الْمُرُوْءَةُ : فَإِصْلَاحُ الرَّجُلِ أَمْرَ دِيْنِهِ ، وَحُسْنُ قِيامِهِ عَلىٰ مالِهِ ، وَإِفْشاءُ السَّلَامِ ، وَالتَّحَبُّبُ إِلَى النّاسِ .**

الْكَرَمُ : الْعَطِيَّةُ قَبْلَ السُّؤَالِ ، وَالتَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالْإِطْعامُ في الْمَحْلِ .

النَّجْدَةُ : الذَّبُّ عَنِ الْجارِ ، وَالْمُحاماةُ في الْكَرِيْهَةِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الشَّدائِدِ »(٢) .

حكى كلام الإمام عليه السلام حقيقة هذه الصفات التي هي من معالي الأخلاق .

جاءه شخص وسأله قائلاً : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، مَن أحسن النّاس ؟

فقال عليه السلام : **« مَنْ أَشْرَكَ النّاسَ في عَيْشِهِ »**(٣) .

وألمّ جواب الإمام عليه السلام بحقيقة الكرم الذي هو من أسمى الصفات .

مساوئ الأخلاق

تحدّث الإمام عن مساوئ الأخلاق التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق ، فقال عليه السلام : **« هَلَاكُ النّاسِ في ثَلَاثٍ : الْكِبْرُ ، الْحِرْصُ ، الْحَسَدُ »** .

وبيّن الإمام كيفيّة هلاك النّاس في هذه الخصال ، فقال :

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام ١ : ٣٤٤ ، نقلاً عن تاريخ اليعقوبي .

(٢) حياة الإمام بن عليّ عليهما السلام : ١ : ٣٤٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٢٠٢.

« الْكِبْرُ : بِهِ هَلَاكُ الدّيْنِ ، وَبِهِ لُعِنَ إِبْلِيْسُ . الْحِرْصُ : عَدُوُّ النَّفْسِ ، وَبِهِ أُخْرِجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ . الْحَسَدُ : رَائِدُ السُّوْءِ ، وَبِهِ قَتَلَ قابِيْلَ هابِيْلَ »[١] .

وهذه الخصال من أُمّهات الرذائل التي تدفع الإنسان إلى اقتراف الموبقات والجرائم . وقد حذّر عليه‌السلام من سوء الخُلق ، فقال : **« أَشَدُّ مِنَ الْمُصيْبَةِ سُوْءُ الْخُلُقِ »**[٢] .

إنّ سوء الأخلاق تجرّ للإنسان المصاعب والفتن وتلقيه في شرّ عظيم .

مكارم أخلاقه

ضارع الإمام الحسن عليه‌السلام جدّه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله في سموّ أخلاقه التي كانت مثالاً للرحمة الإلٰهيّة التي تملأ القلوب رجاء ورحمة ، وهذه شذرات من معالي أخلاقه .

١ ـ التواضع

كان الإمام الحسن عليه‌السلام وحيد عصره في تواضعه ونكرانه للذات ، وهذه أمثلة منها :

١ ـ اجتاز الإمام عليه‌السلام على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز ، وهم يأكلون منها ، فدعوه إلى مشاركتهم ، فأجابهم إلى ذلك وهو يقول : **« إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ »** .

ولمّا فرغ من تناول الطعام معهم دعاهم إلى ضيافته ، فأطعمهم وكساهم وأغدق عليهم ببرّه وإحسانه[٣] .

---

(١) نور الأبصار : ١١٠ .

(٢) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما‌السلام : ١ : ٣٦٨ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٣١٣ .

٢ ـ ومن تواضعه أنّه مرّ على صبيان يتناولون الطعام ، فدعوه إلى مشاركتهم ، فأجابهم إلى ذلك ، ثمّ حملهم إلى منزله ، فمنحهم بكرمه وجوده ، وقال :

« الْيَدُ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ ما أَطْعَمُوني ، وَنَحْنُ نَجِدُ مِمّا أَعْطَيْناهُمْ »(١) .

٣ ـ ومن عظيم تواضعه أنّه كان جالساً في مكان وأراد الانصراف منه فجاءه فقير ، فرحّب به ولاطفه ، وقال له :

« إِنَّكَ جَلَسْتَ عَلى حِينِ قيامٍ مِنّا ، أَفَتَأْذَنُ لِي بِالإِنْصِرافِ ؟ »

فقال له الفقير : نعم يابن رسول الله(٢) .

إنّ التواضع دليل على سموّ النفس وكمالها ، وفي الحديث : **« إِنَّ التَّواضُعَ لا يَزِيْدُ الْعَبْدَ إِلَّا رِفْعَةً ، فَتَواضَعُوا يَرْحَمُكُمُ اللهُ »**(٣) .

٢ ـ الحلم

كان ريحانة رسول الله ﷺ من أحلم النّاس ، وكان يقابل المسيء له بالعفو والإحسان ، ومن آيات حلمه :

١ ـ اجتاز على الإمام شخص من أهل الشام ممّن غذّاهم معاوية بالكراهية والحقد على أهل البيت عليهم‌السلام فقابل الإمام بالسبّ والشتم ، وهو ساكت لم يرد عليه شيئاً ، وبعد فراغه من سبّه قابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر ، قائلا له :

« أَيُّها الشَّيْخُ ، أَظُنُّكَ غَرِيباً ، لَوْ سَأَلْتَنا أَعْطَيْناكَ ، وَلَوِ اسْتَرْشَدْتَنا أَرْشَدْناكَ ، وَلَوِ اسْتَحْمَلْتَنا حَمَلْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ جائِعاً أَطْعَمْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مُحْتاجاً أَغْنَيْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ طَرِيداً آوَيْناكَ » .

---

(١) الصبّان (المطبوع على هامش نور الأبصار) : ١٧٦ .

(٢) تاريخ الخلفاء / السيوطي : ٧٣ .

(٣) نهاية الارب في فنون الأدب : ٣ : ٤٤٣ .

وما زال يلاطف الشامي بناعم القول ، والكلام الطيّب حتّى ذهل الرجل ولم يطق جواباً ، وبقي حائراً كيف يعتذر للإمام ويمحو ما اقترفه من ذنب ، وراح يقول :

الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء[١] .

٢ ـ كانت عند الامام عليه السلام شاة ، فرأى قد كسرت رجلها ، فقال لغلامه :

« مَنْ فَعَلَ هٰذا بِها ؟ » .

ـ أنا .

« لِمَ ذٰلِكَ ؟ » .

ـ لأجلبَ لك الهمّ !

فتبسّم الإمام وقال له :

« لَأَسُرَّنَّكَ » .

ثمّ أعتقه ، وأجزل له العطاء[٢] .

وهكذا كان الإمام عليه السلام للإنسانيّة الكاملة ، ورمزاً للخُلق الرفيع لا يثيره الغضب ، ولا يزعجه من أساء إليه ، قد وضع قول الله نصب عينيه : ﴿ **اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[٣] .

٣ ـ السخاء

ومن معالي أخلاقه السخاء ، وبذله للخير بداعي الخير ، وقد تجلّت هذه

---

(١) الكامل / المبرّد : ١ : ١٩٠ . مناقب آل أبي طالب : ٢ : ١٤٩ . وجاء فيه أنّ الشامي انصرف ، وهو يقول : والله ما على وجه الأرض أحبّ إليّ منه .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ١٤٧ .

(٣) فصّلت ٤١ : ٣٤ .

الظاهرة الكريمة بأسمى صورها عند أبي محمّد عليه السلام، حتّى لقّب بكريم أهل البيت الذين هم معدن الكرم والإحسان، وقد روى المؤرّخون صوراً مشرقة من معالي كرمه، كان منها:

١ـ جاءه أعرابي سائلاً، فأمر عليه السلام أن يعطوه ما في الخزانة، وكان فيها عشرة آلاف درهم، فأعطوها له، فذهل الأعرابي وقال: يا سيّدي، هلّا تركتني أبوح بحاجتي؟

فأجابه الإمام بلطف قائلاً:

«نَحْنُ أُناسٌ نَوالُنا خَضِلُ ... يَرْتَعُ فِيهِ الرَّجاءُ وَالأَمَلُ
تَجُودُ قَبْلَ السُّؤالِ أَنْفُسُنا ... خَوفاً علىٰ ماءِ وَجْهِ مَنْ يَسَلُ
لَوْ يَعْلَمُ البَحْرُ فَضْلَ نائِلِنا ... لَفاضَ مِنْ بَعْدِ فَيْضِهِ خَجِلُ»[١]

٢ـ اجتاز الإمام عليه السلام على غلام أسود بين يديه رغيف يأكل منه، ويدفع لكلب كان عنده شيئاً آخر من الرغيف، فقال له الإمام:

«ما حَمَلَكَ عَلىٰ ذٰلِكَ ؟».

ـ إنّي لأستحي أن آكل ولا أُطعمه.

ورأى الإمام فيه خصلة كريمة من أحبّ الخصال عنده، فأحبّ أن يجازيه على صنعه، فأمره أن يقيم في مكانه ولا يبرح عنه، وبادر فاشتراه واشترى الحائط[٢] الذي هو فيه، وأعتقه، وملّكه الحائط[٣].

٣ـ جاء شخص طالباً منه أن ينعم عليه بمعروفه وإحسانه، فقال له الإمام معتذراً متلطّفاً:

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ١: ٣١٨.

(٢) **الحائط**: البستان.

(٣) البداية والنهاية: ٨: ٣٨.

«ما هذا حقُّ سؤالك ، يَعْظُمُ لَدي مَعْرِفَتي بِما يَجِبُ لَكَ ، وَيَكْبُرُ عَلَيَّ وَيَدايَ تَعْجَزُ عَنْ نَيْلِك بِما أَنْتَ أَهْلُهُ ، وَالْكَثيرُ في ذاتِ اللهِ تَعالىٰ قَليلٌ ، وَما في مُلْكي وَفاءٌ لِشُكْرِك ، فَإنْ قَبِلْتَ مِنّا الْمَيْسُورَ ، وَرَفَعْتَ عَنّا مَؤونَةَ الإحْتِفالِ وَالإهْتِمامِ فَعَلْتُهُ . . .» .

فقابله الرجل بالأدب والإجابة لما عرضه عليه قائلاً :

يابن رسول الله ﷺ ، أقبل القليل ، وأشكر العطيّة ، وأعذر على المنع . . .

وأمر الإمام عليه‌السلام وكيله وحاسبه ، وقال له : **«هاتِ الْفاضِلَ مِنَ الْمالِ»** ، فأحضره ، وكان خمسين ألف درهم ، فدفعها له ، ولم يكتف بذلك ، وإنّما قال لوكيله : **«ما فَعَلْتَ بِالْخَمْسِ مائَةِ دينارٍ الَّتي عِنْدَكَ ؟»** فقال : هي عندي ، فأمره بدفعها له ، وهو يعتذر منه[1] .

إنّ قول الإمام عليه‌السلام : **«الْكَثيرُ في ذاتِ اللهِ قَليلٌ»** ينمّ عن عطائه وبرّه ، إنّما هو لله تعالى لا يبتغي من أحد جزاءً ولا شكوراً .

٤ ـ اجتاز الإمام في بعض أزقّة المدينة ، فسمع رجلاً يسأل الله تعالى أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانطلق إلى بيته ، وأرسلها له بالوقت[2] .

هذه بعض البوادر من كرمه وجوده ، فقد كان السخاء من عناصره ومقوّماته ، وقد قيل له : لأي شيء لا نراك تردّ سائلاً ؟

فأجاب : **«إنّي لِلّهِ سائِلٌ ، وَفيهِ راغِبٌ ، وَأَنا أَسْتَحي أَنْ أَكُونَ سائِلاً وَأَرُدَّ سائِلاً ، وَإنَّ اللهَ عَوَّدَني عادَةً أَنْ يُفيضَ نِعَمَهُ عَلَيَّ ، وَعَوَّدْتُهُ أَنْ أُفيضَ نِعَمَهُ عَلَى النّاسِ ، فَأَخْشىٰ إنْ قَطَعْتُ الْعادَةَ أَنْ يَمْنَعَني الْعادَةَ»** ، وأنشأ يقول :

«إذا ما أتاني سائِلٌ قُلتُ مَرْحَباً ... بِمَنْ فَضْلُهُ فَرْضٌ عَلَيَّ مُعَجَّلُ

---

(١) دائرة المعارف / البستاني : ٧ : ٣٩ .

(٢) الصبّان : ١١٧ .

وَمَنْ فَضْلُهُ فَضْلٌ عَلىٰ كُلِّ فاضِلٍ ... وَأَفْضَلُ أَيّامِ الْفَتىٰ حِينَ يُسْأَلُ »[١]

ونسبت له أبيات من الشعر في الكرم والسخاء ، منها :

إِنَّ السَّخاءَ عَلَى الْعِبادِ فَرِيضَةٌ ... للهِ يَقرَأُ فـي كِتابٍ مُحْكَمِ
وَعَدَ الْعِبادَ الأَسْخِياءَ جِنانَهُ ... وَأَعَدَّ لِلْبُخَلاءِ نارَ جَهَنَّمِ
مَنْ كانَ لا تَنْدىٰ يَداهُ بِنائِلٍ ... لِلرّاغِبِينَ فَلَيْسَ ذاكَ بِمُسْلِمِ[٢]

كما نسب له هذان البيتان :

خَلَقْتَ الْخَلائِقَ مِنْ قُدْرَةٍ ... فَمِنْهُم سَخِيٌّ وَمِنْهُم بَخيل
فَأَمّا السَّخِيُّ فَفي راحَةٍ ... وَأَمّا الْبَخيلُ فَحُزنٌ طَويل[٣]

وقد ازدحمت على بابه المرتزقة والمحتاجون ، فكان يغدق عليهم ببرّه وإحسانه ، وقد ذكرنا عرضاً مفصّلاً من سخائه في كتابنا حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما‌السلام .

٤ ـ الزهد

ومن معالي أخلاق سبط الرسول وريحانته الزهد في الدنيا ، فقد شابه جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وأباه عليه‌السلام بهذه الظاهرة ، فتجرّد عن جميع رغبات الحياة ومباهجها ، ونسب له في الزهد هذا الشعر :

« لَكِسْرَةٌ مِنْ خَسِيسِ الْخُبْزِ تُشْبِعُني ... وَشَرْبَةٌ مِنْ قَراحِ الماءِ تَكْفِيني
وَطَرَّةٌ مِنْ دَقيقِ الثَّوبِ[٤] تَسْتُرُني ... حَيّاً وَإِنْ مِتُّ تَكْفِيني لِتَكْفِيني »[٥]

---

(١) نور الأبصار : ١١١ .

(٢) الطبقات الكبرى / الشعراني : ١ : ٢٣ . جوهرة الكلام / قراغولي : ١١٣ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢ : ١٥٦ .

(٤) **الدقيق من الثياب** : حقيرها .

(٥) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما‌السلام : ١ : ٣٢٨ .

وقد رسم على خاتمه ما يتمثّل بهذا البيت :

قَدِّمْ لِنَفْسِكَ ما اسْتَطَعْتَ مِنَ التُّقىٰ ... إنَّ المَنِيَّةَ نازِلٌ بِكَ يا فَتىٰ
أَصْبَحْتَ ذا فَرَحٍ كَأَنَّكَ لا تَرىٰ ... أَحْبابَ قَلْبِكَ في المَقابِرِ والبِلىٰ(١)

وكان كثيراً ما يتمثّل بهذا البيت :

يا أَهْلَ لَذّاتِ دُنياً لا بَقاءَ لَها ... إنَّ اغْتِراراً بِظِلٍّ زائِلٍ حَمَقُ(٢)

وكان طعامه ـ في الأكثر ـ الخبز والملح ، وقد روى مدرك بن زياد ، قال :

كنّا في حيطان ابن عبّاس ، فجاء الحسن والحسين وابنا العبّاس ، فجلسوا على ضفاف بعض السواقي ، فقال الحسن :

« **يا مُدْرِكُ ، هَلْ عِنْدَكَ غَذاءٌ ؟** » .

فقلت : نعم ، فبادرت وجئت له بخبز وملح وطاقتين من بقل ، فتناول منها وقال : « **يا مُدْرِكُ ، ما أَطْيَبَ هٰذا** » ، وجيء له بطعام جيّد ، فقال لمدرك : « **اجْمَعِ الْغُلْمانَ وَقَدِّمْ لَهُمُ الطَّعامَ** » ، فأكلوا منه ، ولم يتناول منه شيئاً .

فقال له مدرك : لماذا لم تأكل منه ؟

فقال : « **إنَّ ذلِكَ الطَّعامُ أَحَبُّ عِنْدِي** »(٣) .

وقد أجمع المترجمون له أنّه كان من أزهد النّاس بعد جدّه وأبيه ، وقد ألّف في زهده محمّد بن بابويه القمّي كتاباً أسماه زهد الحسن(٤) .

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام : ١ : ٣٢٨ .
(٢) الفصول المهمّة : ١٦٢ .
(٣) تاريخ مدينة دمشق : ٢١٤ .
(٤) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام : ١ : ٣٣٠ .

٥ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ

من معالي أخلاق أبي محمّد الإنابة إلى الله تعالى والانقطاع إليه، فلم يرَ النّاس مثله في عبادته وطاعته لله تعالى.

ويقول الرواة: أنّه لم يرَ في وقت من الأوقات إلّا ولسانه يلهج بذكر الله تعالى[١] تحميداً وتسبيحاً، وكان إذا ذكر الجنّة والنّار اضطرب اضطراب السليم[٢]، فسأل الله الجنّة، وتعوّذ من النّار، وإذا ذكر الموت وما يعقبه من البعث والنشور بكى بكاء الخائفين والمنيبين[٣].

وإذا ذكر العرض على الله تعالى شهق شهقة يُغشى عليه منها[٤].

ومن مظاهر عبادته ما يلي:

٦ ـ وضوؤه وصلاته عليه السلام

كان الإمام عليه السلام إذا أراد الوضوء تغيّر حاله، وداخله خوف شديد من الله تعالى، فيصفرّ لونه، وترتعد فرائصه، وإذا فرغ من الوضوء، وأراد الدخول إلى المسجد رفع صوته قائلاً:

«إلـهي ضَيْفُكَ بِبابِكَ، يا مُحْسِنُ قَدْ أَتاكَ الْمُسيءُ فَتَجاوَزْ عَنْ قَبيحِ ما عِنْدَنا بِجَميلِ ما عِنْدَكَ يا كَريمُ»[٥].

وإذا أقبل على الصلاة ظهر عليه الخوف حتّى ترتعد جميع أعضائه، وإذا فرغ

---

(١) أمالي الصدوق: ١٠٨.

(٢) **السليم**: مَن لسعه العقرب.

(٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ١: ٣٢٦.

(٤) أمالي الصدوق: ١٠٨.

(٥) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ١: ٣٢٧.

من صلاة الفجر لا يتكلّم إلّا بذكر الله تعالى حتّى تطلع الشمس[١].

٧ ـ حجّه عليه السلام

ومن مظاهر إنابته لله تعالى وعظيم طاعته له أنّه حجّ بيت الله الحرام خمساً وعشرين حجّة ماشياً على قدميه، وكانت النجائب[٢] تقاد بين يديه[٣].

وسئل عن كثرة حجّه ماشياً، فأجاب:

«إِنِّي أَسْتَحِي مِنْ رَبِّي أَلَّا أَمْضِيَ إِلىٰ بَيْتِهِ ماشِياً عَلىٰ قَدَمي»[٤].

٨ ـ التصدّق بأمواله عليه السلام

قدّم الإمام الزكي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ غالٍ ونفيس لمرضاة الله تعالى، فقد خرج عن جميع ما يملك مرّتين، وتصدّق به على الفقراء، كما شاطر الله تعالى أمواله ثلاث مرّات حتّى أعطى نعلاً، وأمسك أُخرى[٥].

٩ ـ تلاوته عليه السلام للقرآن بخشوع

كان الإمام عليه السلام يتلو الذّكر الحكيم بإمعان وخشوع، فلا يمرّ بآية فيها نداء للمؤمنين إلّا قال: **«اللّهُمَّ لَبَّيْكَ»**[٦]، وكان يقرأ في كلّ ليلة سورة الكهف[٧].

---

(١) بحار الأنوار: ١٠: ٩٣.

(٢) **النجائب**: جمع، مفرده: نجيبة، وهي الفاضلة من الحيوانات، وفي بعض المصادر: وأنّ الجنائب لتقاد بين يديه، والجنائب: جمع جنيبة، وهي الدابّة التي تقاد.

(٣) اللمعة الدمشقيّة ـ كتاب الحجّ: ٢: ١٧٠، وذكر الصدوق في أماليه: إنّه ربّما مشى حافياً.

(٤) و (٧) تاريخ ابن كثير: ٨: ٣٧.

(٥) أُسد الغابة: ٢: ١٣. ألف باء: ١: ٤١٧.

(٦) أمالي الصدوق: ١٠٨.

١٠ ـ قضاء حوائج النّاس

وكان الإمام عليه السلام ولعاً بقضاء حوائج النّاس ، وقصده شخص في حاجة وهو في أثناء الطواف ببيت الله الحرام ، فقطع الإمام عليه السلام طوافه وسار مسرعاً فقضى حاجته ، ورأى أنّ ذلك أفضل عند الله تعالى من إتمام طوافه على ما في الطواف من أجر جزيل .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض معالم أخلاق الإمام الزكي أبي محمّد عليه السلام .

الإمام الحسين عليه السلام

هو باني الإسلام والمجدّد لدين الله تعالى ، وهو من أبرز عظماء الأرض الذين ساهموا في بناء الفكر الإنساني ، وبلورة القضايا المصيريّة لجميع شعوب العالم .

إنّ حياة الإمام عليه‌السلام مدرسة للقيم الإنسانيّة ، ورمز للعدل الاجتماعي والعدل السياسي ، وستظلّ معطاة في جميع الأحقاب والآباد ، وهي تحمل النور والهدى لجميع النّاس على اختلاف لغاتهم وقوميّاتهم ، ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى بعض مكوّناته الأخلاقيّة ، وهي :

مكارم أخلاقه

١ ـ الإباء عن الضيم

من مكارم أخلاق أبي الأحرار الإمام الحسين عليه‌السلام الإباء عن الضيم .

وهو من أعظم ألقابه ذيوعاً وانتشاراً بين النّاس ، فهو الذي رفع شعار العدل والكرامة ، ورسم طريق الشرف والعزّة ، فلم يخضع لغرور بني أُميّة ، وآثر الموت تحت ظلال الأسنّة .

يقول عبدالعزيز بن نباتة السعدي :

وَالحُسَيْنُ الَّذِي رَأَى الْمَوتَ في العِـ ـزِّ حَـياةً وَالعَـيْشَ فِـي الذُّلِّ قَـتْلا

يقول ابن أبي الحديد: سيّد أهل الإباء الذي علّم النّاس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف اختياراً على الدنيّة، أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عُرض عليه الأمان هو وأصحابه، فأنف من الذلّ، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنّه لا يقتله، فاختار الموت على ذلك، وسمعت النقيب أبا يزيد يحيى بن زيد يقول: كأنّ أبيات أبي تمام في محمّد بن حميد الطائي ما قيلت إلّا في الحسين:

وَقَدْ كانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلاً فَرَدَّهُ ... إليهِ الحِفاظُ المُرُّ وَالْخُلُقُ الوَعْرُ
وَنَفْسٌ تَعافُ الضَّيمَ حَتّىٰ كَأَنَّهُ ... هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْ دُوْنَهُ الْكُفْرُ
فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوتِ رِجْلَهُ ... وَقالَ لَها مِنْ تحت أَخْمَصِكِ الْحَشْرُ
تَرَدَّىٰ ثِيابَ الْمَوْتِ حُمراً فما أتىٰ ... لَها اللَّيلُ إلَّا وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ[1]

لقد كانت كلماته الخالدة يوم الطفّ من أروع ما قيل في تصوير العزّة والكرامة وسموّ النفس. يقول عليه السلام:

«أَلا وَإنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيَّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ، يَأْبَى اللهُ ذٰلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجورٌ طابَتْ وَطَهُرَتْ، وَأُنوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفوسٌ أَبِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلىٰ مَصارِعِ الْكِرامِ...».

ووقف يوم الطفّ كالجبل الأشمّ وهو يلقي على الدنيا كلمات الشرف والإباء وسموّ الذات قائلاً: **«وَاللهِ لا أُعْطِيكُمْ بِيَدي إعْطاءَ الذَّليلِ، وَلا أَفِرُّ فِرارَ الْعَبيدِ، إنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمونِ...»**.

وألقت هذه الكلمات الأضواء على مدى ما يحمله الإمام من العزّة التي لا حدود لأبعادها، والتي هي من أروع صور الكرامة الخالدة في جميع الآباد.

وقد هام شعراء أهل البيت عليهم السلام بهذه الظاهرة الماثلة في شخصيّة أبي الأحرار،

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣: ٢٤٩.

وقد عنى السيّد حيدر الحلّي بتصويرها. يقول:

طَمَعَتْ أَنْ تَسُومَهُ الْقَوْمُ ضَيْماً ... وَأَبَى اللهُ والحُسامُ الصَّنِيْعُ
كَيْفَ يَلوِي عَلَى الدَّنِيَّةِ جِيداً ... لِسِوى اللهِ ما لَواهُ الخُضُوعُ
وَلَدَيْهِ جَأْشٌ أَرَدُّ مِنَ الدِّرْ ... عِ لِظَمْأَى الْقَنا وَهُنَّ شُرُوعُ
وَبِهِ يَرْجِعُ الحِفاظُ لِصَدْرٍ ... ضاقَتِ الْأَرْضُ وَهْيَ فِيهِ تَضِيعُ
فَأَبىٰ أَنْ يَعِيشَ إِلَّا عَزِيزاً ... فَتَجَلَّى الْكِفاحُ وَهْوَ صَرِيعُ(١)

وهل هناك أبلغ وأدقّ وصفاً لإباء الإمام أبي الشهداء عليه السلام من هذا الشعر العلويّ.

ويقول السيّد حيدر في رائعة أُخرى من قصائده الذهبيّة:

وَسَامَتْهُ يَرْكَبُ إِحْدَى اثْنَتَيْنْ ... وَقَدْ صَرَّتِ الْحَرْبُ أَسْنانَها
فَإِمّا يُرى مُذْعِناً أَوْ تَمُو ... تَ نَفْسٌ أَبى الْعِزُّ إِذْعانَها
فَقالَ لَها اعْتَصِمِي بِالْإِباءْ ... فَنَفْسُ الْأَبِيِّ وَما زانَها
إذا لَمْ تَجِدْ غَيْرَ لِبْسِ الْهَوانْ ... فَبِالْمَوْتِ تَنْزِعُ جُثْمانَها
رَأَى الْقَتْلَ صَبْراً شِعارَ الْكِرامْ ... وَفَخْراً يَزِينُ لَها شَانَها
فَشَمَّرَ لِلْحَرْبِ فِي مَعْرَكٍ ... بِهِ عَرَكَ الْمَوْتُ فُرْسانَها

لا أكاد أعرف شعراً أدقّ ولا أروع وصفاً من هذا الشعر، فقد مثّل أصدق تمثيل منعة أبي الأحرار وعزّة نفسه. آثر الموت تحت ظلال الأسنّة على العيش الرغيد بذلّ وخنوع.

وقد ورث هذه الظاهرة أحفاده. يقول الشهيد الخالد زيد بن عليّ بن

---

(١) ديوان السيّد حيدر الحلّي: ٨٧.

الحسين عليه السلام : « ما كَرِهَ قَوْمٌ حَرَّ الْجِلَادِ إلّا ذَلُّوا » ، وثار على طاغية زمانه هشام الأموي ، واستشهد في ساحة الحرب ، وثار على الطغيان والاستبداد الأموي ولده يحيى بن زيد ، وهو ينشد في ساحة الحرب :

يابنَ زَيدٍ أَلَيْس قد قالَ زَيدٌ ... مَن أرادَ الحَياةَ عاشَ ذَليلا
كُنْ كَزيدٍ فَأنتَ مُهجةُ زَيدٍ ... واتَّخِذْ في الجِنانِ ظِلّاً ظَليلا

واستشهد هذا البطل دفاعاً عن الكرامة الإسلاميّة التي استهانت بها الدولة الأمويّة .

وقد ورث العزّة السيّد الرضي من أحفاد الإمام الحسين عليه السلام ، وهو القائل :

وَلي إِباءٌ مُحلِّقٌ بي عَنِ الضَّيمِ ... كَما زاغَ طائِرٌ وَحْشِيٌّ

وعلى أي حال ، فإنّ الإباء وعزّة النفس وكرامتها من أهمّ العناصر في أخلاق أبي الأحرار .

٢ ـ الصبر

من أهمّ الصفات في أخلاق أبي الأحرار الصبر على المحن والخطوب التي طافت به منذ نعومة أظفاره ، فقد شاهد الأحداث المروعة التي حلّت بأبيه من غصب حقّه ، وسلب تراثه ، وغير ذلك من الخطوب السود التي جرت عليه ، كما رأى ما عاناه أخوه الزكيّ من الكوارث في عهد الطاغية وفرعون زمانه معاوية بن أبي سفيان ، فقد جرّعه المحن ، وسلب خلافته ، وأسمعه سبّ أبيه ، حتّى دسّ إليه السمّ فاغتاله .

ومن الدواهي والمحن التي تلقّاها إبادة شيعة أهل البيت على يد الارهابي المجرم زياد بن أبيه ، وليست له أيّة قدرة على حمايتهم ، ومن المحن الشاقّة التي طافت به فرض الطاغية معاوية بن أبي سفيان ولده يزيد الفاسق الفاجر خليفة على

المسلمين وحاكماً عليهم، فثار سلام الله عليه على حكومته لإنقاذ المسلمين من ويلات هذا المجرم الخبيث الذي لم يترك موبقة إلّا اقترفها، ومن موبقاته أنّه استعمل على العراق عبيدالله بن زياد، وهو أقذر ممسوخ، فأمره بقتل الإمام وإبادة عترته وأصحابه، فجنّد الجنود، وزجّها إلى حرب ريحانة رسول الله ﷺ، فأحاطت به من كلّ جانب، ومنعتهم من الماء، ورأى الإمام أطفاله ونساءه وهم يستغيثون من الظمأ القاتل، ثمّ حملت على أصحابه وأبنائه تلك العصابة الخبيثة من الجيش الأموي فأبادتهم، ووقف الإمام الممتحن على أشلاء أهل بيته وأصحابه، فخاطبهم بكلّ طمأنينة وثبات قائلاً:

«صَبْراً يا أَهْلَ بَيْتِي، صَبْراً يا بَنِي عُمُومَتِي، لَا رَأَيْتُمْ هَواناً بَعْدَ هٰذَا الْيَوْمِ».

ولم يبتل أحد من أنبياء الله تعالى مثل ما ابتلي به الإمام الحسين عليه السلام، فلم تبق كارثة إلّا ابتلي بها، وقد قابلها بالصبر والتسليم لأمر الله تعالى، والرضا بقضائه، وكان هذا منتهى الإيمان، وقد ذكرنا هذه الظاهرة بالتفصيل في الجزء الأوّل من كتابنا: حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام.

٣ ـ الحلم

من معالي أخلاق الإمام أبي الأحرار عليه السلام الحلم، فقد قابل المسيء له بالعفو والإحسان، كجدّه رسول الله ﷺ الذي وسع النّاس جميعاً بسموّ أخلاقه، وقد شاع حلم الإمام، وتحدّث النّاس فيه، ومن أمثلته أنّ بعض مواليه جنى جناية تستحقّ التأديب، فانبرى إليه العبد قائلاً:

يا مولاي، إنّ الله تعالى يقول: **﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾**.

فقابلة الإمام ببسمات فيّاضة وقال:

«كَظَمْتُ غَيْظي».

وسارع العبد قائلاً: **﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾**.

فقابله الإمام ببسماته الفيّاضة وقال له :

« قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ . . . » .

« خَلُّوا عَنْهُ ، فَقَدْ كَظَمْتُ غَيْظي . . . » .

وانبرى العبد يطلب المزيد من الإحسان قائلاً :

﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١) .

« أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ . . . » .

ثمّ أمر له بجائزة سنيّة تغنيه عن الحاجة ومسألة النّاس(٢) .

لقد كان هذا الخلق الرفيع من مقوّمات الإمام التي لم تنفكّ عنه ، وظلّت ملازمة له طوال حياته .

٤ ـ التواضع

من مكارم أخلاق الإمام الحسين عليه السلام التواضع ، ومجافاة الأنانيّة والكبرياء ، وقد ورث هذه الظاهرة من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن أمثله تواضعه :

١ ـ أنّه اجتاز على مساكين يأكلون في (الصفّة) ، فدعوه إلى تناول الطعام معهم ، فنزل عن راحلته وشاركهم في الغذاء ، ثمّ قال لهم : **« قَدْ أَجَبْتُكُمْ فَأَجِيبُونِي »** ، فأجابوه ، وحملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم ، وأمر لهم بدراهم(٣) .

٢ ـ مرّ على فقراء يأكلون من أموال الصدقة ، فسلّم عليهم ، فدعوه إلى طعامهم ، فجلس معهم وقال لهم : **« لَوْلَا أَنَّهُ صَدَقَةٌ لَأَكَلْتُ مَعَكُمْ »** ، ثمّ دعاهم إلى منزله ،

---

(١) آل عمران ٣ : ١٣٤ .

(٢) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام : ١ : ١٢٤ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ٦٣ : ٥٤ .

فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بشيء من المال[١].

لقد كان الإمام عليه السلام يخالط الفقراء ويجالسهم ويفيض عليهم بالبرّ والإحسان، حتّى لا يتبيّغ بالفقير فقره، ولا يبطر الغني ثراؤه.

٣ ـ ومن معالي أخلاقه أنّه جرت مشادّة بينه وبين أخيه محمّد بن الحنفيّة، فكتب إليه محمّد رسالة جاء فيها:

«أمّا بعد، فإنّ لك شرفاً لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، أبونا عليّ لا أفضلك فيه، ولا تفضلني، وأُمّي امرأة من بني حنيفة، وأُمّك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو كان ملء الأرض مثل أُمّي ما وفين بأُمّك، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إليّ وترضيني، وإيّاك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أوْلى به منّي».

ولمّا قرأ الإمام رسالة أخيه سارع إليه وترضاه[٢]، وكان ذلك من معالي أخلاقه.

٥ ـ الجود

من معالي أخلاق الإمام عليه السلام أنّه كان نديّ الكفّ لمن قصده وملجأ لمن جارت عليه الأيّام، وكان يملأ القلوب سروراً وغبطة بعطاياه.

يقول كمال الدين بن طلحة:

«وقد اشتهر النقل عنه ـ أي عن الإمام الحسين ـ أنّه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشدّ من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويغني ذا الحاجة، وقلّ إن وصله مالا إلّا فرّقه، وهذه سجيّة الجواد، وشنشنة الكريم، وسمة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق، فأفعاله المتلوة شاهدة له بصنعة الكرم، ناطقة بأنّه

---

(١) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام: ١: ١٢٥.

(٢) نهاية الإرب: ٣: ٢٦٠. الف باء: ١: ٤٦٧.

متّصف بمحاسن الشيم »[١] .

وكان يتكتّم في برّه وإحسانه ، فكان يحمل في دجى الليل البهيم كيساً وقد ملأ طعاماً ونقوداً فيوصله إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين حتّى أثّر ذلك في ظهره[٢] ، وكان يصله المتاع الكثير ، فلا يقوم حتّى يهب عامّته[٣] . وقد أرسل إليه معاوية بهدايا وأقطاف وأرسل إلى غيره من شخصيّات المدينة ، وأخبر جلساءه بما يفعله كلّ واحد منهم بتلك الأموال ، فقال في الإمام الحسين عليه السلام :

« أمّا الحسين فيبدأ بأيتام من قُتل مع أبيه بصفّين ، فإن بقي شيء نحر به الجزور وسقى به اللبن » .

وبعث عيناً ليرى ما يفعله القوم ، فكان كما أخبر فقال : « أنا ابن هند ، أنا أعلم بقريش من قريش »[٤] . إنّ الإمام لم يرَ للمال قيمة سوى ما يرد به غائلة الجوع والبؤس والحرمان ، ولو تولّى الحكم لما أبقى للفقر شبحاً في الوطن الإسلامي .

شذرات من جوده عليه السلام

وتحدّث الرواة عن بوادر كثيرة من معروف أبي الأحرار ، وكان منها :

١ ـ مع اُسامة بن زيد

مرض اُسامة مرضه الذي توفّي فيه ، فعاده الإمام ، فلمّا استقرّ به المجلس قال اُسامة بحسرة :

« واغمّاه » .

« ما غمُّك ؟ » .

---

(١) مطالب السؤول : ٧٣ .

(٢) و (٣) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام : ١ : ١٢٨ .

(٤) عيون الأخبار : ٣ : ٤٠ .

« دَيني وهو ستّون ألفاً » .

« هُوَ عَلَيَّ » .

« أخشى أن أموت قبل أن يقضى » .

« لَنْ تَمُوتَ حَتّىٰ أَقْضيها عَنْكَ » .

وبادر أبو الأحرار فقضاها عنه قبل موته(١) . وقد غضّ طرفه عن اُسامة الذي كان من المتخلّفين عن بيعة أبيه ، فلم يجازيه بالمثل ، وإنّما جازاه بالإحسان .

٢ ـ مع أعرابي

وفد أعرابي على سيّد الشهداء سلام الله عليه يطلب رفده ، وقال له :

« سمعت جدّك صلى الله عليه وآله يقول : **إذا سَأَلْتُم حاجَةً فَاسْأَلوها مِنْ أَرْبَعَةٍ : إمّا عَرَبيٌّ شَريف ، أَوْ مَوْلىٰ كَريم ، أَوْ حامِلُ الْقُرْآنِ ، أَوْ صاحِبُ وَجْهٍ صَبيح** ، فأمّا العرب فشرّفت بجدّك ، وأمّا الكرم فدأبكم وسيرتكم ، وأمّا القرآن ففي بيوتكم نزل ، وأمّا الوجه الصبيح فإنّي سمعت رسول الله يقول : **إذا أَرَدْتُم أَنْ تَنْظُروا إلَيَّ فَانْظُروا إلَى الحَسَنِ والحُسَين** » ، لقد اجتمعت هذه الخصال الكريمة في شخصيّة الإمام أبي الأحرار عليه السلام ، وقام الأعرابي فكتب حاجته على الأرض ، والتفت إليه الإمام فقابله ببسمات فيّاضة بالبشر ، وقال له :

« سَمِعْتُ أَبي عَلِيّاً يَقُولُ : الْمَعْرُوفُ بِقَدَرِ الْمَعْرِفَةِ ، فَأَسْأَلُكَ عَنْ ثَلاثِ مَسائِل إنْ أَجَبْتَ عَنْ واحِدَةً فَلَكَ ثُلْثُ ما عِنْدي ، وَإنْ أَجَبْتَ عَنِ اثْنَينِ ، فَلَكَ ثُلْثا ما عِنْدي ، وَإنْ أَجَبْتَ عَنِ الثَّلاثِ فَلَكَ كُلُّ ما عِنْدي ، وَكانَ قَدْ حُمِلَتْ إلَى الإمامِ مِنَ العِراقِ صِرَّةٌ فيها النُّقودُ ، فقال الأعرابي :

« سل ولا حول ولا قوّة إلّا بالله » .

---

(١) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام : ١ : ١٢٨ .

الإمام الحسين : «**أَيُّ الأَعْمالِ أَفْضَلُ ؟**» .

الأعرابي : « الإيمان بالله » .

الإمام الحسين : « **ما نَجاةُ الْعَبْدِ مِنَ الْهَلَكَةِ ؟** » .

الأعرابي : « الثقة بالله » .

الإمام الحسين : « **ما يُزينُ الْمَرْءَ ؟** » .

الأعرابي : « علم معه حلم » .

الإمام الحسين : « **فَإِنْ أَخْطَأَهُ ذلِكَ ؟** » .

الأعرابي : « فقر مع صبر » .

الإمام الحسين ـ مداعباً له ـ : « **فَإِنْ أَخْطَأَهُ ذلِكَ ؟** » .

الأعرابي : « صاعقة تنزل من السماء فتحرقه » .

فضحك الإمام عليه السلام وناوله الصرّة[١] ، وهكذا كان أبي الضيم نفحة من أخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله ، ونعمة من الله تعالى على عباده .

٣ ـ مع جارية

روى أنس قال : كنت عند الحسين ، فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فأهدتها له ، فقال لها :

« **أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعالىٰ** » .

وبهر أنس وراح يقول :

« جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها ؟! » .

فأجابه الإمام بما أدّبه الله به قائلاً :

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستّة : ٣ : ٢٦٨ .

«كذا أدَّبَنا اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[١]، وكانَ أَحْسَنَ مِنْها عِتْقُها»[٢]. لقد اتّخذ آداب الإسلام منهجاً فسار عليه في عطائه وسخائه وجميع شؤونه.

٤ ـ قرع سائل باب الإمام عليه السلام، وأنشأ يقول:

لَم يَخبِ اليَومَ مَن رَجاكَ ... ومَنْ حرّكَ مِنْ خلفِ بابكَ الحَلَقَهْ
أنتَ ذو الجودِ أنتَ مَعدَنُهُ ... أبوكَ قَد كانَ قاتلَ الفَسَقَهْ

وكان الإمام مشغولاً بالصلاة، فلمّا فرغ منها خرج إلى السائل فرأى عليه أثر الفاقة، فنادى قنبر أن يحضر له ما تبقّى من نفقته، وهي مائتا درهم كان أعدّها لأهل بيته، وقال: جاءَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِها مِنْهُم، فدفعها إلى السائل وهو يعتذر منه، وأنشد هذه الأبيات:

«خُذها فإنّي إليكَ مُعتذِرٌ ... وَاعْلَمْ بِأنّي عَلَيْكَ ذو شَفَقَهْ
لَو كانَ في سَيرنا عَصا تُمَدُّ إذَنْ ... كانَت سَمانا عَليكَ مُنْدَفِقَهْ
لكِنَّ ريبَ المَنونِ ذو نَكَدٍ ... والكفُّ مِنّا قَليلَةُ النَّفَقَهْ»

وشكر السائل هذه المكارم، وانبرى مادحاً للإمام:

مُطَهَّرونَ نَقيّاتٌ ثيابُهُمُ ... تَجري الصَّلاةُ عَليهِم أينَما ذُكِروا
وأنتُمُ أنتُمُ الأعلَونَ عندَكُمُ ... عِلمُ الكتابِ وما جاءَتْ بهِ السِّوَرُ[٣]

٥ ـ كان الإمام الحسين عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان في المسجد عتبة بن أبي سفيان وابن الزبير، فأقبل شخص على عتبة فسلّم عليه وقال له:

---

(١) النساء ٤: ٨٦.

(٢) الفصول المهمّة / ابن الصبّاغ: ١٨٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ١٨٥.

«إنّي قتلت ابن عمّ لي، وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟».

فأمر له بمائة درهم، فاستقلّها وأرجعها إليه، ثمّ قصد ابن الزبير وعرض عليه حاجته، فأمر بإعطائه مائتي درهم، فاستقلّها وأرجعها، ثمّ قصد ريحانة رسول الله ﷺ، وعرض عليه مهمّته، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال له:

«**هٰذِهِ لِقَضاءِ دُيونِكَ**»، كما أمر له بعشرة آلاف درهم أُخرى، وقال له: «**هٰذِهِ تَلُمُّ بِها شَعَثَكَ، وَتُحَسِّنُ بِها حالَكَ، وَتُنْفِقُ بِها عَلىٰ عِيالِكَ**»، واستولت عليه موجات من الفرح والسرور، واندفع يقول:

طَرِبْتُ وما هاجَ لي مَعبقُ ... ولا لي مَقامٌ ولا مَعشَقُ
ولكِنْ طَرِبتُ لآلِ الرَّسولِ ... فَلذَّ ليَ الشِّعرُ والمَنطِقُ
همُ الأكرَمونَ هُمُ الأنجَبونَ ... نُجومُ السَّماءِ بِهِم تُشرِقُ
سَبقتَ الأنامَ إلى المَكرُماتِ ... وأنتَ الجَوادُ فَلا تُلحَقُ
أبوكَ الّذي سادَ بالمَكرُماتِ ... فَقصَّرَ عَنْ سَبقهِ السَّبقُ
بهِ فَتحَ اللهُ بابَ الرَّشادِ ... وبابُ الفَسادِ بكُمْ مُغلَقُ[1]

هذه شذرات من فيوضات برّه وإحسانه إلى النّاس لم يبتغ في جميع ما أُثر عنه من الكرم إلّا وجه الله تعالى والفوز برضوانه.

٦ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ

من معالي أخلاقه عليه السلام انقطاعه إلى الله تعالى واعتصامه به، وتفاعل حبّه لله تعالى في عواطفه ومشاعره، ويقول المؤرّخون: إنّه عمل كلّ ما يقرّبه إلى الله زلفى، فكان كثير الصلاة والصوم والحجّ والصدقة وأفعال الخير[2]، وهذه نماذج من تقواه:

---

(١) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام: ١: ١٢٩ ـ ١٣٠، نقلاً عن عقد الآل في مناقب الآل.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: ١: ١٦٣.

١ ـ خوفه عليه السلام من الله عزّ وجلّ

كان سيّد الشهداء وإمام المتّقين شديد الخوف من الله تعالى ، حتّى قال له بعض أصحابه :

« ما أعظم خوفك من ربّك ؟ » .

فأجابه :

« لا يَأْمَنُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلّا مَنْ خافَ اللهَ تَعالىٰ في الدُّنْيا »[(١)] .

لقد كان الله تعالى نصب عينيه ، فلم يقم بأي عمل من أعمال الخير إلّا لوجه الله تعالى .

٢ ـ صلاته وصومه عليه السلام

كان الإمام في معظم أوقاته مشغولاً بالصلاة والصوم[(٢)] .

وقد حدّث ولده زين العابدين عليه السلام عن كثرة صلاته ، وأنّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة[(٣)] ، وأكّد ذلك ابن الزبير حينما علم بقتله فقال :

« أما والله لقد قتلوه ، طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صومه »[(٤)] .

٣ ـ حجّه عليه السلام

حجّ سيّد الشهداء بيت الله الحرام خمساً وعشرين حجّة ماشياً على قدميه[(٥)] ،

---

(١) أعيان الشيعة : ٤ : ١٠٢ .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات : ١ : ١٦٣ . خطط المقريزي : ١ : ١٧٣ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ١٩ . تاريخ ابن الوردي : ١ : ١٧٣ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٢٧٣ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق : ١٣ : ٢٥٤ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ١٩٣ . مجمع الزوائد : ٩ : ٢٠١ . تهذيب الأسماء واللغات : ١ : ١٦٣ .

وكانت النجائب تقاد بين يديه(١)، وكان معظم حجّه مع أخيه الزكيّ الإمام الحسن عليه السلام، وكان يمسك الركن الأسود ويناجي الله تعالى قائلاً:

«إلـهي أنْعَمْتَني فلَمْ تَجِدْني شاكِراً، وَابْتَلَيْتَني فَلَمْ تَجِدْني صابِراً، فَلا أنْتَ سَلَبْتَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ الشُّكْرِ، وَلا أدَمْتَ الشِّدَّةَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ. إلـهي ما يكونُ مِنَ الكَريم إلّا الْكَرَمُ»(٢).

٤ ـ صدقاته عليه السلام

كان سيّد الشهداء عليه السلام كثير الصدقة، فكان يحمل الطعام في غلس الليل إلى الفقراء(٣)، وقد ورث أرضاً وأشياء أُخرى فتصدّق بها قبل أن يقبضها(٤)، ولم يبتغ بذلك إلّا التقرّب إلى الله تعالى.

٥ ـ الرأفة والإحسان

كان أبو الأحرار عليه السلام شديد الرحمة والرأفة بالنّاس، حتّى لأعدائه، وكان يجير من استجار به، ويردّ لهفة كلّ ملهوف، وكذلك صار من بعده قبره الشريف ملجأً وملاذاً لكلّ مظلوم ومحروم. يقول الجواهري:

تَعالَيتَ مِنْ مفزعٍ للحُتوفِ وَبورِكَ قبرُكَ مِنْ مَفزَعِ
تلوذُ الدُّهورُ بِهِ فمِنْ سُجَّدٍ علىٰ جانبَيهِ ومِنْ رُكَّعِ

وقد استجار به وبأخيه مروان بن الحكم الوغد الدنس بعد فشل واقعة الجمل التي قادتها عائشة لمحاربة أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه، وطلب من السبطين أن يتشفّعا له عند أبيهما، فكلّماه في ذلك، وقالا له:

---

(١) صفة الصفوة: ١: ٣٢١. الطبقات الكبرى / الشعراني: ١: ٦٣.

(٢) الكواكب الدّرية: ١: ٥٨.

(٣) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام: ١: ١٣٥.

(٤) دعائم الإسلام: ٢: ٣٣٧.

« يُبايِعُكَ يا أَميرَ الْمُؤمِنينَ ؟ » .

فقال لهما :

« أَوَ لَمْ يُبايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثمانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ ! إنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبّابَتِهِ . أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ ، وَسَتَلْقَىٰ الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ ! » .

تحدّث الإمام عليه السلام عن مروان ، وإنّه مثال للغدر والخيانة ، ولو بايع بيده لغدر بسبّابته ، ومن الملاحم التي أخبر عنها الإمام في هذه الكلمات ولاية مروان ، وأنّها قصيرة جدّاً ، فكانت لقصرها كلعقة الكلب أنفه ، وإنّ الخلافة من بعده ستكون لأبنائه الذين يجهدون على هلاك النّاس وظلمهم ، فقد استعمل عبدالملك بن مروان الحجّاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق وغيره ، فصبّ وابلاً من العذاب الأليم على النّاس ، وأشاع الثكل والحداد في العراق .

ومن ألوان رأفة الإمام أنّه لما استقبله الحرّ بمفرزة من الجيش تبلغ ألف فارس لمناجزته وقتاله ، وقد أشرفت على الهلاك من شدّة العطش ، فلم تدعه أريحيّته وسموّ نفسه من عدم القيام بإنقاذهم ، فأمر غلمانه وأهل بيته بسقيهم ، وسقي خيولهم ، وكان فيهم المجرم علي بن الطعّان المحاربي ، الذي اشتدّ به العطش ، فلم يدرِ كيف يشرب ، فقام بنفسه وسقاه ، وكانت هذه البادرة من أروع ما سجّل في قاموس الإنسانيّة من الشرف والنبل .

٧ ـ الصلابة في الحقّ

ومن معالي أخلاق أبي الأحرار الصلابة في الحقّ ، فلم يعرف النّاس أكثر منه اندفاعاً في نصرة الحقّ ، ودكّ حصون الباطل ، وتدمير خلايا الجور والاستبداد .

فقد رأى الإمام عليه السلام الأمّة الإسلاميّة قد غمرها الظلم والجور ، ولم يعد في ساحتها

أي ظلّ للعدل ولا للحقّ ، فانبرى إلى ساحة الجهاد ليرفع كلمة الله تعالى ، ويقيم الحقّ والعدل ، وقد أعلن ذلك في خطابه الذي ألقاه على أصحابه ليلة العاشر من المحرّم ، فقال :

« أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَإِلَى الْبَاطِلِ لَا يُتَنَاهىٰ عَنْهُ ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ مُحِقّاً » .

لقد كان الحقّ من أبرز ذاتيّات الإمام عليه السلام ، وقد استشفّ النبيّ صلى الله عليه وآله من وراء الغيب أنّ سبطه العظيم هو الذي ينهض لإقامة الحقّ ، فكان يرشف ذلك الثغر ويوسعه تقبيلاً .

٨ ـ الصراحة

ومن أخلاق أبي الأحرار الصراحة في القول والعمل ، ففي جميع فترات حياته لم يوارب ، ولم يخادع ، ولم يسلك أي طريق فيه التواءاً ومنعطفات ، وإنّما سلك الطريق الواضح الذي يتجاوب مع ضميره الحيّ ، وكان من ألوان ذلك السلوك المشرق أنّ الوليد حاكم المدينة دعاه في غلس الليل ، وأحاطه علماً بهلاك الطاغية معاوية ، وطلب منه البيعة ليزيد مكتفياً بها في جنح الظلام لا على رؤوس الأشهاد ، فامتنع من إجابته ، ورفض البيعة رسميّاً قائلاً :

« إِنّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ ، بِنا فَتَحَ اللهُ وَبِنا خَتَمَ ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فاسِقٌ ، شارِبُ الْخَمْرِ ، قاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ وَالْفُجورِ ، وَمِثْلي لَا يُبايِعُ مِثْلَهُ » .

ولم يحفل سبط النبيّ صلى الله عليه وآله بالسلطة ، وجاهر برأيه المشرق في رفض البيعة ليزيد الذي جمع جميع الرذائل والموبقات .

ومن ألوان الصراحة الي اعتادها أنّه في أثناء طريقه إلى العراق وافاه النبأ المؤلم

بقتل سفيره مسلم بن عقيل ، وخذلان أهل الكوفة ، فقال للذين اتّبعوه طلباً للعافية :

« أمّا بَعْدُ ، فَقَدْ قُتِلَ مُسْلِمٌ ، وَخَذَلَنا شيعَتُنا ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ الْإنْصِرافَ فَلْيَنْصَرِفْ لَيْسَ عَلَيْهِ ذِمامٌ ».

فتفرّق عنه ذو الأطماع ، وبقي مع الصفوة من أهل بيته وأصحابه(١) .

لقد تجنّب الإغراء والخداع في تلك الساعات الحرجة التي يتطلّب فيها إلى الناصر والصديق .

ومن ألوان تلك الصراحة أنّه جمع أهل بيته وأصحابه فى ليلة العاشر من المحرّم ، فأحاطهم علماً بشهادته في الغد ، وأنّ جميع مَن كان معه سيُقتلون ، صارحهم بذلك ليكونوا على بصيرة من أمرهم ، وأمرهم بالتفرّق في سواد الليل ، إلّا أنّ تلك الكوكبة العظيمة أبت مفارقته ، وأصرّت على الشهادة بين يديه .

تدول الدول ، وتزول الممالك ، وهذه الأخلاق الرفيعة أحقّ بالبقاء من كلّ كائن حيّ ؛ لأنّها تمثّل القيم الكريمة التي لا كرامة للإنسان بدونها (٢) .

٩ ـ الشجاعة

ومن مكارم أخلاق أبي الأحرار الشجاعة ورباطة الجأش ، فلم يشاهد الناس مثله في جميع مراحل التاريخ في صلابة عزمه وبسالته ، وقدّم النّاس شجاعته على شجاعة أبيه التي استوعبت جميع لغات الأرض .

وقد بهر أعداؤه بقوّة بأسه ، فإنّه لم ينهار أمام تلك الكوارث التي أحاطت به ، وكلّما زاد الموقف بلاءً ومحنة ازداد انطلاقاً وبشراً ، فإنّه بعد ما استشهد أصحابه وأهل بيته زحف عليه الجيش الأموي ، وكان عدده ـ فيما يقول الرواة ـ ثلاثين ألفاً ،

---

(١) أنساب الأشراف : ١ : ٢٤٠ .

(٢) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام : ٣ : ١١٩ ـ ١٢٠ .

فيحمل عليهم، فينكشفون بين يديه، ويفرّون فرار المعزى إذا شدّ عليها الذئب ـ على حدّ تعبير الرواة ـ، وبقي صامداً كالجبل يتلقّى الطعنات من كلّ جانب، لم يَهِنْ له ركن، وإنّما مضى في أمره استبسالاً واستخفافاً بالمنيّة. يقول السيّد حيدر:

فَـتَلَقّى الجُـموعَ فَـرْداً وَلٰـكِـنْ ... كُلُّ عُضْوٍ فِي الرَّوْعِ مِنْهُ جُموعُ
رُمْـحُهُ مِـنْ بِنانِهِ وَكَـأَنَّ مِنْ ... عَـزْمِهِ حَـدَّ سَـيْفِهِ مَـطْبُوعُ
زَوَّجَ السَّيْفَ بِـالنُّفُوسِ وَلٰـكِـنْ ... مَهْرُها الْمَوْتُ وَالْخِضابُ النَّجِيعُ

ووصف السيّد حيدر شجاعته النادرة أيضاً بقوله:

رَكِينٌ وَلِلْأَرْضِ تَحْتَ الكُماةْ ... رَجِـيفٌ يُـزَلْزِلُ ثَـهْلانَها
أَقَرُّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ ظَهْرِها ... إِذا مَـلْمَلَ الرُّعْبُ أَقْـرانَـها
تَـزِيدُ الطَّلاقَةُ فِـي وَجْـهِهِ ... إِذا غَـيَّرَ الخَـوْفُ أَلْـوانَـها

ولمّا هوى أبي الضيم على الأرض جريحاً وقد أعياه نزف الدم تحامى الجيش الأموي الإجهاز عليه رعباً وخوفاً منه. يقول السيّد حيدر:

عَـفِيْراً مَتىٰ عَـايَنَتْهُ الكُـما ... ةُ يَـخْتَطِفُ الرُّعْبُ أَلوانَـها
فَما أَجْلَتِ الحَرْبُ عَنْ مِثْلِهِ ... صَـرِيعاً يُـجَبِّنُ شُـجْعانَها

وتغذّى أهل بيته وأصحابه بهذه الروح العظيمة، فتسابقوا إلى الموت بشوق وإخلاص، وقد شهد عدوّهم ببسالتهم ورباطة جأشهم، وقد قيل لرجل ممّن كان مع ابن سعد: «ويحك أقتلتم ذرّيّة رسول الله ﷺ؟»، فأجاب:

«عضضت بالجندل، إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها، كالأسود الضارية، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية، والاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً

لأتت على نفوس العسكر بحذافيره ، فما كنّا فاعلين »[١] .

يقول بعض الشعراء :

فَلَوْ وَقَفَتْ صُمُّ الجِبالِ مَكانَهُمْ لَمادَتْ عَلىٰ سَهْلٍ وَدَكَّتْ عَلىٰ وَعْرِ
فَمِنْ قائمٍ يَسْتَعْرِضُ النَّبْلَ وَجْهَهُ وَمِنْ مُقْدِمٍ يَرْمِي الْأَسِنَّةَ بِالصَّدْرِ

لقد تحدّى أبو الأحرار بشجاعته النادرة الطبيعة البشريّة ، فسخر من الموت ، وهزأ من الحياة ، وآثر الشهادة على الحياة بذلّة .

هذه بعض المثل الكريمة من أخلاقه عليه السلام التي هي امتداد لأخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله مفجّر العلم والحكمة في الأرض .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٣ : ٢٦٣ .

الإمامُ السجّادُ عليه السلام

وليس في تأريخ هذا الشرق من يشابه الإمام زين العابدين عليه السلام في مكارم أخلاقه وسموّ ذاته ، عدا آباءه الذين أضاؤوا الحياة بمواهبهم وعبقريّاتهم وعظيم إيمانهم بالله تعالى .

إنّ هذا الإمام العظيم نسخة لا ثاني لها في تاريخ البشرية ؛ وذلك بما يملكه من القيم الكريمة والصفات الفاضلة التي سمت به إلى أرقى مستويات الكمال ، والتي منها :

مكارم أخلاقه

١ ـ الحلم

الحلم من أسمى الصفات التي يتميّز بها الإنسان ، وكان الإمام السجّاد عليه السلام من أحلم النّاس وأكظمهم للغيظ ، وقد ذكر الرواة بوادر من حلمه ، كان منها :

١ ـ كانت له جارية تسكب على يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة ، فسقط صدفة الابريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه ، فبادرت الجارية قائلة :

« إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ .

وأسرع الإمام فقال لها بلطف : « **كَظَمْتُ غَيْظي** » .

وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله ، فراحت تطلب المزيد من فضله قائلةً :

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ .

فأجابها الإمام بلطف :

« عفا اللهُ عَنْكِ » .

وراحت الجارية تلتمس من الإمام اللطف والفضل قائلة :

﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُـحْسِنِينَ ﴾ .

فقابلها بمزيد من الإحسان قائلاً:

« اِذْهَبي فَأَنْتِ حُرَّةٌ »[١] .

٢ ـ ومن بوادر حلمه : أنّ شخصاً من سقطة المجتمع قابل الإمام بالسبّ والشتم بلا سبب ، فأجابه الإمام بلطف قائلاً:

« يا فَتىٰ ، بَيْنَ أَيْدينا عَقَبَةٌ كَؤوداً ، فَإِنْ جِزْتُ مِنْها فَلا أُبالي بِما تَقولُ ، وَإِنْ أَتَحَيَّرُ فيها فَأَنا شَرٌّ مِمّا تَقولُ » .

ولم ينزعج الإمام من هراء الشخص الذي انعدمت منه الأخلاق والآداب .

٣ ـ ومن عظيم حلمه أنّه خرج من المسجد ، فأسرع شخص فسبّه ، وأراد الحاضرون الانتقام منه ، فنهاهم الإمام ، وأقبل صوب الرجل وقابله ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً:

« ما سَتَرَهُ اللهُ عَنْكَ أَكْثَرُ ، أَلَكَ حاجَةٌ نُعينُكَ عَلَيْها ؟ » .

وخجل الرجل ، وودّ أنّ الأرض قد وارته ، وأشفق عليه الإمام ، فألقى عليه خميصة[٢] كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، واهتدى الرجل ، فكان إذا رأى الإمام

---

(١) تاريخ دمشق : ٣٦ : ١٥٥ . نهاية الارب : ٢١ : ٣٢٦ .

(٢) **الخميصة** : ثوب أسود .

قابله بمزيد من الاحتفاء والتكريم قائلاً له: «إنّك من أولاد الأنبياء»[١].

٤ ـ ومن بوادر حلمه أنّ شخصاً اعتدى عليه، فأشاح الإمام عليه السلام بوجهه عنه، وراح اللئيم يخاطب الإمام قائلاً له:

«إيّاك أعني».

وأسرع الإمام قائلاً:

«وَعَنْكَ أُغْضي».

وانصرف الإمام، ولم يقابله بالمثل[٢]، قد وضع أمامه قوله تعالى: **﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾**[٣].

٥ ـ ومن مكارم حلمه أنّ شخصاً سبّه فقال عليه السلام له:

«إنْ كُنّا كَما قُلْتَ فَنَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَإنْ لَمْ نَكُنْ كَما قُلْتَ فَغَفَرَ اللهُ لَكَ».

فبهت الرجل وراح يعتذر من الإمام قائلاً:

«جعلت فداك، ليس كما قلت أنا فاغفر لي».

وأخذ الإمام يلاطفه بالكلمات الناعمة، وبالأخلاق الرفيعة حتّى أخذ بمجامع قلبه وفكره، وراح يستميح منه العذر والعفو، وطفق يقول:

«الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء»[٤].

هذه بعض البوادر التي رواها المؤرّخون من عظيم حلمه، وهي تكشف عن طاقات لا حدّ لها من الفضائل الماثلة فيه.

---

(١) و(٢) البداية والنهاية: ٩: ١٠٥.

(٣) الأعراف ٧: ١٩٩.

(٤) صفة الصفوة: ٢: ٥٤.

٢ ـ الإحسان إلى النّاس

من معالي أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام البرّ بالنّاس والإحسان إليهم ، فقد كان قلبه الشريف يفيض بالرحمة والحنان عليهم ، وكان من عظيم إحسانه أنّه إذا علم أنّ على أحد ديناً وله به مودّة سارع فأدّى عنه دينه(١) .

ومن سموّ ذاته أنّه كان يبادر لقضاء حوائج النّاس خوفاً من أن يقوم أحد إلى قضائها فيحرم الثواب ، وقد قال : « **إنَّ عَدُوّي يَأْتيني بِحاجَةٍ فَأُبادِرُ إِلىٰ قَضائِها خَوْفاً مِنْ أَنْ يَسْبِقَني أَحَدٌ إِلَيْها أَوْ يَسْتَغْني عَنْها فَتَفوتَني فَضيلَتُها** »(٢) .

وروى الزهري : قال : كنت عند عليّ بن الحسين ، فجاء رجل من أصحابه فقال له :

« إنّي أصبحت وعليَّ أربعمائة دينار دين ، ولا أتمكّن من قضائها ، وعندي عيال » .

ولم يكن عند الإمام شيء من المال ليسعفه به ، فبكى ، وقال :

« **أَيَّةُ مِحْنَةٍ أَوْ مُصيبَةٍ أَعْظَمُ عَلىٰ حُرٍّ مُؤْمِنٍ مِنْ أَنْ يَرىٰ بِأَخيهِ الْمُؤْمِنِ خَلَّةً فَلا يُمْكِنُهُ سَدَّها** »(٣) .

وهكذا كان الإحسان ذاتياً من ذاتيات هذا الإمام العظيم الذي لم يُخلق مثله سوى آبائه العظام الذين خلقوا للفضيلة والإحسان والبرّ بالناس .

١ ـ إحسانه عليه السلام لأعدائه

ومن عظيم إحسانه وسموّ ذاته لأعدائه أنّ إسماعيل بن هشام المخزومي كان

---

(١) الإمام زيد / أبو زهرة : ٢٢٤ .

(٢) و (٣) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٨٣ .

والياً على المدينة ، وكان شديد البغض والعداء للأسرة النبويّة ، وكان كثير الاعتداء على الإمام زين العابدين عليه‌السلام ، وكان يعلن سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام على المنابر تقرّباً لأسياده الأمويّين ، ولمّا ولي الوليد بن عبدالملك الخلافة بادر إلى عزله لهنات كانت بينهما قبل أن يلي الملك ، فأوعز إلى واليه بإيقافه إلى النّاس لاستيفاء حقوقهم منه ، وفزع إسماعيل كأشدّ ما يكون الفزع من الإمام زين العابدين عليه‌السلام ؛ وذلك لكثرة اعتدائه عليه وإساءته له ، فقال :

« ما أخاف إلّا من عليّ بن الحسين ، فإنّه رجل صالح يسمع قوله فيّ » .

هلمّوا وانظروا إلى سموّ الإمام ، لقد سارع إليه وقابله ببسمات فيّاضة بالبشر ، وعرض عليه القيام بما يحتاج إليه من المعونة في محنته قائلاً :

« يابْنَ الْعَمّ ، عافاكَ اللهُ لَقَدْ ساءَني ما صُنِعَ بِكَ ، فادْعُنا إِلىٰ ما أَحْبَبْتَ » .

وذهل هشام وراح يقول :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء »[١] .

أرأيتم هذه الأخلاق التي تحكي أخلاق الأنبياء الذين عمّروا الدنيا بفضائلهم .

٢ ـ دعاؤه عليه‌السلام لأعدائه

انظروا إلى هذا الإمام العظيم كيف يدعو لأعدائه الذين ظلموه واعتدوا عليه يقول :

« اللّٰهُمَّ وَأَيُّما عَبْدٍ نالَ مِنّي ما حَظَرْتَ عَلَيْهِ ، وَانْتَهَكَ مِنّي ما حَجَرْتَ عَلَيْهِ ، فَمَضىٰ بِظُلامَتي مَيِّتاً ، أَوْحَصَلَتْ لي قِبَلَهُ حَيّاً ، فَاغْفِرْ لَهُ ما أَلَمَّ بِهِ مِنّي ، وَاعْفُ لَهُ عَمّا أَدْبَرَ بِهِ عَنّي ، وَلا تَقِفْهُ عَلىٰ مَا ارْتَكَبَ فِيَّ ، وَلا تَكْشِفْهُ عَمّا اكْتَسَبَ

---

(١) الطبقات الكبرى / ابن سعد : ٥ : ٢٠٢ .

بي ، وَاجْعَلْ ما سَمَحْتُ بِهِ مِنَ الْعَفوْ عَنْهُمْ ، وَتَبرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ ، أَزْكىٰ صَدَقاتِ الْمُتَصَدِّقينَ ، وَأَعْلىٰ صِلاتِ الْمُتَقَرِّبينَ ، وَعَوِّضْني مِنْ عَفْوي عَنْهُمْ عَفْوَكَ ، وَمِنْ دُعائي لَهُمْ رَحْمَتَكَ ، حَتّىٰ يَسْعَدَ كُلُّ واحِدٍ مِنّا بِفَضْلِكَ ، وَيَنْجُوَ كُلٌّ مِنّا بِمَنِّكَ »(١).

إنّ هذا الإمام في الإحسان والشرف نسخة لا ثاني لها في تأريخ الإنسانيّة عدا آباءه ، لقد كان دنيا من الشرف وسموّ الذات ما يعجز عنه الوصف ، ويقصر عن الإحاطة به اللفظ .

٣ ـ قضاء حوائج النّاس

ظاهرة اُخرى من نزعات الإمام وصفاته مبادرته لقضاء حوائج النّاس ، ولو كانت حاجتهم عند أعدى النّاس له ، فقد روى المؤرّخون أنّ جماعة من المسلمين قد ألقت السلطة عليهم القبض ، ففزعوا إلى الإمام وطلبوا منه التوسّط في شأنهم عند عبدالملك بن مروان ، فاستجاب لهم ، وسافر إلى الشام لقضاء مهمّتهم ، فالتقى عليه‌السلام بعبد الملك عاهل الدولة ، فلمّا رأى الإمام استعظم ما رآه عليه من أثر السجود ، فقال له :

لقد بيّن عليك الاجتهاد ، ولقد سبق لك من الله تعالى الحسنى ، وأنت بضعة من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، قريب النسب ، وكيد السبب ، وأنّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك ، ولقد اُوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك ، إلّا من مضى من سلفك » .

وأقبل على الإمام يطريه ويذكر فضائله ومآثره ، ولمّا انتهى من كلامه قال له الإمام :

---

(١) الصحيفة السجّادية : الدعاء ٣٨.

«كُلُّ ما ذَكَرْتَهُ مِنْ فَضْلِ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَأْييدِهِ وَتَوْفيقِهِ ، فَأَيْنَ شُكْرُهُ عَلىٰ ما أَنْعَم ؟ وَلَقَدْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقِفُ لِلصَّلاةِ حَتّىٰ تَتَوَرَّمَ قَدَماهُ ، وَيَظْمَأُ في الصِّيامِ حَتّىٰ يَعْصَبَ فوهُ[١] ، فَقيلَ لَهُ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَلَمْ يَغْفِرِ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ؟! فَيَقولُ ﷺ : أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً».

ومضى الإمام قائلاً:

«الْحَمْدُ لِلّهِ عَلىٰ ما أَوْلىٰ وَأَبْلىٰ ، وَلَهُ الْحَمْدُ في الْآخِرَةِ وَالْأُولىٰ ، وَاللهِ! لَوْ تَقَطَّعَتْ أَعْضائي ، وَسالَتْ مُقْلَتايَ على صَدْري لَنْ أَقُومَ لِلّهِ جَلَّ جَلالُهُ بِشُكْرِ عِشْرَ الْعَشيرِ مِنْ نِعْمَةٍ واحِدَةٍ مِنْ جَميعِ نِعَمِهِ الَّتي لا يُحْصيها العادّونَ ، وَلا يَبْلُغُ أَحَدَ نِعْمَةً مِنْها عَلىٰ جَميعِ حَمْدِ الحامِدينَ ، لا وَاللهِ! أَوَيَراني اللهُ لا يَشْغُلُني شَيْءٌ عَنْ شُكْرِهِ ، وَذِكْرِهِ في لَيْلٍ وَلا نَهارٍ ، وَلا سِرٍّ وَلا عَلانِيَةٍ ، وَلَوْلا أَنَّ لِأَهْلي عَلَيَّ حَقّاً ، وَلِسائِرِ النّاسِ مِنْ خاصِّهِم وَعامِّهِم عَلَيَّ حُقوقاً لا يَسَعُني إِلّا الْقِيامُ بها حَسَبَ الْوُسْعِ وَالطّاقَةِ حَتّىٰ أُؤَدِّيها إِلَيْهِم لَرَمَيْتُ بِطَرْفي إِلَى السَّماءِ ، وَبِقَلْبي إِلَى اللهِ ، ثُمَّ لَمْ أَرُدَّهُما حَتّىٰ يَقْضِيَ اللهُ عَلىٰ نَفْسي ، وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ».

ثمّ بكى الإمام بكاءً شديداً ، وانهار الطاغية عبدالملك أمام هذا العملاق من الإيمان والتقوى ، وراح يقول بتأثر وإعجاب :

«شتّان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها ، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته ما له في الآخرة من خلاق».

وخضع عبدالملك لوساطة الإمام وشفّعه فيهم وأطلق سراحهم[٢].

حكى هذا الحديث مدى اهتمام الإمام البالغ بقضاء حوائج النّاس وإنقاذهم من

---

(١) **عصب فوه** :أي جفّ ريقه.

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٢٠١ ـ ٢٠٣.

المحن التي ألمّت بهم، كما حكى روحانيّة الإمام، وخضوع الطاغية عبدالملك لقداسته وسموّ شأنه.

٣ ـ السخاء

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أندى النّاس كفّاً، وأبرّهم بالضعفاء والفقراء، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من جوده وكرمه، كان منها:

١ ـ مع محمّد بن أُسامة

مرض محمّد بن أُسامة، فعاده الإمام عليه السلام، ولمّا استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء، فقال له الإمام:

«ما يُبْكيكَ؟».

«علَيَّ دين».

«كَمْ هُوَ؟».

«خمسة عشر ألف دينار».

«هِيَ عَلَيَّ».

ولم يقم الإمام من المجلس حتّى دفعها له(١). وقد أزال همّه، ووفّى دَينه، وقبله أبوه أُسامة دخل عليه الإمام الحسين عليه السلام عائداً له في مرضه، فشكى إليه دَينه البالغ مائة ألف دينار، فسدّدها الإمام عليه السلام ودفعها له بالوقت.

٢ ـ إطعام عامّ

ومن كرمه وجوده أنّه كان يطعم النّاس في كلّ يوم في وقت الظهيرة في داره(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤: ٢٣٩. تاريخ الإسلام: ٢: ٢٦٦.

(٢) نفحات من سيرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام ١٨٢.

٣ ـ إعالته لمائة بيت

ومن فيض إكرامه أنّه كان يعول مائة بيت بالمدينة في السرّ[١] ، وكان في كلّ بيت جماعة من النّاس[٢] .

إنّ الكرم كان سجيّة له ، وكان يرى أنّه يقرّبه إلى الله تعالى زلفى ، فجاد بجميع ما عنده .

٤ ـ صدقاته عليه السلام

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام من أحبّ الأُمور إليه إنعاش الفقراء وتبديل حياتهم من البؤس والحرمان إلى السعة والرخاء ، وكان يقول :

« ما مِنْ رَجُلٍ تَصَدَّقَ عَلىٰ مِسْكينٍ مُسْتَضْعَفٍ ، فَدَعا لَهُ الْمِسْكينُ بِشَيْءٍ في تِلْكَ السّاعَةِ إِلَّا اسْتُجيبَ لَهُ »[٣] .

وهذه صور من صدقاته :

١ ـ التصدّق بثيابه عليه السلام

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يلبس أفخر الثياب في الشتاء ، فإذا جاء الصيف تصدّق بها أو باعها وتصدّق بثمنها ، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ، ويتصدّق بهما إذا جاء الشتاء[٤] ، وكان يقول :

« إِنّي لَأَسْتَحي مِنْ رَبّي أَنْ آكُلَ ثَمَنَ ثَوْبٍ قَدْ عَبَدْتُ اللهَ فيهِ »[٥] .

---

(١) تهذيب اللغات والأسماء : ٣٤٣.

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٨٤.

(٣) وسائل الشيعة : ١ : ٢٩٦.

(٤) تاريخ دمشق : ٣٦ : ١٦١.

(٥) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٨٧.

٢ ـ التصدّق بما يحبّ

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتصدّق بما يحب .

يقول الرواة : إنّه كان يتصدّق باللوز والسكّر ، فسئل عن ذلك ، فتلا قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (١) .

وروى المؤرّخون أنّه كان يعجبه العنب ، وكان صائماً ، فقدّمت له جاريته عنقوداً من العنب في وقت الإفطار ، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه ، فبعثت الجارية مَن اشتراه منه ، وقدّمته إلى الإمام ، فطرق سائل آخر الباب ، فأمر بدفع العنقود إليه ، فبعثت الجارية مَن اشتراه منه ، وقدّمته للإمام ، وطرق سائل ثالث ، فدفعه الإمام إليه (٢) ، وقد ضارع بهذه آباءه العظام الذين قدّموا قوتهم ثلاثة أيّام متوالية وهم صائمون إلى المسكين واليتيم والأسير ، فأنزل الله في حقّهم سورة هل أتى ، التي بقيت وسام شرف لهم على امتداد الزمن حتّى يرث الله تعالى الأرض ومَن عليها (٣) .

٣ ـ مقاسمة أمواله عليه السلام

وقاسم الإمام عليه السلام أمواله مرّتين ، فأخذ قسماً وتصدّق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين (٤) .

٤ ـ صدقاته عليه السلام في السرّ

وكان من أحبّ الأشياء إلى الإمام عليه السلام الصدقة في السرّ مخافة أن يعرفه أحد من النّاس ، وقد أراد أن يربط نفسه ومن يعطيهم من البؤساء برباط الحبّ في الله تعالى ،

---

(١) آل عمران ٣ : ٩٢ . بحار الأنوار : ٤٦ : ٨٩ .

(٢) المحاسن / البرقي : ٥٤٧ . فروع الكافي : ٦ : ٣٥٠ .

(٣) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٨٨ .

(٤) خلاصة تهذيب الكمال : ٢٣١ .

وكان يحثّ على صدقات السرّ ويقول: «**إِنَّها تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»[١].

وكان يخرج في غلس الليل البهيم فيوصل الفقراء بهباته وعطاياه وهم لا يعرفونه، وقد اعتاد الفقراء على صلته، فكانوا ينتظرونه واقفين على أبواب بيوتهم، فإذا رأوه تباشروا، وقالوا: «جاء صاحب الجراب»[٢]. وكان له شخص من أرحامه يأتيه بالليل فيناوله الدنانير، فيقول له العلوي: «إنّ عليّ بن الحسين لا يوصلني»، ويدعوا عليه، فيسمع الإمام عليه السلام ذلك ويغضي عنه، ولمّا توفّي عليه السلام فقد العلوي الصلة، وعلم أنّ الذي كان يوصله الإمام، فكان يأتي إلى قبره باكياً معتذراً منه[٣]، وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: «ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسين»[٤].

كان الإمام عليه السلام شديد التكتّم في صلاته وهباته، فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطّى وجهه لئلا يعرفه النّاس[٥].

ويقول الذهبي: إنّه كثير الصدقة في السرّ[٦]، وكان يجعل الطعام الذي يوزّعه على الفقراء في جراب ويحمله على ظهره، وقد ترك ذلك أثراً عليه[٧].

وروى اليعقوبي أنّه لمّا غُسل بعد وفاته وجدوا على كتفيه جُلبَ كجلب البعير[٨]، فقيل لأهله: «ما هذه الآثار؟»، فقالوا: «من حمله للطعام في الليل يدور به على منازل الفقراء»[٩].

---

(١) تذكرة الحفّاظ: ١: ٧٥. أخبار الدول: ١١٠. نهاية الإرب: ٢١: ٣٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦: ٨٩.

(٣) و (٥) و (٧) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ١: ٨٩.

(٤) صفة الصفوة: ٢: ٥٤. الاتحاف بحبّ الأشراف: ٤٩.

(٦) تذكرة الحفّاظ: ١: ٧٥.

(٨) **الجلب**: القشرة التي تعلو الجرح عند البرء.

(٩) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٠٣.

ولم يبتغ الإمام في صدقاته وبرّه إلى الفقراء مدحاً أو أجراً من أحد ، وإنّما كان يبغي وجه الله تعالى ، وما يقرّبه إليه زلفى ، وقد وضع أمامه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلَا أَذىً لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١) .

روى الزهري ، قال : رأيت عليّ بن الحسين عليه‌السلام في ليلة باردة ، وهو يحمل على ظهره دقيقاً ، فقلت له :

« يابن رسول الله ، ما هذا ؟ » .

فقال له الإمام بصوت خافت :

« أُعِدُّ سَفراً ، وَأُعِدُّ لَهُ زاداً أَحْمِلُهُ إِلىٰ مَوْضِعٍ حَريزٍ » .

ولم يفهم الزهري ما أراده الإمام ، فأسرع قائلاً :

« هذا غلامي يحمله عنك » .

ولم يجبه الإمام ، فتضرّع إليه الزهري أن يحمله عنه بنفسه ، إلّا أنّه أصرّ على ما ذهب إليه ، وقال له :

« وَلٰكِنّي لا أَرْفَعُ نَفْسي عَمّا يُنْجيني مِنْ سَفَري ، وَيحسّنُ ورودي عَلىٰ ما أَرِدُ عَلَيْهِ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللهِ لَما مَضَيْتَ لِحاجَتِكَ » .

وانصرف الزهري عن الإمام ، وبعد أيّام التقى به ، وكان قد ظنّ أنّ الإمام على جناح سفر ولم يرد أن يخبره عنه ، فقال له :

« يابن رسول الله ، لست أرى لذلك السفر الذي تركته أثراً ؟ » .

فأخبره الإمام بالسفر الذي يريده ، وهو السفر إلى دار الحقّ قائلاً :

« يا زُهْرِيّ ، لَيْسَ ما ظَنَنْتَ ، وَلٰكِنَّهُ الْمَوْتُ ، وَلَهُ أَسْتَعِدُّ ، إِنَّما الْإِسْتِعْدادُ لِلْمَوْتِ

(١) البقرة ٢ : ٢٦٢.

تَجَنُّبُ الْحَرامِ ، وَأبذلُ النَّدىٰ لِلْخَيْرِ»[١] .

إنّ برّ الإمام وإسعافه للفقراء إنّما كان طلباً لمرضاة الله تعالى .

٥ ـ الصبر

من عناصر الإمام زين العابدين عليه السلام على الأحداث الجسام التي مني بها ، فلم يبتل أحد في الدنيا بمثل ما ابتلي به هذا الإمام العظيم ، فقد طافت به المحن والخطوب منذ أن أدرك الحياة إلى أن فارقها ، فقد فجع بوفاة والدته وهو في المرحلة الأُولى من طفولته ، ولم ينتهل من نمير حنانها وعطفها ، كما شاهد وهو في غضون الصبا شهادة جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على يد مجرم خبيث من أرجاس البشريّة ، وهو عبدالرحمن بن ملجم ، وأعقب ذلك المحنة الكبرى وهي خذلان جيش الإمام الحسن والتجائه إلى الصلح ، وما أعقب ذلك من أزمات خطيرة على شيعة أهل البيت حينما تسلّم معاوية بن أبي سفيان قيادة الحكم ، فطغى وأسرف في إراقة الدماء الزكيّة ممّن يدينون بالولاء لأهل البيت ، فسمل منهم العيون ، وألقى الكثير منهم في زنزانات السجون ، وأسقط حقوقهم المدنيّة ، ثمّ اغتال سبط الرسول صلى الله عليه وآله بالسمّ ، وفرض ولده يزيد حاكماً على المسلمين وأخذ البيعة له بالقسر ، وهو يعلم مجونه وفسقه وخلاعته وتجرّده من جميع القيم الإنسانيّة ، وبعد هلاك الطاغية معاوية فجّر سيّد الشهداء وأبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ثورته الكبرى لإنقاذ المسلمين من الحكم الأموي الذي استهدف القضاء على القيم الإسلاميّة ، وإزالة الأرصدة الروحيّة ، وما حقّقه من الانجازات العلميّة والفكريّة .

رأى الإمام زين العابدين عليه السلام العصابات المجرمة من جيوش الكفر التي أحاطت بأبيه في صعيد كربلاء وهي تحصد رؤوس الصفوة من أهل بيت النبوّة وأصحابهم

---

(١) علل الشرائع : ٨٨.

الممجّدين ، ثمّ أحاط الجناة بالإمام الحسين عليه السلام رائد العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام وهم يوسعونه ضرباً بسيوفهم ، وطعناً برماحهم ، حتّى استشهد سلام الله عليه دفاعاً عن الإسلام ، ودفاعاً عن كرامة المسلمين ، ثمّ أحاطوا بالإمام زين العابدين وهو يعاني المرض ، وفقد أهل بيته ، فأحرقوا خباءه وأخبية عقائل النبوّة ، ونهبوا ما عليهنّ من حلل ، وحملوه أسيراً مع ودائع الوحي إلى لقيط مجرم وضيع ، وهو ابن مرجانة ، فقابل الإمام بالشماتة والازدراء ، وأراد قتله ، إلّا أنّ عمّته سيّدة نساء العالمين زينب سلام الله عليها هي التي أنقذته ، وبعد ذلك حمل الإمام مع نساء أهل البيت إلى لقيط آخر ، وهو يزيد بن معاوية ، وقد جرت عليه من المحن والخطوب ما تذوب لها لفائف القلوب .

لقد تجرّع أهوال المصائب وهو صابر محتسب ، قد أوكل أمره إلى الله تعالى ، ورضي بقضائه ، فأي نفس ملائكيّة كانت نفسه الشريفة التي هي امتداد لنفوس آبائه الذين وهبوا أرواحهم لله تعالى ، وتفانوا في خدمة الإسلام ، وتسلّحوا بالصبر على ما عانوه من الخطوب السود ، وكان زين العابدين عليه السلام يرى الصبر من الغنائم (١) ، وأنّه رأس طاعة الله تعالى (٢) .

إنّ قوّة شخصيّة الإمام زين العابدين ، وعدم انهيارها أمام الأحداث المذهلة تعدّ من أندر الشخصيّات على امتداد التأريخ .

٦ - العزّة والإباء

من معالي أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام العزّة والإباء ، وقد ورث هذه الظاهرة الفذّة من أبيه سيّد الأباة الذي مشى إلى الموت بعزّة وشموخ في سبيل عزّته

---

(١) حلية الأولياء : ٣ : ٦٣٨ .

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٧٩ .

وكرامته، وهو القائل للعصابة المجرمة من جيش يزيد:

«لَا وَاللهِ، لَا أُعْطيكُم بِيَدي إعْطاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أُقِرُّ لَكُمْ إقْرارَ الْعَبِيدِ».

وقال عليه السلام: «لَا أَرى الْمَوْتَ إلّا سَعادَةً، وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إلّا بَرَماً».

وتمثّلت هذه الظاهرة في ولده الإمام زين العابدين عليه السلام فقد قال:

«مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيا»[1]، وقال: «ما أُحِبُّ أَنَّ لي بِبَذْلِ نَفْسي حُمرُ النَّعَم»[2]، ولمّا حمل أسيراً إلى الشام لم يكلّف أحداً من الموكّلين بحراسته بأي شيء كما لم يكلّم أي أحد منهم ترفّعاً واستهانة بهم واحتقاراً لهم، ومن سموّ ذاته أنّ أحد أعمامه أخذ منه بعض حقوقه بغير حقّ، وكان بمكّة والوليد كان ملكاً، وحضر موسم الحجّ، فقيل له: لو سألت الوليد ليردّ عليك حقّك؟ فأجابهم بهذه الكلمة الخالدة في دنيا الشرف قائلاً:

«أَفي حَرَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ غَيْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إنّي آنَفُ أَنْ أَسْأَلَ الدُّنْيا مِنْ خالِقِها، فَكَيْفَ أَسْأَلُها مِنْ مَخْلوقٍ مِثْلي»[3].

ومن عزّته وإبائه أنّه ما أكل بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله درهماً قطّ[4]، لقد كان عصيّاً على كلّ ما يتنافى مع سموّ شخصيّته.

٧ـ الشجاعة

ومن ذاتيّاته الشجاعة، فقد كان من أشجع النّاس وأربطهم جأشاً، ومن شجاعته النادرة لمّا دخل أسيراً على الارهابي المجرم ابن مرجانة لم يحفل به ولم يخضع لسلطانه، فقد جابهه الطاغية بكلمات التشفّي، فردّ عليه الإمام بكلمات

---

(١) و (٣) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ١: ٨٠.

(٢) الخصال: ٢٤.

(٤) المصدر المتقدّم: ٨١.

ملتهبة كانت أشدّ على الطاغية اللئيم من وقع السيوف ، فاستشاط غضباً ، وأمر جلاوزته بقتله ، فلم يفزع الإمام وقال له بكلّ طمأنينة :

« **أَما عَلِمْتَ أَنَّ الْقَتْلَ لَنا عادَةٌ وَكَرامَتُنَا الشَّهادَةُ** » .

فانبرت سليلة النبوّة السيّدة زينب عليها السلام فأنقذته من هذا المجرم ولولاها لانقطع نسل الإمام الحسين عليه السلام .

ومن شجاعته أنّه لمّا جيء به أسيراً إلى يزيد بن معاوية (كسرى العرب) ، قابله الإمام بكلّ جرأة ، ونعى عليه ما اقترفه من عظيم الجريمة بإبادته لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخطب في البلاط الأموي خطبته التاريخيّة التي أيقظت الجماهير ، وفضحت يزيد ، وأنزلته من قصره إلى قبره .

لقد ورث الإمام زين العابدين عليه السلام الشجاعة من جدّه الإمام أمير المؤمنين وأبيه الإمام الحسين عليهما السلام ، وهما من أشجع ما خلق الله تعالى ، فليس في دنيا الإسلام من يضارعهما في البطولة والبسالة وقوّة العزم والصلابة في الدفاع عن الحقّ (١) .

٨ ـ التجرّد من الأنانيّة

من معالي أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام التجرّد الكامل من الأنانيّة ، فلم يكن لها أي طابع في نفسه أو سلطان عليه ، ومن بوادر ذلك أنّه إذا أراد السفر سافر مع قوم لا يعرفونه ليتولّى خدمتهم ، ولا يخدمه أحد منهم ، وسافر مرّة مع جماعة لا يعرفونه ، وهو يخدمهم ، فبصر به رجل يعرفه ، فرفع عقيرته قائلاً :

« ويلكم أتعرفون هذا ؟ » .

« لا نعرفه » .

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٨١ .

« هذا عليّ بن الحسين بقيّة الله تعالى في الأرض ، وحجّته على عباده » .

وأسرع القوم نحو الإمام وهم يقبّلون يديه ورجليه قائلين :

« أتريد أن تصلينا نار جهنّم ، ما الذي حملك على هذا ؟ » .

فأجابهم بصوت خافت رقيق النبرات :

« كُنْتُ قَدْ سافَرْتُ مَعَ قَوْمٍ يَعْرِفونَني ، فَأَعْطَوْني بِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ما لا أَسْتَحِقُّ ، وَإِنّي أَخافُ أَنْ تُعْطوني مِثْلَ ذلِكَ ، فَصارَ كِتْمانُ أَمْري أَحَبُّ إِلَيَّ »(١) .

أرأيتم هذا السموّ والكمال الذي لا حدود له عند سيّد المسلمين وإمام المتّقين ، ومن معالي أخلاقه أنّه إذا مرّ بشارع ورأى ما يؤذي السائرين من حجر أو مدر(٢) نزل عن دابّته ، ونحّاه بيده عن الطريق(٣) ، كما أنّه إذا سار في الطريق على بغلته لا يقل لأحد : « **الطَّريق** » ، ويقول : « **هُوَ مُشْتَرَكٌ ، وَلَيْسَ لي أَنْ أُنَحّي عَنْهُ أَحَداً** »(٤) .

إنّ هذه الأخلاق تحكي أخلاق جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي غيّر مجرى تاريخ الأرض بسموّ أخلاقه .

٩ ـ الزهد في الدنيا

وظاهرة أُخرى من أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهي الزهد في الدنيا ، والرفض الكامل لزينتها ومباهجها ، فلم تخدعه الحياة ، ولم يستجب لأيّة رغبة من رغباتها .

وقد أجمع المترجمون له أنّه من أزهد النّاس ، وقد سئل الزهري عن أزهد النّاس ،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ١٤٥ ، وقريب منه في الكامل / المبرّد : ٢ : ٤٨٢ .

(٢) **المدر** : الطين الذي لا رمل فيه .

(٣) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٨٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٢٤٠ .

فقال : « عليّ بن الحسين »[١] . وقد رأى سائلاً يبكي على دنياه ، فتأثّر منه ، وقال :

« لَوْ أَنَّ الدُّنْيا كانَتْ في كَفِّ هٰذا ثُمَّ سَقَطَتْ مِنْهُ لَما كانَ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَبْكي عَلَيْها »[٢] .

إنّ زهد الإمام زين العابدين عليه السلام كان قائماً على التقوى والورع عن محارم الله تعالى ، والاحتياط الشديد في أُمور الدين ، كآبائه الذين تجرّدوا من جميع النزعات الماديّة واتّجهوا صوب الحقّ .

١٠ ـ الإنابة إلى الله عزّ وجلّ

أمّا البارز في أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام فهو الإنابة إلى الله تعالى والانقطاع إليه ، وقد أخلص في طاعته لله تعالى كأعظم ما يكون الإخلاص ، وأيقن أنّ الالتجاء لغيره تعالى إنّما هو خيبة وخسران ، فقد اجتاز على رجل جالس على باب رجل من الأثرياء ، فبادره الإمام قائلاً :

« ما يُقْعِدُكَ عَلىٰ بابِ هٰذَا الْمُتْرَفِ الْجَبّارِ ؟ » .

« البلاء » ، أي الفقر والحاجة .

« قُمْ فَأُرْشِدُكَ إِلىٰ بابٍ خَيْرٌ مِنْ بابِهِ ، وَإِلىٰ رَبٍّ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ » .

واستجاب الرجل ، فنهض معه وسار به حتّى انتهى إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له :

« اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَارْفَعْ يَدَيْكَ بِالدُّعاءِ إِلَى اللهِ تَعالىٰ ، وَصَلِّ عَلىٰ نَبِيِّكَ ، ثُمَّ ادْعُ بِآخِرِ سورَةِ الْحَشْرِ ، وَسِتِّ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ سورَةِ الْحَديدِ ، وَبِالآيَتَيْنِ في

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٩١ .

(٢) الفصول المهمّة / ابن الصباغ : ١٩٢ .

أَوَّلِ سورَةِ آلِ عِمْرانَ ، ثُمَّ سَلِ اللهَ تَعالىٰ سُبْحانَهُ ، فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُهُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطاكَ »(١).

ومن المؤكّد أنّ الالتجاء إلى الله تعالى هو مفتاح النجاح والوسيلة الكبرى لقضاء المهمّات ، والالتجاء إلى غيره إنّما هو سراب وضياع .

دعاؤه عليه‌السلام في الالتجاء إلى الله عزّ وجلّ

« اللّٰهُمَّ إِنْ تَشَأْ تَعْفُ عَنّا فَبِفَضْلِكَ ، وَإِنْ تَشَأْ تُعَذِّبْنا فَبِعَدْلِكَ ، فَسَهِّلْ لَنا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ ، وَأَجِرْنا مِنْ عَذابِكَ بِتَجاوُزِكَ ، فَإِنَّهُ لا طاقَةَ لَنا بِعَدْلِكَ ، وَلا نَجاةَ لِأَحَدٍ مِنّا دُونَ عَفْوِكَ . يا غَنِيَّ الْأَغْنِياءِ ، ها نَحْنُ عِبادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَنَا أَفْقَرُ الْفُقَراءِ إِلَيْكَ ، فَا جْبُرْ فاقَتَنا بِوُسْعِكَ ، وَلا تَقْطَعْ رَجاءَنا بِمَنْعِكَ ، فَتَكُونَ قَدْ أَشْقَيْتَ مَنِ اسْتَسْعَدَ بِكَ ، وَحَرَمْتَ مَنِ اسْتَرْفَدَ فَضْلَكَ ، فَإِلىٰ مَنْ حِينَئِذٍ مُنْقَلَبُنا عَنْكَ ، وَإِلىٰ أَيْنَ مَذْهَبُنا عَنْ بابِكَ .

سُبْحانَكَ نَحْنُ الْمُضْطَرُّونَ الَّذِينَ أَوْجَبْتَ إِجابَتَهُمْ ، وَأَهْلُ السُّوءِ الَّذِينَ وَعَدْتَ الْكَشْفَ عَنْهُمْ ، وَأَشْبَهُ الْأَشْياءِ بِمَشِيَّتِكَ ، وَأَوْلَى الْأُمُورِ بِكَ فِي عَظَمَتِكَ ، رَحْمَةُ مَنِ اسْتَرْحَمَكَ ، وَغَوْثُ مَنِ اسْتَغاثَ بِكَ ، فَارْحَمْ تَضَرُّعَنا إِلَيْكَ ، وَأَغْنِنا إِذْ طَرَحْنا أَنْفُسَنا بَيْنَ يَدَيْكَ .

اللّٰهُمَّ إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ شَمِتَ بِنا اذْ شايَعْناهُ عَلىٰ مَعْصِيَتِكَ ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَلا تُشْمِتْهُ بِنا بَعْدَ تَرْكِنا إِيّاهُ لَكَ ، وَرَغْبَتِنا عَنْهُ إِلَيْكَ »(٢).

---

(١) الجنّة الواقية والجنّة الباقية / الكفعمي : ١٩٠ ، مخطوط في مكتبة السيّد الحكيم ، التسلسل ١٢٧٢ .

(٢) الصحيفة السجّادية ـ الدعاء العاشر .

حكى هذا الدعاء حاجة الإمام إلى عفو الله تعالى ولطفه، فهو يطلب منه بتضرّع وخشوع أن لا يقطع رجاءه، فيكون بذلك قد شقي بعد سعادته بمعرفته، وأن يتفضّل عليه بالقرب منه.

انقطاعه عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ

انقطع الإمام إلى الله تعالى انقطاعاً كاملاً؛ لأنّ مصادر النفع والقوّة إنّما هي بيده تعالى، أمّا الالتجاء إلى غيره فإنّما هو إلتجاء إلى من لا يملك النفع والضرّ، ولنستمع إلى دعائه في ذلك:

«اللّٰهُمَّ إِنّي أَخْلَصْتُ بِانْقِطاعي إِلَيْكَ، وَأَقْبَلْتُ بِكُلّي عَلَيْكَ، وَصَرَفْتُ وَجْهي عَمَّنْ يَحْتاجُ إِلىٰ رِفْدِكَ، وَقَلَبْتُ مَسْأَلَتي عَمَّنْ لَمْ يَسْتَغْنِ عَنْ فَضْلِكَ، وَرَأَيْتُ أَنَّ طَلَبَ الْمُحْتاجِ إِلَى الْمُحْتاجِ سَفَهٌ مِنْ رَأْيِهِ، وَضَلَّةٌ مِنْ عَقْلِهِ.

فَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ يا إِلٰهي مِنْ أُناسٍ طَلَبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِكَ فَذَلُّوا، وَرامُوا الثَّرْوَةَ مِنْ سِواكَ فَافْتَقَرُوا، وَحاوَلُوا الْاِرْتِفاعَ فَاتَّضَعُوا، فَصَحَّ بِمُعايَنَةِ أَمْثالِهِمْ حازِمٌ وَفَّقَهُ اعْتِبارُهُ، وَأَرْشَدَهُ إِلىٰ طَريقِ صَوابِهِ اخْتِيارُهُ.

فَأَنْتَ يا مَولايَ دُونَ كُلِّ مَسْؤُولٍ مَوْضِعُ مَسْأَلَتي، وَدُونَ كُلِّ مَطْلُوبٍ إِلَيْهِ وَلِيُّ حاجَتي، أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتي، لايَشْرَكُكَ أَحَدٌ في رَجائي، وَلايَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ في دُعائي، وَلا يَنْظِمُهُ وَإِيّاكَ نِدائي.

لَكَ يا إِلٰهي وَحْدانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَمَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ، وَفَضيلَةُ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ، وَمَنْ سِواكَ مَرْحُومٌ في عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلىٰ شَأْنِهِ، مُخْتَلِفُ الْحالاتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفاتِ، فَتَعالَيْتَ

عَنِ الْأَشْباهِ وَالْأَضْدادِ ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الْأَمْثالِ وَالْأَنْدادِ ، فَسُبْحانَكَ لا إِلٰـهَ إِلَّا أَنْتَ »(١) .

وحكت هذه اللوحة الذهبيّة مدى انقطاع الإمام إلى الله تعالى ، ومدى صلته به ، فقد أقبل بروحه وعواطفه نحوه ، وصرف نفسه عن غيره من المخلوقين الذين لا حول لهم ولا قوّة ، فإنّ تعلّق الرجاء بهم إنّما هو مضيعة للعمر ، وسفه في الرأي ، وقد نعى الإمام عليه السلام الذين يطلبون العزّة من غير الله تعالى ، فإنّهم قد ذلّوا وافتقروا ، فإنّه لا وجود لغير الله تعالى فبيده العطاء والحرمان .

دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق

ونطوي هذا الحديث الموجز عن مكارم أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام بدعاء له عن محاسن الأخلاق والصفات ، وهو من غرر أدعيته . قال عليه السلام :

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلىٰ أَحْسَنِ النِّيَّاتِ ، وَبِعَمَلِي إِلىٰ أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ .

اللّٰهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي ، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي ، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الإهْتِمَامُ بِهِ ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْئَلُنِي غَداً عَنْهُ ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ وَلَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ ، وَأَعِزَّنِي وَلَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلىٰ يَدَيَّ الْخَيْرَ وَلَا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ ، وَهَبْ لِي

---

(١) الصحيفة السجّاديّة : الدعاء السابع والعشرون .

مَعَالِيَ الْأَخْـلَاقِ ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا ، وَلَا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلَّا أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَـالِحٍ لَا أَسْـتَبْدِلُ بِـهِ ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لَا أَزِيغُ عَنْهَا ، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لَا أَشُكُّ فِيهَا ، وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ .

اللّٰـهُمَّ لَا تَـدَعْ خَـصْلَةً تُـعَابُ مِـنِّي إِلَّا أَصْـلَحْتَهَا ، وَلَا عَـائِبَةً أُؤَنَّبُ بِـهَا إِلَّا حَسَّنْتَهَا ، وَلَا أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلَّا أَتْمَمْتَهَا .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّـلَاحِ الثِّـقَةَ ، وَمِـنْ عَـدَاوَةِ الْأَدْنَيْنَ الْوِلَايَةَ ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْـمَبَرَّةَ ، وَمِـنْ خِـذْلَانِ الْأَقْـرَبِينَ النُّصْرَةَ ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِيـنَ تَـصْحِيحَ الْـمِقَةِ ، وَمِـنْ رَدِّ الْـمُـلَابِسِينَ كَـرَمَ الْعِشْرَةِ ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَـلَاوَةَ الْأَمَنَةِ .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لِي يَداً عَلىٰ مَنْ ظَلَمَنِي ، وَلِسَاناً عَلىٰ مَنْ خَاصَمَنِي ، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي ، وَهَبْ لِي مَكْراً عَلىٰ مَنْ كَايَدَنِي ، وَقُدْرَةً عَلىٰ مَنِ اضْطَهَدَنِي ، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي ، وَسَـلَامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي ، وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي ، وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ ، وأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ ، وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ ، وَأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلىٰ حُسْنِ الذِّكْرِ ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ ، وَسُكُونِ الرِّيحِ ، وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ ، وَإِيثَارِ التَّفَضُّلِ ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ ، وَالْإِفْضَالِ عَلىٰ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ ، وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ ، وَاسْتِقْلَالِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ، وَأَكْمِلْ ذٰلِكَ لِي بِدَوامِ الطَّاعَةِ ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ ، وَمُسْتَعْمِلِي الرَّأيِ الْمُخْتَرَعِ .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذا كَبِرْتُ ، وَأَقْوىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ إِذا نَصِبْتُ ، وَلَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ ، وَلَا الْعَمىٰ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَلَا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ ، وَلَا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ ، وَلَا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ .

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالْإِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ ، وَلَا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ ، وَلَا بِالتَّضَرُّعِ إِلىٰ مَنْ دُونَكَ إِذا رَهِبْتُ ، فَأَسْتَحِقَّ

بِذٰلِكَ خِذْلاَنَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللّٰهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي والتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ ، وَتفكُّراً فِي قُدْرَتِكَ ، وَتَدْبِيراً عَلىٰ عَدُوِّكَ ، وَمَا أَجْرىٰ عَلىٰ لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هَجْرٍ أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ ، أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ ، أَوْ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ ، وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ ، وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ ، وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي ، وَلَا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي ، وَلَا أَضِلَنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي ، وَلَا أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدَكَ وُسْعِي ، وَلَا أَطْغَيَنَّ وَمَنْ عِنْدِكَ وُجْدِي .

اللّٰهُمَّ إِلىٰ مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ ، وَإِلىٰ عَفْوِكَ قَصَدْتُ ، وَإِلىٰ تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ ، وَلَا فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلىٰ نَفْسِي إِلَّا فَضْلُكَ ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ . اللّٰهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدىٰ ، وَأَلْهِمْنِي التَّقْوىٰ ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكىٰ ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضىٰ . اللّٰهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلىٰ ، وَاجْعَلْنِي عَلىٰ مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنِي بِالْإِقْتِصَادِ ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ ، وَسَلَامَةَ الْمِرْصَادِ .

اللّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخلِّصُهَا ، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا ، فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا .

اللّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ ، وَلِمَا فَسَدَ صَلَاحٌ ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ ، فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَةِ ، وَقَبْلَ الضَّلَالِ بِالرَّشَادِ ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الْإِرْشَادِ .

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَادْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ ، وَأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ ، وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ ، وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الْأُمُورُ لِأَهْدَاهَا ، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الْأَعْمَالُ لِأَزْكَاهَا وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا .

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلَايَةِ وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ ، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً ، وَلَا تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً ، فَإِنِّي لَا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً ، وَلَا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً .

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ . اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ الْإِكْتِسَابِ ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ ، فَلَا أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ ، وَلَا أَحْتَمِلَ إِصْرَ

تبِعَاتِ الْمَكْسَبِ .

اللّٰهُمَّ فَاطْلُبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلَا تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ ، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُبْتَلىٰ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ ، وَفَرَاغاً فِي زَهَادَةٍ ، وَعِلْماً فِي اسْتِعْمَالٍ ، وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ .

اللّٰهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي ، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي ، وَسَهِّلْ إِلىٰ بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي ، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ ، وَانْهَجْ لِي إِلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً ، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلىٰ أَحَدٍ بَعْدَهُ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ »(١) .

وفي هذا الدعاء الشريف طاقات من التوحيد والعرفان ، وقد مررنا عليه مروراً خاطفاً لم نحلّل أبعاده ؛ لأنّا في السفر إلى بيت الله الحرام ، وليس لدينا مزيد

---

(١) في ظلال الصحيفة السجّاديّة / العلّامة محمّد جواد مغنيّة : ٢٠٠ ـ ٢٠٨ .

من الوقت ، وبه ننهي الحديث عن مكارم أخلاق هذا الإمام العظيم الذي لم تشاهد الدنيا مثله في تقواه وورعه ، حتّى لقّب بسيّد العابدين.

أمّا عبادته فقد أبدى فيها من الخضوع والتذلّل أمام الله تـعالى مـا لا يـوصف ، فقد ذاب أمام الله تعالى ، فعبده عبادة لم يعهد لها نظير في عبادة المـتّقين ، وقـد ذكرناها بالتفصيل في الجزء الأوّل من حياة الإمام زين العابدين ، كما اقتبسنا معظم هذه البحوث منه.

الإمام الباقر عليه السلام

الإمام أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام من أعمدة الإيمان والتقوى في الإسلام، وقد برز على الصعيد العلمي كأعظم شخصيّة علميّة في مواهبه وعبقريّاته، فكان ـ فيما أجمع عليه المؤرّخون ـ مناراً للعلم، ومثلاً أعلى في سموّ الأخلاق والآداب، وقد آمن المسلمون بوفور علمه، وزعامته العليا في الفقه، وشؤون الدين، وأحكام الشريعة، وقد تغذّى الفقهاء من نمير علومه، وانقادوا إلى زعامته، والاعتراف له بالتفوّق على جميع علماء عصره، وقبل التحدّث عن معالي أخلاقه نعرض لبعض ما أُثر عنه في حثّ المسلمين على التحلّي بمحاسن الصفات، والتحذير من مساوئ الصفات.

مكارم الأخلاق

اهتمّ الإمام عليه السلام بنشر مكارم الأخلاق، وإشاعتها بين النّاس؛ لأنّها من العناصر في تطوّر الحياة الاجتماعيّة، وسلامة الإنسان من التردّي في مآثم الحياة، وقد حفلت بذلك مصادر الحديث والفقه والأخلاق بالكثير من كلماته الحكميّة، وهذه بعضها:

١ ـ متابعة الإحسان

ندب الإمام عليه السلام إلى متابعة الإحسان لأنّها توجب شيوع المحبّة والأُلفة،

وترابط المجتمع ، استمعوا لقوله عليه السلام :

« ما تُذُرِّعَ إِلَيَّ بِذَرِيعَةٍ ، وَلا تُوُسِّلَ بِوَسِيلَةٍ هِيَ أَقْرَبُ لَهُ إِلى ما يُحِبُّ مِنْ يَدٍ سالِفَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ أَتْبَعْتُها أُخْتَها لِتُحْسِنَ حِفْظَها وَرَبَّها ؛ لِأَنَّ مَنْعَ الْأَواخِرِ يَقْطَعُ لِسانَ شُكْرِ الْأَوائِلِ ، وَما سَمِحَتْ لي نَفْسي بِرَدِّ بِكْرِ الْحَوائِجِ »[١] .

أرأيتم كيف يوصي الإمام بمتابعة الإحسان ، وأنّها أحبّ الأمور إليه ؛ لأنّها تغرس المودّة والحبّ في قلوب النّاس .

٢ ـ فعل المعروف

كان الإمام عليه السلام يدعو المسلمين إلى فعل المعروف بكثير من أحاديثه ؛ لأنّه به سموّ الإنسان وكرامته ، ولنستمع إلى بعض أحاديثه في ذلك :

١ ـ قال عليه السلام : **« إِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ لِلْمَعْروفِ أَهْلاً مِنْ خَلْقِهِ ، حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْمَعْروفَ ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِم فَعالَهُ ، وَوَجَّهَ لِطُلّابِ الْمَعْروفِ الطَّلَبَ إِلَيْهِم ، وَيَسَّرَ إِلَيْهِم قَضاءَهُ ، كَما يَسَّرَ الْغَيْثَ لِلْأَرْضِ الْمُجْدِبَةِ لِيُحْيِيَها ، وَيُحْيِي أَهْلَها ، وَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ لِلْمَعْرُوفِ أَعْداءً مِنْ خَلْقِهِ بَغَّضَ إِلَيْهِمُ الْمَعْروفَ ، وَبَغَّضَ إِلَيْهِم فِعالَهُ ، وَحَظَرَ عَلىٰ طُلّابِ الْمَعْرُوفِ التَّوَجُّهَ إِلَيْهِم ، وَحَظَرَ عَلَيْهِم قَضاءَهُ كَما يَحْظُرُ الْغَيْثَ عَنِ الْأَرْضِ الْمُجْدِبَةِ لِيُهْلِكَها وَيُهْلِكَ أَهْلَها ، وَما يَعْفُو اللهُ أَكْثَرَ »**[٢] .

ومن المؤكّد أنّ للمعروف أهلاً هم من أفضل النّاس في سموّ نفوسهم ، ومعالي أخلاقهم ، حبّب الله تعالى إليهم فعل المعروف ، فكان من مقوّماتهم وعناصرهم ، كما أنّ هناك عصابة من النّاس أعداء للمعروف ، وأعداء لكلّ ما ينفع النّاس ، وهم أراذل المجتمع وسفلة الخلق .

---

(١) تحف العقول : ٢٩٦ .

(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٢٩٦ .

٢ ـ قال عليه السلام: «صَنائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقي مَصارِعَ السُّوءِ، وَكُلُّ مَعْروفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ في الدُّنْيا هُم أَهْلُ الْمَعْروفِ في الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ في الدُّنْيا هُم أَهْلُ الْمُنْكَرِ في الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ أَهْلِ الْجَنَّة دُخولاً إِلَى الْجَنَّةِ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ، وَأَنَّ أَوَّلَ أَهْلِ النّارِ دُخُولاً إِلَى النّارِ أَهْلُ الْمُنْكَرِ»(١).

حكى هذا الحديث مدى الأهمّية البالغة لصنايع المعروف، فإنّ لهم وسام شرف في الدنيا والآخرة، وبعكسهم أهل المنكر، فإنّهم حطب جهنّم وأراذل الخلق في الدنيا.

٣ ـ مقابلة المعروف بالإحسان

من الأخلاق العلويّة مقابلة المعروف بالإحسان، وقد أكّد عليه السلام ذلك بقوله:

«مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صُنِعَ إِلَيْهِ فَقَدْ كافاهُ، وَمَنْ أَضْعَفَ كانَ شَكوراً، وَمَنْ شَكَرَ كانَ كَريماً، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ ما صَنَعَ كانَ إِلىٰ نَفْسِهِ لَمْ يَسْتَبْطِئِ النّاسَ في شُكْرِهِم، وَلَمْ يَسْتَزِدْهُم في مَوَدَّتِهِم، فَلَا تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ ما أَتَيْتَهُ إِلىٰ نَفْسِكَ، وَوَقَيْتَ بِهِ عِرْضَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ طالِبَ الْحاجَةِ لَمْ يُكْرِمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ، فَأَكْرِمْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّه»(٢).

وحفلت هذه الكلمات الذهبيّة بالحثّ على صنع المعروف بما هو معروف، وأن لا يبغي صاحبه جزاء ولا شكراً؛ لأنّه إنّما صنع ذلك لنفسه.

٤ ـ معاملة النّاس بالحسنى

من معالي أخلاق الإمام أنّه كان يحثّ على معاملة الناس بالحسنى. قال عليه السلام:

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٢٥.

(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ١: ٢٩٧.

«قُولُوا لِلنّاسِ أَحْسَنَ ما تُحِبّونَ أَنْ يُقالَ لَكُم ، فَإِنَّ اللهَ تعالىٰ يُبْغِضُ اللَّعّانَ السَّبّابَ الطَّعّانَ عَلَى الْمُؤْمِنينَ ، الْفاحِشِ الْمُتَفَحِّشِ ، السّائِلِ الْمُلْحِفِ ، وَيُحِبُّ الْحَيِيَّ الْحَليمَ ، الْعَفيفَ الْمُتَعَفِّفَ»(١).

ندب الإمام إلى تحلّي المسلم بأسمى صفات الشرف والكمال ، وحذّره من الصفات الشريرة التي تحطّ من كرامته .

٥ ـ طلاقة الوجه

وكان من تعاليم الإمام هذه الكلمات المشرقة ، قال عليه السلام :

«الْبِشْرُ الْحَسَنُ ، وَطَلاقَةُ الْوَجْهِ مَكْسَبَةٌ لِلْمَحَبَّةِ ، وَقُرْبَةٌ مِنَ اللهِ تَعالىٰ ، وَعُبوسُ الْوَجْهِ ، وَسُوءُ الْبِشْرِ مَكْسَبَةٌ لِلْمَقْتِ ، وَبُعْدٌ مِنَ اللهِ»(٢).

من آداب السلوك مع النّاس مقابلتهم بطلاقة الوجه والترحيب بهم ، فإنّه موجب للمودّة والمحبّة ، وأمّا عبوس الوجه فإنّه موجب للمقت والبعد من الله تعالى .

٦ ـ قضاء حوائج النّاس

ندب الإمام أبو جعفر إلى قضاء حوائج النّاس لأنّه من صميم التعاليم الإسلاميّة الهادفة إلى التعاون والمودّة بين المسلمين . قال عليه السلام :

«ما مِنْ عَبْدٍ يَمْتَنِعُ عَنْ مَعونَةِ أَخيهِ الْمُسْلِمِ ، وَالسَّعْيِ لَهُ في حاجَتِهِ ، قُضِيَتْ لَهُ أَوْ لَمْ تُقْضَ ، إِلَّا ابْتُلِيَ في حاجَةِ فيما يَأْثَمُ عَلَيْهِ وَلَا يُؤْجَرُ وَما مِنْ عَبْدٍ يَبْخَلُ بِنَفَقَةٍ يُنْفِقُها فيما يُرضي اللهَ إِلَّا ابْتُلِيَ بِأَنْ يُنْفِقَ أَضْعافَها فيما أَسْخَطَ اللهَ»(٣).

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٢٩٧.

(٢) تحف العقول : ٢٩٦.

(٣) تحف العقول : ٢٩٢.

أرأيتم هذا التحذير بنزول الإثم وسخط الله تعالى على من لا يقوم بإسعاف إخوانه والسعي في قضاء حوائجهم .

٧ ـ صلة الأرحام

عنى الإمام عليه السلام بصلة الأرحام لأنّها توجب تماسك الأُسرة وترابط المسلمين ، وقد ذكر الإمام عليه السلام الثمرات التي يكتسبها الإنسان في صلته لأرحامه . قال عليه السلام :

« صِلَةُ الْأَرْحامِ تُزَكّي الْأَعْمالَ ، وَتُنَمّي الْأَمْوالَ ، وَتَدْفَعُ الْبَلْوىٰ ، وَتُيَسِّرُ الحِسابَ ، وَتُنْسِئُ في الْأَجَلِ »[١] .

٨ ـ العطف على اليتيم

من الأخلاق الكريمة التي ندب إليها الإمام: البرّ باليتيم والضعيف . قال عليه السلام :

« أَرْبَعٌ مِنْ كُنَّ فيهِ بَنَى اللهُ تَعالىٰ لَهُ بَيْتاً في الْجَنَّةِ : مَنْ آوَى الْيَتيمَ ، وَرَحِمَ الضَّعيفَ ، وَأَشْفَقَ عَلىٰ والِدَيهِ ، وَرَفَقَ بِمَمْلوكِه »[٢] .

٩ ـ مكارم الأخلاق

من مكارم الأخلاق التي ندب إليها الإمام عليه السلام هذه الصفات التي تقرّب الإنسان من الله تعالى ، وتنجيه من سخطه وعذابه ، وهي :

« أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كَمُلَ إِسْلامُهُ ، وَأُعينَ عَلىٰ إيمانِهِ ، وَمُحِّصَتْ ذُنوبُهُ ، وَلَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَنْهُ راضٍ ، وَلَوْ كانَ فيما بَيْنَ قَرْنِهِ إِلىٰ قَدَمَيْهِ ذُنوبٌ حَطَّها اللهُ عَنْهُ ، وَهِيَ الْوَفاءُ بِما يَجْعَلُ اللهُ تَعالىٰ عَلىٰ نَفْسِهِ ، وَصِدْقُ اللِّسانِ مَعَ النّاسِ ، وَالحَياءُ بِما يَقْبَحُ عِنْدَ

---

(١) تحف العقول : ٢٩٨.

(٢) الخصال : ٢٠٤.

اللهِ وَعِنْدَ النّاسِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ الأَهْلِ وَالنّاسِ .

وَأَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ أَسْكَنَهُ اللهُ تَعالىٰ في أَعْلىٰ عِلِّيِّينَ في غُرَفٍ فَوْقَ الْغُرَفِ : مَنْ آوَى الْيَتيمَ ، وَنَظَرَ لَهُ وَكانَ لَهُ أباً ، وَمَنْ رَحِمَ الضَّعيفَ ، وَأَعانَهُ وَكَفاهُ ، وَمَنْ أَنْفَقَ عَلىٰ والِدَيْهِ وَتَرَفَّقَ بِهِما وَسَرَّهُما ، وَلَمْ يُحْزِنْهُما وَمَنْ لَمْ يَخْرَق مَمْلوكَهُ فَأَعانَهُ عَلىٰ ما يُكَلِّفُه »[١] .

وهذه الخصال التي ندب إليها الإمام من اُمّهات الفضائل ، ومن محاسن الصفات والأعمال .

مساوئ الأخلاق

أمّا الصفات الذميمة فهي التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق ، وقد حذّر الإمام منها حفظاً لشخصيّة الإنسان المسلم أن يتلوّث بالصفات الذميمة ، قال عليه‌السلام في بيانها :

١ ـ التكبّر

قال عليه‌السلام : « ما دَخَلَ قَلْبَ امْرِئٍ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مِثْلُ ما دَخَلَهُ مِنْ ذلِكَ ، قَلَّ ذلِكَ أَوْ كَثُر »[٢] .

وقال عليه‌السلام : « الْمُتَكَبِّرُ يُنازِعُ اللهَ رِداءَه »[٣] .

إنّ الكبرياء نقص وانحطاط للإنسان ، فإنّه لو فكّر ما يصير إليه من مفارقة الحياة واستحالة جسمه إلى كتلة من التراب المهين لما تكبّر على خلق الله ورفع عليهم رأسه .

---

(١) الدرّ النظيم : ١٩١ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٦١ . حلية الأولياء : ٢ : ١٨٠ .

(٣) تحف العقول : ٢١٣ .

٢ ـ النفاق

أمّا النفاق فهو من رذائل الصفات التي يمقتها الله تعالى ، وقد حذّر الإمام عليه السلام منه قال عليه السلام :

« بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذا وَجْهَينِ ، وَذا لِسانَيْنِ يُطْري أَخاهُ شاهِداً ، وَيأْكُلُهُ غائِباً ، إنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ ، وَإنْ ابْتُلِيَ خَذَلَهُ »(١) .

إنّ النفاق يكشف عن خبث السريرة ، وسوء الطويّة ، وأنّ من يبتلى به فليس له نصيب من الإيمان والإسلام .

٣ ـ الغيبة والبهتان

وبيّن الإمام الفارق بين الغيبة والبهتان بقوله :

« الغَيْبَةُ أَنْ تَقُولَ في أَخيكَ ما سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، فَأَمّا الْأَمْرُ الظّاهِرُ مِنْهُ مِثْلُ الْحِدَّةِ وَالْعَجَلَةِ فَلَا بَأْسَ أَنْ تَقُولَهُ ، وَأَمّا الْبُهْتانُ أَنْ تَقُولَ في أَخيكَ ما لَيْسَ فيه »(٢) .

وكلا الصفتين قد حرّمهما الله ، وتوعّد من يتّصف بهما بالنّار .

٤ ـ العجب

من الصفات الممقوتة أن يعجب الإنسان بنفسه أو بما أُوتي من متع الحياة الدنيا ، وقد حذّر الإمام منه قال :

« عَجَباً لِلْمُخْتال الفَخُورِ ، إنَّما خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ يَعُودُ جيفَةً ، وَهُوَ فِيما بَيْنَ ذلِكَ لَا يَدْري ما يُصْنَعُ بِهِ »(٣) .

---

(١) أمالي الصدوق : ٣٠ .

(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٢٠٣ .

(٣) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٢٠٤ .

إنّ عجب الإنسان بنفسه ينمّ عن نقصه وضحالة فكره بما يصير إليه من الفناء .

٥ ـ الغضب

من الآفات التي تدمّر الحياة وتلقي الإنسان في شرّ عظيم الغضب ، وقد حذّر منه الإمام قال عليه السلام :

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَما يَرْضىٰ أَبَداً حَتّىٰ يَدْخُلَ النّار »(١) .

إنّ الغضب يجرّ الإنسان إلى اقتراف الجريمة ، ويورده الجحيم .

٦ ـ صفات ممقوتة

من الصفات الممقوتة التي حذّر منها الإمام عليه السلام هذه الخصال . قال عليه السلام :

« ما أَقْبَحَ الْغِلْظَةَ عَلَى الفَقيرِ ، وَالْقَسْوَةَ عَلَى الْجارِ ، وَمُشاحَّةَ الْفَقيرِ الْقَريبِ ، وَالْخِلافَ عَلَى الصّاحِبِ ، وَسُوءَ الْخُلُقِ عَلَى الْأَهْلِ ، وَالْإِسْتِطالَةَ بِالْقُدْرَةِ ، وَالْجَشَعَ مَعَ الْفَقْرِ ، وَالْغيبَةَ لِلْجَليسِ ، وَالْكَذِبَ في الْحَديثِ ، وَالسَّعْيَ بِالْمُنْكَرِ ، وَالْغَدْرَ مِنَ السُّلْطانِ ، وَالْخُلْفَ مِنْ ذَوي الْمُرُوَّةِ . مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اِسْتَحَقَّ الْحِرْمان »(٢) .

إنّ هذه الخصال من الصفات الممقوتة ، وقد حذّر الإمام منها لأنّها تهدم شخصيّة الإنسان ، وتلقيه في متاهات سحيقة من الحياة .

مكارم أخلاقه

أمّا معالي أخلاق الإمام أبي جعفر عليه السلام فهي كأخلاق آبائه العظام الذين أضاءوا الحياة الفكريّة بسموّ أخلاقهم وآدابهم ، وهذه شذرات من معالي أخلاقه .

---

(١) جامع السعادات : ١ : ٢٨٩ .

(٢) اتذكرة الحمدونيّة : ٦٠ .

١ ـ الحلم

كان الإمام أبو جعفر عليه السلام من أحلم النّاس ، فكان يقابل المسيئ بالصفح والإحسان ، وقد روى المؤرّخون صوراً من حلمه ، كان منها :

١ ـ أنّ كتابيّاً هاجم الإمام ، وخاطبه بمرّ القول قائلاً له :

« أنت بقر » .

فتبسّم الإمام وقال له بلطف :

« لا ، أنا باقِرٌ » .

وهاجم الكتابي الإمام مرّة اُخرى قائلاً :

« أنت ابن الطبّاخة » .

« ذاكَ حِرْفَتُها » .

وراح الكتابي يعتدي على الإمام قائلاً :

« أنت ابن السوداء الزنجيّة البذيّة » .

لم يغضب الإمام ، فأجابه :

« إنْ كُنْتَ صَدَقْتَ غَفَرَ اللهُ لَكَ ، وَإنْ كُنْتَ كَذَبْتَ غَفَرَ اللهُ لَكَ » .

وبهت الكتابي من هذه الأخلاق الرفيعة التي تضارع أخلاق الأنبياء ، فأعلن إسلامه[١] .

٢ ـ ومن تلك الصور الرائعة من حلمه أنّ شاميّاً كان يختلف إلى مجلسه ويسمع محاضراته ، وقد اُعجب بها ، فقال له :

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٠٧ . بحار الأنوار : ٤٦ : ٢٨٩ . أعيان الشيعة : ٤ : ٥٠٤ ـ القسم الأوّل .

« يا محمّد ، إنّما أخشى مجلسك لا حبّاً منّي إليك ، ولا أقول إنّ أحداً أبغض إليّ منكم أهل البيت ، واعلم أنّ طاعة الله تعالى وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم ، ولكنّي أراك رجلاً فصيحاً ، لك أدب ، وحسن لفظ ، فإنّما أختلف إليك لحسن أدبك » .

ونظر إليه الإمام بعطف وحنان ، وراح يغدق عليه ببرّه وإحسانه حتّى استقام الرجل وتبيّن له زيف الدعاية المضلّلة ضدّ أهل البيت ، فتبدّلت عقيدته من البغض للإمام إلى الولاء له ، وظلّ ملازماً له حتّى حضرته الوفاة ، فأوصى أن يصلّي عليه الإمام(١) .

لقد ضارع الإمام عليه السلام بسموّ أخلاقه جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي استطاع بمكارم أخلاقه أن يؤلّف ما بين القلوب ، ويوحّد ما بين المشاعر ، ويجمع النّاس على كلمة التوحيد بعدما كانوا يعبدون الأوثان والأصنام .

٢ ـ الصبر

وظاهرة أُخرى من نزعاته الأخلاقيّة وهي الصبر على ما عاناه من الأحداث الجسام التى تجرّعها منذ نعومة أظفاره ، فقد رأى جدّه الإمام الحسين سيّد شباب أهل الجنّة على صعيد كربلاء ، ومعه الصفوة من أهل بيته وأصحابه الممجّدين مجزّرين كالأضاحي ، وصاحب المصائب والكوارث التي حلّت بأهل البيت وهو أحد رواتها .

وعلى أيّ حال ، فقد تحمّل الإمام أبو جعفر المحن والخطوب التي تذهل كلّ كائن حيّ ، والتي منها :

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ١٢١ .

١ ـ انتقاص السلطة الأمويّة لآبائه الطاهرين، وإعلانها سبّهم على المنابر في خطب الجمعة وصلاة العيدين وغيرها، فقد جعل معاوية بن هند سبّ أهل البيت جزءاً من العقيدة الإسلاميّة، وفرضاً لازماً على المسلمين، والإمام يسمع ذلك ونفسه تتقطّع ألماً، وهو لا يتمكّن أن ينبس ببنت شفة، فصبر على هذه المحنة الحازبة.

٢ ـ ومن المحن الشاقّة التي صبر عليها، والتي تحزّ في نفسه أنّه يرى ويسمع بالتنكيل الهائل لشيعة أهل البيت بأيدي الجلّادين من عملاء السلطة الأمويّة، وهو لا يتمكّن من حمايتهم والدفاع عنهم.

٣ ـ كان للإمام ولداً أثيراً عليه فمرض، فتألّم عليه حتّى خشي عليه، وتوفّي الولد فسكن روعه، فقيل له:

« خشينا عليك يابن رسول الله ؟ ».

فأجاب باطمئنان ورضى بقضاء الله قائلاً:

« إنّا نَدْعو اللهَ فِيما يحُبُّ، فَإذا وَقَعَ ما نَكْرَهُ لَمْ نُخالِفِ اللهَ فيما يُحِبّ »[١].

لقد تسلّح الإمام بالصبر، وقابل نوائب الدنيا بإرادة صلبة من غير ضجر ولا سأم محتسباً الأجر عند الله تعالى.

٣ ـ الزهد

ومن السمات البارزة في أخلاق الإمام أبي جعفر عليه السلام الزهد في الدنيا، والإعراض عن جميع مباهجها وزينتها، فلم يتّخذ الرياش في داره، وإنّما كان يفرش الحصير في مجلسه[٢].

---

(١) تاريخ دمشق: ٥٧: ٢٢٩. عيون الأخبار / ابن قتيبة: ٣: ٥٧.

(٢) دعائم الإسلام: ٢: ١٥٨.

وحدّث جابر بن يزيد الجعفي عن زهد الإمام قال: قال لي محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام:

« يا جابِرُ ، إنّي لَمَحْزُونٌ ، وَإنّي لَمُشْتَغِلُ الْقَلْب ».

فانبرى جابر قائلاً:

« ما حزنك وما شغل قلبك ؟ ».

« يا جابِرُ ، إنَّ مَنْ دَخَلَ قَلْبَهُ صافي دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَغَلَهُ عَمّا سِواه .

يا جابِرُ ، ما الدُّنْيا ، وَما عَسىٰ أنْ تَكونَ ؟ هَلْ هِيَ إلَّا مَرْكَبٌ رَكِبْتَهُ ، أَوْ ثَوْبٌ لَبِسْتَهُ ، أَوِ امْرَأَةٌ أَصَبْتَها »(١).

وهكذا عزف عن الدنيا وطلّقها كجدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي أعرض عن الدنيا ، واتّجه صوب الحقّ ، ولم يتحلّ بأي زينة من زينتها .

٤ ـ الكرم والسخاء

١ ـ أمّا الكرم فكان من عناصر الإمام أبي جعفر عليه السلام ، فقد جبل على البرّ والإحسان للبؤساء والمحرومين ، وإدخال السرور عليهم . يقول ابن الصباغ :

«كان محمّد بن عليّ بن الحسين مع ما هو عليه من العلم والفضل والرياسة والإمامة ظاهر الجود في الخاصّة والعامّة ، مشهور بالكرم في الكافّة ، معروف بالفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسّط حاله »(٢).

وقد روى المؤرّخون بوادر كثيرة من جوده كان منها :

٢ ـ روى سليمان بن قرم ، قال : كان أبو جعفر يجيزنا الخمسمائة درهم إلى

---

(١) تاريخ دمشق : ٥٧ : ٢١٩ . البداية والنهاية : ٩ : ٣١٠ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٦٢ .

السمائة إلى الألف ، وكان لا يملّ من صلة الإخوان وقاصديه وراجيه[١] .

٣ ـ قال الحسن بن كثير : « شكوت إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ الحاجة ، وجفاء الاخوان » ، فتأثّر ، وقال عليه السلام :

« بِئْسَ الْأَخُ يَرْعاكَ غَنِيّاً وَيَقْطَعُكَ فَقيراً » .

ثمّ أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم ، وقال عليه السلام :

« اسْتَنْفِقْ هٰذِهِ ، فَإِذا نَفِدَتْ فَأَعْلِمْني »[٢] .

أرأيتم هذا السخاء الذي جُبل عليه الإمام ، والذي كان من عناصره ومقوّماته ، وأنّه لم يستهدف منه ثناءً أو جزاءً من أحد سوى الله تعالى .

٤ ـ روى عبدالله بن عبيد ، وعمرو بن دينار قالا : « ما لقينا أبا جعفر محمّد بن عليّ إلّا وحمل إلينا النفقة والكسوة » ، ويقول عليه السلام :

« هٰذِهِ مُعَدَّةٌ لَكُم قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْني »[٣] .

٥ ـ روت مولاته سلمى ، قالت : كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتّى يطعمهم الطعام الطيّب ، ويلبسهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم ، فكان يقول لها :

« ما يُؤَمَّلُ في الدُّنيا إِلَّا الْمَعارِفُ وَالإِخْوان »[٤] .

وكان يقول عليه السلام :

« ما حَسُنَتِ الدُّنيا إِلَّا صِلَةُ الإِخْوانِ وَالْمَعارِف »[٥] .

---

(١) الفصول المهمّة : ٢٢٧ .

(٢) عيون الأخبار وفنون الآثار : ٢١٧ .

(٣) الإرشاد : ٢٩٩ .

(٤) و (٥) صفة الصفوة : ٢ : ٦٣ .

هذه بعض البوادر عن كرمه وسخائه .

٥ ـ تكريمه عليه‌السلام للفقراء

من معالي أخلاق الإمام أبي جعفر عليه‌السلام تكريمه للفقراء ، وتبجيله لهم ، لئلّا يرى عليهم ذلّ الحاجة ، وقد عهد لأهله أنّه إذا قصدهم سائل لا يقولون له : « **يا سائِلُ ، خُذْ هذا** » ، وانّما يقولون : « **يا عَبْدَ اللهِ ، بُورِكَ فيكَ** »(١) .

وقال : « **سَمّوهُم بِأَحْسنِ أَسْمائِهِمْ** »(٢) ، إنّها أخلاق الأنبياء التي جاءت لتسمو بالإنسان ، وتغذّيه بالعزّة والكرامة ، وتنفي عنه الذلّ والخنوع .

٦ ـ صلته عليه‌السلام لفقراء المدينة

كان الإمام كثير البرّ والصدقة لفقراء المدينة ، وقد أُحصيت صدقاته فكانت ثمانية آلاف دينار(٣) .

وكان يتصدّق على فقراء المدينة في كلّ يوم جمعة بدينار ، ويقول : « **الصَّدَقَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تُضاعِفُ الْفَضْلَ عَلىٰ غَيْرِه مِنَ الْأَيّام** »(٤) .

٧ ـ إنابته عليه‌السلام الى الله عزّ وجلّ

كان الإمام أبو جعفر عليه‌السلام قد انقطع إلى الله تعالى وأناب إليه ، وأخلص إليه كأعظم ما يكون الإخلاص ، فكان إذا أقبل على الصلاة اصفرّ لونه(٥) خوفاً من الله

---

(١) عيون الأخبار : ٣ : ٣٠٨ .

(٢) البيان والتبيين : ٢٥٨ .

(٣) شرح شافية أبي فراس : ٢ : ١٧٦ .

(٤) أعيان الشيعة : ٤ : ٤٧١ ، القسم الأوّل .

(٥) تاريخ مدينة دمشق : ٥١ : ٤٤ .

تعالى وخشيةً منه ، وكان يناجي الله تعالى في غلس الليل البهيم ، وكان يقول في مناجاته :

« أَمَرْتَني فَلَمْ ائْتَمِر ، وَزَجَرْتَني فَلَمْ انْزَجِر ، ها أَنا عَبْدُك بَيْنَ يَدَيْك »(١) .

وحدّث مولاه أفلح ، قال : حججت مع أبي جعفر ، فلمّا دخل إلى المسجد رفع صوته بالبكاء ، فقلت له :

« بأبي وأُمّي أنت ، إنّ النّاس ينتظرونك ، فلو خفّضت صوتك قليلاً ؟ » .

فقال لي :

« يا أَفْلَحُ ، إِنّي أَرْفَعُ صَوْتي بِالْبُكاءِ لَعَلَّ اللهَ تَعالىٰ يَنْظُرُ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ فَأَفُوزَ بِها غَداً » .

ثمّ طاف بالبيت الحرام ، وصلّى خلف المقام ، فلمّا فرغ وإذا بموضع سجوده قد ابتلّ من دموع عينيه(٢) ، وكان يلهج بذكر الله تعالى في معظم أوقاته(٣) ، وكان يجمع ولده قبل طلوع الشمس ويأمرهم بذكر الله تعالى حتّى تطلع ، وقد ذكرنا صوراً مشرقة من عبادته لله تعالى ، وطاعته له في كتابنا حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام في الجزء الأوّل منه .

---

(١) صفة الصفوة : ٢ : ١٦٣ . نور الأبصار : ١٣٠ . حلية الأولياء : ٣ : ١٨٢ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٥١ : ٤٤ . مرآة الزمان : ٥ : ٧٩ . نور الأبصار : ١٣٠ .

(٣) أعيان الشيعة : ٤ : ٤٧١ .

الإمام الصادق عليه السلام

الإمام الصادق عليه السلام أثرى شخصيّة علميّة عرفها التاريخ الإنساني ، قد فجّر ينابيع العلم والحكمة في الأرض ، وملأ الدنيا بعلومه ومعارفه ـ على حدّ تعبير الجاحظ ـ كما ساهم مساهمة إيجابيّة في بناء الحضارة الإنسانيّة ؛ وذلك بما اكتشفه من وسائل التكنولوجيا المتطوّرة التي دفعت الإنسان إلى التقدّم في جميع وسائل الحياة ، فهو الذي اكتشف الأوكسجين ، ونصّ على خصائصه ومركّباته ، كما أعلن أنّ الهواء ليس عنصراً بسيطاً ، وإنّما هو مركّب من عناصر مختلفة ، كما اكتشف الكثير من أسرار الكون[1] ، وقد اعتبره علماء الغرب الدماغ المفكّر والمبدع في الإنسانيّة .

وعلى أيّ حال ، فإنّا نتحدّث عمّا أُثر عنه من الحثّ على التحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ، وتحذيره من الصفات الشريرة التي تؤدّي إلى هلاك الإنسان .

مكارم الأخلاق

١ ـ الحلم

كان الإمام الصادق عليه السلام يحثّ أصحابه على التحلّي بالحلم ، وقد أكّد ذلك بكوكبة من الأحاديث ، كان منها :

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ١٢٠ ـ ١٣٠ .

١ ـ قال عليه‌السلام : « الْحِلْمُ زينَةُ أَهْلِ الْفَضْلِ ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفاتِ أَهْلِ الْحَقِّ »(١).

٢ ـ قال عليه‌السلام : « أَحْلَمُكُم عِنْدَ الْغَضَبِ أَقْرَبُكُم إِلَى اللهِ مَنْزِلَةً »(٢).

٣ ـ قال عليه‌السلام : « في الْحِلْمِ ثَلاثُ خِصالٍ : مَخافَةُ الْعَدُوِّ ، وَمُوافاةُ الصَّديقِ ، وَحَمْدُ مَنْ سَمِعَ الثَّوابَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »(٣).

٤ ـ قال عليه‌السلام : « ما اقْتَرَبَ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلىٰ عِلْمٍ ، وَمِنْ عَفْوٍ إِلىٰ مَقْدِرَةٍ ، وَمُسامَحَةٍ إِلىٰ أُخُوَّةٍ »(٤).

٥ ـ قال عليه‌السلام : « ما أَخَذَ اللهُ علىٰ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ إِلَّا بِصِلَةِ الْأَرْحامِ ، وَبِرِّ الْوالِدَيْنِ ، وَالْحِلْمِ عَنِ الْخاطِئينَ ، حَتّىٰ يَرْجِعوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »(٥).

إنّ الحلم دليل على نضوج الفكر ، وقوّة الشخصيّة ، وهو من أسمى الصفات التي يتحلّى بها القادة.

٢ ـ التواضع

أمّا التواضع ، فإنّه ينمّ عن شرف النفس وسموّ الذات ، خصوصاً من الشخصيّات الكبيرة ، وقد أكّد الإمام الصادق عليه‌السلام على ضرورة التحلّي به للإنسان المسلم ، وقد أُثرت عنه في ذلك كوكبة من الأخبار منها :

١ ـ قال عليه‌السلام : « التَّواضُعُ أَحَدُ مَصائِدِ الشَّرَفِ »(٦).

وهذه الكلمة الذهبيّة من مناجم البلاغة ، فقد حكت أنّ السُلّم الذي يرتقي به الإنسان إلى الشرف والمجد هو التواضع.

٢ ـ قال عليه‌السلام : « مِنَ التَّواضُعِ أَنْ تَرْضىٰ بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلىٰ مَنْ

(١ ـ ٥) حياة الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام : ٣ : ٣١٨.

(٦) المصدر المتقدّم : ٣ : ٣٢١.

تَلْقىٰ ، وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِراءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً ، وَلَا تُحِبُّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَى التَّقْوىٰ »(١).

حكى هذا الحديث حقيقة التواضع الذي يتكوّن من مجموعة من الأمور ، وهي :

أ ـ أنّه ليس من التواضع التصدّر في صدر المجلس الذي يتهافت عليه طلّاب العظمة .

ب ـ أنّ من التواضع إبداء السلام لمن يلقى شخصاً فإنّه ينمّ عن سلامة النفس وتجرّدها من الأنانيّة .

ج ـ ترك المراء ، وهو الجدل ، خصوصاً في المسائل العلميّة إن كان القصد منه إبداء التفوّق على الغير .

د ـ من التواضع أن لا يحبّ الشخص المدح على ما يتمتّع به من العلم والأدب والتقوى ، فإنّ حبّ الثناء عليها ينمّ عن حبّ الظهور والعظمة ، وهما ليسا من التواضع في شيء .

٣ ـ قال عليه السلام : **« التَّواضُعُ مَعَ الْبُخْلِ أَحْسَنُ مِنَ السَّخاءِ مَعَ الْكِبْرِ »**(٢).

إنّ التواضع يغطّي على كلّ نقص في الإنسان ، ويرفع مكانته الاجتماعيّة ، ويحبّبه إلى قلوب النّاس .

٤ ـ قال عليه السلام : **« الرِّفْقُ وَالتَّواضُعُ مِنْ مَعْدَنِ الْجَوْهَرِ ، وَشَرَفِ الْآخِرَةِ »**(٣).

من الصفات الكريمة التي يسمو بها الإنسان الرفق والتواضع ، وكذلك يكونان شرفاً للإنسان في الآخرة .

٥ ـ قال عليه السلام : **« تَواضُعُ الشَّريفِ يَزيدُ في شَرَفِهِ »**(٤).

إنّ التواضع من الشريف ينمّ عن سموّ ذاته ، ويكسبه شرفاً ومجداً .

(١ ـ ٣) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٣ : ٣٢١.

(٤) الحكم الجعفرية : ٦٦.

٦ ـ قال عليه السلام : **« أَفْضَلُ كُلِّ فَضيلَةٍ التَّواضُعُ لِلْمُؤْمِنين »**[١] .

إنّ التواضع للمؤمنين من أفضل ألوان التواضع ، وأمّا التواضع لذوي المال ، فإنّه مذموم ومكروه .

٧ ـ قال عليه السلام : **« أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ الْمُتَواضِعون »**[٢] .

إنّ المتواضعين أحبّ الخلق إلى الله تعالى ، وأشدّهم قرباً منه .

٨ ـ قال عليه السلام : **« ما قامَ نَبِيٌّ في قَوْمِهِ إِلّا بِالرِّفْقِ وَالتَّواضُعِ »**[٣] .

إنّ آية دعوة لا يمكن أن تنجح إلّا بالتواضع وحسن الأخلاق ، وقد قامت رسالة الأنبياء عليهم السلام بالتواضع وسموّ الأخلاق .

٩ ـ قال عليه السلام : **« مِنَ التَّواضُعِ أَنْ تُسَلِّمَ عَلىٰ مَنْ لاقَيْت »**[٤] .

إنّ الابتداء بالسلام ومقابلة الناس بالتحيّة من التواضع وسموّ الأخلاق .

١٠ ـ قال عليه السلام : **« لا عِزَّ لِمَنْ لا يَتَذَلَّلُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلا رِفْعَةَ لِمَنْ لا يَتَواضَعُ للهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ »**[٥] .

إنّ العزّ والمجد لمن يتذلّل لله تعالى الذي هو مصدر كلّ كرامة وشرف لمن يتّصل به ، كما أنّه لا رفعة لمن لا يتواضع لغير الله تعالى .

هذه بعض الأحاديث التي أُثرت عن رائد الحركة العلميّة والفكريّة في دنيا الإسلام الإمام الصادق عليه السلام .

٣ ـ حُسن الخُلق

أمّا حسن الأخلاق فهو من الصفات الرفيعة التي أكّد الإمام عليه السلام على ضرورة

(١ ـ ٣) الحكم الجعفرية : ٦٦ .

(٤) الخصال : ١٢ .

(٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر : ٢ : ١٥٢ .

التحلّي به ؛ لأنّه من صميم الإسلام ، وهذه كوكبة من الأحاديث التي أُثرت عنه .

١ ـ قال عليه السلام : « **حُسْنُ الْخُلُقِ أَحَدُ مَراكِبِ النَّجاةِ** »[١] .

إنّ حسن الخُلق من وسائل النجاة في الدنيا والآخرة .

٢ ـ قال عليه السلام : « **مَنْ تَعَلَّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ فَقَدِ اقْتَدىٰ بِمَوْلَاهُ** ـ يَعْني رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله ـ **الَّذي بُعِثَ لِيُتَمِّمَ مَكارِمَ الْأَخْلَاقِ** »[٢] .

٣ ـ سأل بعض أصحاب الإمام عليه السلام عن حدّ حسن الخُلق ، فقال :

« **تُلَيِّنُ جَناحَكَ ، وَتُطَيِّبُ كَلَامَكَ ، وَتَلْقىٰ أَخاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ** »[٣] .

إنّ حسن الأخلاق يسمو بالإنسان إلى مستوى رفيع من الكمال وسموّ الذات .

٤ ـ العفّة والحياء

أمّا العفّة والحياء فهما من أسمى الصفات التي يتحلّى بهما الإنسان ، وأنّهما من الإيمان . قال عليه السلام : « **الْحَياءُ وَالْعَفافُ وَالْعِيُّ مِنَ الْإيمانِ** »[٤] .

المراد بالعيّ هو عيّ اللسان كفّه عن الفحشاء والتكلّم بغير ما يرضي الله .

٥ ـ القناعة

أمّا القناعة فإنّها كنز لا يفنى ، وهي من الصفات التي يشرّف بها الإنسان ؛ لأنّها تجنّب الكثير من المشاكل والمتاعب ، وهي من الصفات الفاضلة للمؤمن . يقول عليه السلام : « **الْمُؤْمِنُ قَنوعٌ شَكُورٌ ، وَالكافِرُ ذو شَرٍّ كَفُور** »[٥] .

---

(١) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ١ : ٣٢٢ .

(٢) الحكم الجعفريّة : ٦٦ .

(٣) و (٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر : ٢ : ١٨٨ .

(٥) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ١ : ٣٢٠ .

٦ ـ الإحسان

من الصفات الكريمة التي أكّد الإمام على الاتّصاف بها الإحسان إلى الناس، اسمعوا ما يقوله:

«الْإِحْسانُ قائِدٌ وَدَليلٌ إِلَى الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ»(١).

أرأيتم هذا التشجيع على هذه الظاهرة الرفيعة التي تخلق مجتمعاً كريماً تسوده الأُلفة والمحبّة.

٧ ـ الرأفة

من المثل الكريمة التي دعا الإمام عليه السلام إليها الرأفة بنطاقها الواسع والشامل للفقير والضعيف، والكبير والصغير، قال عليه السلام:

«الْمُؤْمِنُ رَؤُوفٌ رَحومٌ، لَا يَقْسو قَلْبُهُ عَلىٰ أَخيهِ الْمُؤْمِن»(٢).

٨ ـ الرحمة

من الصفات الكريمة التي يتزيّن بها الإنسان هي الرحمة على الغير، قال:

«الرَّحْمَةُ في اللهِ حَياةٌ»(٣).

ما أبلغ هذه الكلمة الذهبيّة الموجزة، فقد حكت الضمير المترع بالرحمة في سبيل الله، فإنّه حياة للإنسان؛ لأنّه يتّصل بالله تعالى.

ومن كلماته الذهبيّة في الرحمة قوله عليه السلام:

«مَنْ تَحَنَّنَ عَلىٰ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ، وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ يَجِدِ اللهَ لَهُ مُعيناً وناصِراً»(٤).

---

(١) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ١: ٣٢٤.

(٢ ـ ٤) الحكم الجعفرية: ٥٦.

٩ ـ السخاء

من الصفات الرفيعة التي حثّ الإمام عليها السخاء، وهذه كوكبة من الأحاديث فيها:

١ ـ قال عليه السلام: «**السَّخاءُ في اللهِ يَنْفي مَصارِعَ السُّوءِ وَالْبَلاءِ، وَيَزيدُ في الْعُمُرِ**»[١].

أرأيتم هذه الثمرات التي يجتنيها الأسخياء والتي هي من أثمن ما يظفر بها الإنسان في حياته.

٢ ـ قال عليه السلام: «**أَقْرَبُكُم إِلَى اللهِ تَعالىٰ أَسْخاكُم**»[٢]..

إنّ مَن كان نديّ الكفّ، محسناً للفقراء، بارّاً بالضعفاء، فهو من أقرب النّاس إلى الله تعالى، وهو الذي يتولّى جزاءه.

٣ ـ قال عليه السلام: «**السَّخاءُ شَجَرَةٌ علىٰ بابِ الْجَنَّةِ، مَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصانِها قادَتْهُ إِلَى الْجَنانِ**»[٣].

واعظم بهذا العطاء من الله تعالى للمحسنين من عباده، فهو الذي يتولّى جزاءهم.

١٠ ـ القوّة والعزم

من مظاهر الشخصيّة العظيمة: القوّة والعزم والتصميم، فإنّ من يتسلّح بها ظفر بما يبتغيه، ولنستمع إلى كلمات الإمام عليه السلام فيها:

١ ـ قال عليه السلام: «**الْعَزْمُ حِلْيَةُ الْأَنْبياء**»[٤].

---

(١) الحكم الجعفرية: ٥٦.

(٢) الحكم الجعفريّة: ٢٨.

(٣) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ١: ٣٢٣.

(٤) المصدر المتقدّم: ٣٢٥.

٢ ـ قال عليه السلام: «**الْقُوَّةُ مِفْتاحُ الْيَقين**»(١).

٣ ـ قال عليه السلام: «**الْقُوَّةُ عِلْمُ الدّينِ، وَالْعَزْمُ مِفْتاحُ الْيَقين**»(٢).

إنّ العزم والتصميم من أقوى صفات العظماء الذين صنعوا تاريخ الأمم والشعوب، وقد استطاع النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله أن يغيّر مجرى التاريخ بقوّة عزمه وصلابة إرادته.

١١ ـ التسليم للحقّ

من الصفات الكريمة التي دعا لها الإمام عليه السلام التسليم للحقّ وعدم التأثّر بالعصبيّة وسائر النزعات الأُخرى، قال:

«**المُسَلِّمُ لِلْحَقِّ أَوَّلُ ما يَصِلُ إِلَى اللهِ تَعالىٰ**»(٣).

١٢ ـ الصدق وأداء الأمانة

من الصفات الشريفة التي تتكوّن منها أخلاق الإنسان المسلم، هي: الصدق في الحديث، وأداء الأمانة لأهلها:

قال عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إِلَّا بِصِدْقِ الْحَديثِ، وَأَداءِ الْأَمانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفاجِرِ**»(٤).

١٣ ـ التثبّت من الأُمور

من أسمى صفات الإنسان التثبّت في الأُمور، وعدم العجلة فيها. اسمعوا ما قال الإمام عليه السلام:

---

(١) و (٢) الحكم الجعفريّة: ٦٥.

(٣) الحكم الجعفريّة: ٦٠.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٢: ١٨٨.

« مَعَ التَّثَبُّتِ تَكُونُ السَّلَامَةُ ، وَمَعَ الْعَجَلَةِ تَكُونُ النَّدامَةُ ، وَمَنِ ابْتَدأَ بِعَمَلٍ في غَيْرِ وَقْتِهِ كانَ بُلوغُهُ في غَيْرِ حينِهِ »(١).

أمّا التثبّت في الأُمور فهو مظنّة للسلامة والنجاة من مخاطر الحياة ، وأمّا العجلة ففيها مظنّة الهلكة ، وقد قيل :

قَدْ يُدرِك المُتأنّي بَعْضَ حاجَتِهِ ... وَقَد يكونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

١٤ ـ التوكّل على الله تعالى

من أخلاق الإمام عليه السلام التوكّل على الله تعالى في جميع أُموره ، وعدم التردّد فيها ، إلّا أن يكون العمل غير راجح ، فلا يقدم عليه ، وقد روى أبو بصير عن الإمام عليه السلام أنّه قال : **« لَيْسَ شَيْءٌ إلّا وَلَهُ الْحَدُّ »**.

فانبرى أبو بصير قائلاً:

« جعلت فداك ، ما حدّ التوكّل ؟ ».

« الْيَقينُ ».

ومعناه أنّ اليقين بشرعيّة الشيء ينفي التردّد ، ويبعث على العمل ، وراح أبو بصير قائلاً:

« ما حدّ اليقين ؟ ».

« أنْ لَا تَخافَ مَعَ اللهِ شَيْئاً »(٢).

وحدّد الإمام عليه السلام التوكّل على الله تعالى بأن يتيقّن الإنسان بقدرته تعالى الحاكمة على كلّ شيء ، فإنّ جميع مجريات الأحداث بيده ، وليس لغيره أيّة فعاليّة وتأثير في مسيرة الأُمور.

---

(١) الخصال : ٩٦.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر : ٢ : ١٨٤.

١٥ ـ خصال الأنبياء

كان عليه السلام يحدّث أصحابه عن خصال الأنبياء ليكونوا قدوة لهم ، قال :

« **إِنَّ الصَّبْرَ وَالبِرَّ وَالْحِلْمَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِياء** »(١) .

إنّ الأنبياء إنّما استطاعوا القيام بهداية النّاس ؛ وذلك بما يتمتّعون به من المثل العليا ، والصفات الكريمة .

١٦ ـ صفات رفيعة

تحدّث الإمام عليه السلام مع أصحابه عن بعض الصفات الكريمة التي ينبغي الأخذ بها ، قال :

« **خَمْسٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فيهِ لَمْ يَكُنْ كَثيرَ مُسْتَمْتِعٍ : الدّينُ ، وَالْعَقْلُ ، وَالْأَدَبُ ، وَالحُرِّيَّةُ ، وَحُسْنُ الخُلُق** »(٢) .

وهذه الصفات من أُمّهات الفضائل فمن اتّصف بها بلغ أرقى مراتب الكمال .

١٧ ـ صفات المؤمن

أكّد الإمام عليه السلام على المؤمن أن يتّصف بثمان خصال ، قال :

« **يَنْبَغي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكونَ فيهِ ثَمانُ خِصالٍ : وَقورٌ عِنْدَ الْهَزاهِزِ ، صَبُورٌ عِنْدَ الْبَلاءِ ، شَكورٌ عِنْدَ الرَّخاءِ ، قانِعٌ بِما رَزَقَهُ اللهُ ، لا يَظْلِمُ الْأَعْداءَ ، وَلاَ يَتَحامَلُ لِلْأَصْدِقاءِ ، بَدَنُهُ مِنْهُ في تَعَبٍ ، وَالنّاسُ مِنْهُ في راحَةٍ ، وَأَنَّ الْعِلْمَ خَليلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمُ وَزيرُهُ ، وَالصَّبْرُ أَميرُ جُنودِهِ ، وَالرِّفْقُ أَخوهُ ، وَاللّينُ والِدُهُ** »(٣) .

---

(١) الخصال : ٢٢٩.

(٢) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ١ : ٣٢٩.

(٣) الخصال : ٣٧٦.

هذه الصفات الكماليّة من أبرز صفات المؤمن الذي يخشى الله تعالى ويسعى في نيل مرضاته .

١٨ ـ عشر خصال من الفضائل

روى عبدالله بن مسكان عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

«إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ خَصَّ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله بِمَكارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَامْتَحِنُوا أَنْفُسَكُم ، فَإِنْ كانَتْ فيكُم فَاحْمَدوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَارْغَبُوا إِلَيْهِ في الزِّيادَةِ مِنْها ، فَذَكَرَها عَشْرَةً : اليَقينُ ، وَالْقَناعَةُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالشُّكْرُ ، وَالرِّضا ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالسَّخاءُ ، وَالْغيرَةُ ، وَالشَّجاعَةُ ، وَالْمُرُوءَةُ »(١) .

هذه الخصال الكريمة من أظهر صفات النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله ، وقد تحدّث الإمام مع أصحابه لتكون من صفاتهم ومقوّماتهم .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الصفات الكريمة التي هي من مكارم الأخلاق ، وقد حثّ الإمام أصحابه وشيعته على التحلّي بها ليكونوا قدوة حسنة لغيرهم ، وقد اقتبسناها من كتابنا حياة الإمام الصادق عليه السلام .

مساوئ الأخلاق

حذّر الإمام عليه السلام من الصفات الذميمة والنزعات الشريرة التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق ، وهذه بعضها :

١ ـ الحقد

من الصفات الممقوتة الحقد على النّاس ، وقد حذّر الإمام عليه السلام منها في كثير

---

(١) الخصال : ٤٠١ .

من أحاديثه ، منها :

١ ـ قال عليه‌السلام : « **احْذَروا الحِقْدَ ، فَإنَّ اللهَ تَعالىٰ يَخْذُلُ الظّالِمَ ، وَيَنْصُرُ الْمَظْلومَ** »(١) .

٢ ـ قال عليه‌السلام : « **الْحِقْدُ لا يَسْكُنُ قَلْبَ مُؤْمِنٍ ؛ لِأَنَّ الْحَقودَ مِنْ أَهْلِ النّارِ** »(٢) .

٣ ـ قال عليه‌السلام : « **مَنْ حَقَدَ عَلىٰ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ وَضَرَّهُ كُنّا يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ خُصَمائِهِ** »(٣) .

٤ ـ قال عليه‌السلام : « **مَنْ يَأْتي اللهَ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَفي قَلْبِهِ لِأَخيهِ الْمُؤْمِنِ حِقْدٌ ، لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَتّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ في سَمِّ الْخِياطِ** »(٤) .

٥ ـ قال عليه‌السلام : « **إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَغْفِرُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ بِعَدَدِ وَرَقِ الشَّجَرِ وَالثَّمَرِ ، إِلّا مَنْ كانَ حاقِداً عَلىٰ أَخيهِ** »(٥) .

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أدلى بها الإمام الصادق عليه‌السلام في تحريم الحقد ؛ لأنّه يبعث على العداوة والخصومة بين النّاس ، ويفتح أبواب الشرّ بينهم .

٢ ـ الحسد

الحسد من الأمراض النفسيّة التي حذّر الإمام منها ، وقد أُثرت عنه كوكبة من الأحاديث في ذمّه ، وهذه بعضها :

١ ـ قال عليه‌السلام : « **الْحَسودُ عَدُوُّ اللهِ ؛ لِأَنَّهُ يَكْرَهُ ما يُحِبُّهُ اللهُ تَعالىٰ** »(٦) .

٢ ـ قال عليه‌السلام : « **الْمُؤْمِنُ لا يَكونُ حَسوداً وَلا حَقوداً** »(٧) .

٣ ـ قال عليه‌السلام : « **آفَةُ الدّينِ : الْحَسَدُ وَالْعُجْبُ وَالْفَخْرُ** »(٨) .

٤ ـ قال عليه‌السلام : « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغْبِطُ وَلا يَحْسِدُ ، وَالْمُنافِقُ يَحْسِدُ وَلا يَغْبِطُ** »(٩) .

(١ ـ ٥) حياة الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام : ٤ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

(٦) و (٧) الحكم الجعفرية : ٣٦ .

(٨) و (٩) جامع السعادات : ٢ : ١٩٢ .

٥ - قال عليه السلام: «الْحاسِدُ مُضِرٌّ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَضُرَّ بِالْمَحْسودِ، كَإِبْليسَ أَوْرَثَ بِحَسَدِهِ اللَّعْنَةَ، وَلِآدَمَ الْإِجْتِباءُ وَالْهُدىٰ وَالرَّفْعُ إِلىٰ مَحَلِّ حَقائِقِ الْعَهْدِ وَالْإِصْطِفاءِ، فَكُنْ مَحْسوداً وَلَا تَكُنْ حاسِداً، فَإِنَّ ميزانَ الْحاسِدِ أَبَداً خَفيفٌ بِثِقْلِ ميزانِ الْمَحْسُودِ، وَالرِّزْقَ مَقْسُومٌ، فَماذا يَنْفَعُ حَسَدَ الْحاسِدِ؟ وَماذا يَضُرُّ الْمَحْسودَ وَالْحَسَد؟ وَالْحَسَدُ أَصْلُهُ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ، وَالْجُحودِ بِفَضْلِ اللهِ تَعالىٰ، وَهُما جَناحانِ لِلْكُفْرِ، وَبِالْحَسَدِ وَقَعَ ابْنُ آدَمَ في حَسْرَةِ الْأَبَدِ، وَهَلَكَ مَهْلَكاً لَا يَنْجُو مِنْهُ أَبَداً، وَلَا تَوْبَةَ لِلحاسِدِ؛ لِأَنَّهُ مُصِرٌّ عَلَيْهِ، مُعْتَقِدٌ بِهِ، مَطْبوعٌ فيهِ، يَبْدو بِلَا مُعارِضٍ بِهِ وَلَا سَبَبٍ، وَالطَّبْعُ لَا يَتَغَيَّرُ عَنِ الْأَصْلِ وَإِنْ عُولِجَ»[١].

٦ - قال عليه السلام: «رُبَّ مَحْسودٍ عَلىٰ رَخاءٍ وَهُوَ بَلَاؤُهُ، وَرُبَّ مَرْحُومٍ مِنْ سَقَمٍ وَهُوَ شِفاؤُه»[٢].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي أُثرت عن الإمام عليه السلام، وهي تحذّر المسلمين من هذه الصفة الخبيثة التي مبعثها الشحّ وفقر النفس والتكبّر على خلق الله تعالى.

٣ - العجب

العجب بالمال والأولاد وغيرهما من متع الحياة الدنيا قد حاربها الإمام عليه السلام، وقد أُثرت عنه كوكبة من الأحاديث في التحذير منه، وهذه بعضها:

١ - قال عليه السلام: «مَنْ دَخَلَهُ الْعُجْبُ هَلَكَ»[٣].

٢ - قال عليه السلام: «الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يَعْجَبُ بِعَمَلِهِ وَهُوَ لَا يَدْري بِما يُخْتَمُ لَهُ، فَمَنْ أَعْجَبَ بِنَفْسِهِ وَفِعْلِهِ فَقَدْ ضَلَّ عَنْ نَهجِ الرَّشادِ، وَادَّعىٰ ما لَيْسَ لَهُ، وَالْمُدَّعي مِنْ

---

(١) مصباح الشريعة: الباب ٥١.

(٢) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ٤: ٣٣٢.

(٣) بهجة المجالس: ١: ٤٣٩.

غَيْرِ حَقٍّ كاذِبٌ وَإِنْ أَخْفىٰ دَعْواهُ، وَطالَ دَهْرُهُ، وَأَنَّ أَوَّلَ ما يُفْعَلُ بِالْمُعْجَبِ نَزْعُ ما أُعْجِبَ بِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ عاجِزٌ حَقيرٌ، وَيَشْهَدَ عَلىٰ نَفْسِهِ لِيَكُونَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَوْكَدُ كَما فَعَلَ إِبْليسُ، وَالْعُجْبُ نَباتٌ حَبُّها الْكُفْرُ، وَأَرْضُها النِّفاقُ، وَماؤُها الْبَغْيُ، وَأَغْصانُها الْجَهْلُ، وَوَرَقُها الضَّلالَةُ، وَثَمَرُها اللَّعْنَةُ وَالْخُلودُ في النّارِ، فَمَنْ اخْتارَ الْعُجْبَ فَقَدْ بَذَرَ الْكُفْرَ، وَزَرَعَ النِّفاقَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُثْمِرَ»[١].

هذه بعض الأخبار التي أدلى بها الإمام عليه السلام، وهي تحذّر المسلمين من الاتّصاف بهذه الصفة الممقوتة التي تدعو إلى التكبّر والغرور.

٤ ـ التكبّر

التكبّر من الصفات الممقوتة والموجبة لغضب الله تعالى، وقد أدلى الإمام عليه السلام بكوكبة من الأحاديث في التحذير منه، كان منها:

١ ـ قال عليه السلام: «مَنْ تَكَبَّرَ عَلىٰ أَوْلياءِ اللهِ تَعالىٰ رَدَّهُ إِلَى الْوَراءِ، وَقَرَنَهُ بِالْأَعْداءِ»[٢].

٢ ـ قال عليه السلام: «أَبْعَدُ النّاسِ مِنَ اللهِ تَعالَى الْمُتَكَبِّرُونَ»[٣].

٣ ـ قال عليه السلام: «ما مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ إِلَّا لِذِلَّةٍ وَجَدَها في نَفْسِهِ»[٤].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أُثرت عن الإمام عليه السلام، وهي تحذّر المسلمين من هذه الصفة الشريرة التي تؤدّي إلى احتقار النّاس وسحق كرامتهم.

٥ ـ الحرص

من الصفات الذميمة الحرص، وقد حذّر الإمام عليه السلام منه، وقد أدلى بطائفة من

---

(١) جامع السعادات: ١: ٣٢٦.

(٢) حياة الإمام الصادق عليه السلام: ٤: ٣٣٣.

(٣) الغايات: ٨١.

(٤) جامع السعادات: ١: ٣٥١.

الأحاديث ، وهذه بعضها :

١ - قال عليه السلام : « **الْمُؤمِنُ مَنَزَّهٌ عَنِ الْحِرْصِ عَلىٰ ما لَيْسَ لَهُ** »[١] .

٢ - قال عليه السلام : « **الْحَريصُ كَأَحْلَامِ النّائمِ ، يَفْرَحُ بِها في مَنامِهِ ، وَيَكْثُرُ تَأَسُّفَهُ في يَقْظَتِهِ ، أَوْ كَدودَةِ الإِبْريسَمِ الَّتي تَنْسِجُهُ عَلىٰ نَفْسِها لِقُوَّةِ حِرْصِها ، فَلَا تَزْدادُ إِلَّا سِجْناً ، وَمِنَ النَّجاةِ إِلَّا بُعْداً** »[٢] .

٣ - قال عليه السلام : « **إِنَّ فيما نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّماءِ ، لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وادِيَيْنِ يَسيلانِ ذَهَباً وَفِضَّةً لابْتَغىٰ لَهُما ثالِثاً . يابْنَ آدَمَ ، إِنَّما بَطْنُكَ بَحْرٌ مِنْ الْبُحورِ ، وَوادٍ مِنَ الْأَوْدِيَةِ لَا يَمْلَأُها شَيْءٌ إِلَّا التُّرابُ** »[٣] .

٤ - قال عليه السلام : « **أَغْنَى الْغِنىٰ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحِرْصِ أَسيراً** »[٤] .

إنّ الحرص داء خبيث ، وأنّ المبتلى به لا همّ له إلّا جمع المال من أي طريق ، وأنّ فكره مشغول بحبّ المال وجمعه حتّى تطرحه الأرض إلى جوفها .

٦ - البخل

البخل من الأمراض النفسيّة التي حذّر منها الإمام ، وقد أُثرت عنه كوكبة من الأحاديث في ذمّه منها .

١ - قال عليه السلام : « **الْجَنَّةُ مُحَرَّمَةٌ عَلىٰ كُلِّ بَخيل** »[٥] .

٢ - قال عليه السلام : « **إِيّاكُمْ وَالْبُخْل ، فَإِنَّهُ عاهَةٌ ، وَالْعاهَةُ لَا تَكونُ في مُؤْمِنٍ** »[٦] .

---

(١) و (٢) الحكم الجعفريّة : ٣٣.

(٣) حياة الإمام الصادق عليه السلام : ٤ : ٣٣٥.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر : ٢ : ٢٠٦.

(٥) و (٦) الحكم الجعفريّة : ٢٧.

٣ـ قال عليه السلام: «**إذا صَحَّ الإيمانُ انْتُزِعَ الْبُخْلُ كَما تُنْتَزَعُ الشَّعْرَةُ مِنْ جِلْدِها**»[١].

٤ـ قال عليه السلام: «**ما لِلْبَخيلِ دينٌ وَلا مَوَدَّةٌ، وَلا يَقينٌ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْمُؤْمِنينِ**»[٢].

٥ـ قال عليه السلام: «**لا يَنْفَعُ الإيمانُ مَعَ الْبُخْل**»[٣].

٦ـ قال عليه السلام: «**الْبُخْلُ جَهْلٌ، وَقِلَّةُ مَعْرِفَةٍ بِالْخالِقِ الرّازِقِ**»[٤].

أرأيتم كيف حارب الإمام عليه السلام هذه الظاهرة الشريرة وحذّر منها لأنّها من أرذل النزعات، ومن أكثرها ضرراً على النّاس.

٧ـ الطمع

الطمع من أرذل النزعات، والمبتلى به بعيد عن الكرامة، وقد حذّر منه الإمام عليه السلام، فقد قيل له: «ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟».

فانبرى قائلاً:

«**الْوَرَعُ الّذي يَخْرُجُ مِنْهُ الطَّمَع**»[٥].

إنّ المصاب بداء الطمع يفقد كلّ فعاليّات التوكّل على الله تعالى، ويصرف همّه إلى ما في أيدي النّاس.

٨ـ الغرور

أراد الإمام عليه السلام أن يبني شخصيّة المسلم على الكمال والفضيلة، ويجنّبه من الآثام التي منها الغرور، انظروا إلى مقالته:

---

(١) الحكم الجعفريّة: ٢٨.

(٢) الحكم الجعفريّة: ٢٧.

(٣) و (٤) الحكم الجعفريّة: ٢٨.

(٥) جامع السعادات: ٢: ١٠٦.

«المَغْرورُ في الدُّنْيا مِسْكينٌ ، وَفي الآخِـرَةِ مَـغْبونٌ ؛ لِأَنَّـهُ بـاعَ الْأَفْـضَلَ بـالْأَدْنىٰ ، أَوَلَا تَعْجَبْ مِنْ نَفْسِك ، فَرُبَّما اغْتَرَرْتَ بِمالِكَ وَصِحَّةِ جَسَـدِكَ لَـعَلَّك تَـبْقىٰ ، وَرُبَّـما اغْتَرَرْتَ بِطُولِ عُـمُرِكَ ، وَأَوْلَادِكَ ، وَأَصْـحابِك ، لَـعَلَّك تَـنْجو بِـهِمْ ، وَرُبَّـما اغْـتَرَرْتَ بِجَمالِك ، وَإِصابَتِك مَأْمولَكَ وَهَواكَ ، فَظَنَنْتَ أَنَّك صادِقٌ وَمُصيبٌ ، وَرُبَّما اغْتَرَرْتَ بِما تَرىٰ مِنَ النَّدَمِ عَلىٰ تَقْصيرِكَ في الْعِبادَةِ ، وَلَعَلَّ اللهَ يَعْلَمُ مِنْ قَلْبِك بِخِلَافِ ذٰلِك ، وَرُبَّما أَقَمْتَ نَفْسَك عَلَى الْعِبادَةِ مُتَكَلِّفاً ، وَاللهُ يُريدُ الْإِخْلَاصَ ، وَرُبَّما افْتَخَرْتَ بِعِلْمِك وَنَسَبِك وَأَنْتَ غافِلٌ عَنْ مُضْمَراتِ ما في غَيْبِ اللهِ تَعالىٰ ، وَرُبَّما تَوَهَّمْتَ أَنَّك تَـدْعو اللهَ وَأَنْتَ تَدْعو سِواهُ ، وَرُبَّما حَسِبْتَ أَنَّك ناصِحٌ لِلْخَلْقِ ، وَأَنْتَ تُريدُهُم لِنَفْسِك أَنْ يَميلوا إِلَيْك ، وَرُبَّما ذَمَمْتَ نَفْسَك ، وَأَنْتَ تَمْدَحُها عَلَى الْحَقيقَةِ»[1].

حكى هذا الحديث صور الغرور ودوافعه ، وحذّر الإمام عليه السلام منها لأنّها تبعد الإنسان عن خالقه العظيم .

٩ ـ الغضب

أمّا الغضب فإنّه مفتاح كلّ شرّ ومصدر لكلّ موبقة . قال بعض علماء الأخلاق : « الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله تعالى الموقدة التي لا تطّلع إلّا على الأفئدة » .

إنّ الغضب يستر نور العقل ، ويضعف فعاليّاته ، ويؤدّي إلى الوقوع في المهالك كقتل النفس المحترمة وغيرها من الجرائم ، وقد شنّ الإمام الصادق عليه السلام حملة شعواء . اسمعوا ما يقوله :

١ ـ قال عليه السلام : «الْغَضَبُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ»[2].

---

(١) جامع السعادات : ٣ : ٥ .

(٢) جامع السعادات : ١ : ٢٩٠ . الخصال : ٨ .

٢ ـ قال عليه‌السلام : « **الْغَضَبُ مَمْحَقَةٌ لِقَلْبِ الْحَكيمِ** »(١) .

٣ ـ قال عليه‌السلام : « **مَنْ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبَهُ لَمْ يَمْلِكْ عَقْلَه** »(٢) .

٤ ـ قال عليه‌السلام : « **لَيْسَ مِنّا مَنْ إذا غَضِبَ أَخْرَجَهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ** »(٣) .

إنّ الغضب يلقي الإنسان في شرّ عظيم ، ويفتح له أبواب كلّ شرّ ، ويجرّده من إنسانيته ، ويلحقه بالوحوش الكاسرة .

١٠ ـ النفاق

أمّا النفاق فهو من أخطر الأمراض الاجتماعيّة ، فالمنافقون هم الذين يظهرون الطاعة ويبطنون التمرّد ، ويحيكون المؤمرات ، وقد تناولهم الإمام الصادق عليه‌السلام بالذمّ والقدح ، ولنستمع إلى ما قاله :

١ ـ قال عليه‌السلام : « **مَنْ كَثُرَ نِفاقُهُ عَمِيَ قَلْبُهُ عَنْ رُشْدِهِ ، وَهانَ عَلَى الْخُلْقِ شَخْصُه** »(٤) .

٢ ـ قال عليه‌السلام : « **ما نافَقَ أَحَدٌ قَطُّ وَرَضِيَ اللهُ بِعَمَلِهِ** »(٥) .

٣ ـ قال عليه‌السلام : « **مَنْ لَقِيَ الْمُؤْمِنينَ بِوَجْهٍ ، وَغابَهُم بِوَجْهٍ أَتىٰ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلَهُ لِسانانِ مِنْ نارٍ** »(٦) .

٤ ـ قال عليه‌السلام : « **الْمُنافِقُ في دينِ اللهِ كالسّارِقِ في حَرَمِ اللهِ** »(٧) .

إنّ النفاق من أرذل الصفات ، والمنافق ليس له ضمير ولا ذمّة ، وهو في الدرك الأسفل من النّار .

---

(١) و (٢) جامع السعادات : ١ : ٢٩٠ .

(٣) الحكم الجعفريّة : ٥٤ .

(٤) و (٥) المصدر المتقدّم : ٤٥ .

(٦) الاختصاص : ٢٥ .

(٧) الحكم الجعفريّة : ٤٢ .

١١ ـ السفه

من معالي أخلاق الإمام عليه السلام أنّه أهاب بالمسلم أن يكون سفيهاً، وهذه شذرات من أحاديثه في ذمّ السفه:

١ ـ قال عليه السلام: «**الْمُؤْمِنُ بَرِيءٌ مِنَ السَّفَه**»[١].

٢ ـ قال عليه السلام: «**السَّفَهُ مِنْ أَبْوابِ جَهَنَّم**»[٢].

٣ ـ قال عليه السلام: «**السَّفَهُ ضِدُّ النُّور**»[٣].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث من الإمام عليه السلام وهي تحذّر من هذه الصفة، ومن الجدير بالذكر أنّ السفيه يمنع من التصرّف في أمواله ويحجر عليه صيانة لأمواله من الدمار.

١٢ ـ الغيبة

أمّا الغيبة فهي من أفحش المحرّمات؛ لأنّها تشيع الفحشاء والمنكر بين المسلمين، وتهدم الروابط الاجتماعيّة التي تبنّاها الإسلام، وهذه بعض الأخبار التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام في ذمّها والتحذير منها.

١ ـ قال عليه السلام: «**مَنْ قالَ في مُؤْمِنٍ ما رَأَتْهُ عَيْناهُ وَسَمِعَتْهُ أُذُناهُ فَهُوَ مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٤]»[٥].

---

(١) و (٢) الحكم الجعفريّة: ٣٤.

(٣) الحكم الجعفريّة: ٤٩.

(٤) النور ٢٤: ١٩.

(٥) أصول الكافي: ٢: ٢٦٦.

٢ ـ قال عليه السلام : « الْغيبَةُ حَرامٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَأَنَّها لَتَأْكُلُ الحَسَناتِ كَما تَأْكُلُ الْحَطَبُ اليابِسَ »(١) .

٣ ـ قال عليه السلام : « مَنْ رَوىٰ عَلىٰ مُؤْمِنٍ رِوايَةً يُريدُ بِها شَيْنَهُ وَهَدْمَ مُروءَتِهِ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ وِلاَيَتِهِ إِلىٰ وِلاَيَةِ الشَّيْطانِ »(٢) .

٤ ـ قال عليه السلام : « مَنِ اغْتابَ مُؤْمِناً بِما لَيْسَ فيهِ فَقَدْ قَتَلَهُ ، وَمَنِ اغْتابَهُ بِما هُوَ فيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ ، وَمَنْ بَهَتَ مُؤْمِناً فَقَدْ حارَبَ اللهَ وَرَسولَه »(٣) .

إنّ غيبة الإنسان المسلم من الجرائم التي شدّد الإسلام على مقترفها بالعذاب الدائم .

١٣ ـ النميمة

من الصفات الممقوتة : النميمة ، وقد حذّر منها الإمام الصادق عليه السلام ، وهذه بعض الأخبار التي أُثرت عنه :

١ ـ قال عليه السلام : « مَنْ نَمَّ أَخاهُ بَلاهُ اللهُ بِضُرٍّ يَعْتَريهِ »(٤) .

٢ ـ قال عليه السلام : « ما نَمَّ أَحَدٌ عَلىٰ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا وَقَدْ أَبْعَدَهُ اللهُ ، وَنَجا ذٰلِكَ الْمُؤْمِنُ مِنْ شَرِّ نَميمَتِهِ ، وَكَفاهُ غائِلَتَهُ »(٥) .

٣ ـ قال عليه السلام : « إِيّاكُم وَعِشْرَةَ النَّمّامِ ، فَإِنَّهُ يَقولُ الزّورَ ، وَيَحْمِلُ الْإِفْكَ ، وَيُفَرِّقُ الشَّمْلَ ، فَهُوَ طولَ عُمْرِهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ »(٦) .

٤ ـ قال عليه السلام : « لَا يَنِمُّ مُسْلِمٌ عَبْداً يَقُولُ : اللهُ أَحَد »(٧) .

---

(١) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٤ : ٣٤٠ .

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ٢٦٧ .

(٣) الحكم الجعفريّة : ٣٩ .

(٤ ـ ٧) الحكم الجعفريّة : ٤٠ .

إنّ النمّام خبيث فاسق يتسلّح بالكذب ، ويفرّق بين المسلمين ويلقي العداوة والبغضاء بينهم .

١٤ ـ الشماتة

أمّا الشماتة فهي وليدة العداء والحسد ، وكلاهما قد حرّمهما الإسلام ، وقد ذمّها الإمام الصادق عليه السلام في بعض أحاديثه ، منها :

١ ـ قال عليه السلام : **« لا تُبْدي الشَّماتَةَ لِأَخيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ تَعالىٰ وَيُحِلَّها بِكَ »**(١) .

٢ ـ قال عليه السلام : **« مَنْ شَمِتَ بِمُصيبَةٍ نَزَلَتْ بِأَخيهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيا حَتّىٰ يُفْتَتَن »**(٢) .

وهكذا كان الإمام عليه السلام يحذّر المسلمين من كلّ نزعة شريرة وصفة ممقوتة ليبنوا حياتهم على الفضيلة ومعالي الأخلاق .

١٥ ـ المراء والجدل

المراء هو الطعن في كلام الغير ، وباعثه تحقيره وإهانته ، أو إظهار التفوّق عليه .

وأمّا الجدال فهو اللّجاج في الكلام ، وسببه الحسد أو العداوة ، وكلاهما ممّا حرّمه الإسلام ، وقد نهى الإمام الصادق عليه السلام عنهما ، وهذه بعض أحاديثه فيهما :

١ ـ قال عليه السلام : **« لا تُمارِيَنَّ حَليماً ، وَلا سَفيهاً ، فَإِنَّ الْحَليمَ يَغْلِبُكَ ، وَالسَّفيهَ يُؤْذيكَ »**(٣) .

٢ ـ قال عليه السلام : **« إِيّاكُم وَالْمُشادَّةَ ، فَإِنَّها تُورِثُ الْمَعَرَّةَ ، وَتُظْهِرُ الْعَوْرَةَ »**(٤) .

٣ ـ قال عليه السلام : **« الْجِدالُ يُميتُ الْمَوَدَّةَ »**(٥) .

---

(١) و (٢) أُصول الكافي : ٢ : ٢٦٧ .

(٣) و (٤) جامع السعادات : ٢ : ٢٨٠ .

(٥) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٤ : ٣٤٢ .

٤ ـ قال عليه السلام: **«إيّاكم والخصومة، فإنّها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن»**(١).

إن الإسلام أقام مجتمعاً رفيعاً قائماً على المحبّة والألفة والمودّة، وأمّا الجدل والخصومة يورثان العداوة والبغضاء بين المسلمين.

١٦ ـ البهتان

من الصفات الممقوتة: البهتان، وهو أن يقول الإنسان المسلم في أخيه ما ليس فيه، وهو أشدّ إثماً من الغيبة والكذب. قال تعالى: ﴿**وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾(٢). وقد حذّر الإمام الصادق عليه السلام منه، قال:

«مَنْ بَهَتَ مُؤْمِناً أَوْ مُؤْمِنَةً بِما لَيْسَ فيهِ، بَعَثَهُ ـ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ـ في طينَةِ خَبالٍ حَتّىٰ يَخْرُجَ مِمّا قالَ».

وسئل الإمام: «ما طينة الخبال؟».

فأجاب: **«صَديدٌ يَخْرُجُ مِنْ فُروجِ الْمُومِساتِ»**(٣).

إنّ البهتان إثم وظلم للغير، فلذا حرّمه الإسلام وشدّد الإمام على منعه والتحذير منه.

١٧ ـ البغي

أمّا البغي فهو ظلم واعتداء على الغير، وهو محرّم في الإسلام، وقد حذّر

---

(١) تاريخ الإسلام: ٦: ٤٨. تذكرة الحفّاظ: ١: ١٥٨.

(٢) النساء ٤: ١١٢.

(٣) جامع السعادات: ٢: ٣١٠.

الإمام الصادق عليه السلام منه ، وشدّد على استئصاله . اسمعوا ما قاله :

١ ـ قال عليه السلام : « **البَغْيُ أَسْرَعُ الذُّنُوبِ عِقاباً** »[١] .

٢ ـ قال عليه السلام : « **البَغْيُ مَصْرَعُ السُّوءِ** »[٢] .

٣ ـ قال عليه السلام : « **بِئْسَ الزّادُ الْعُدوانُ عَلَى الْعِبادِ** »[٣] .

إنّ البغي من أفحش المحرّمات التي توجب شيوعه نشر الظلم والفساد بين النّاس .

١٨ ـ الظلم

الظلم من أقبح المحرّمات التي قاومها الإسلام ، فلعن الظلم والظالمين ، وشدّد في عقابهم ، وقد أُثرت عن إمام الهدى الصادق عليه السلام كوكبة من الأحاديث في ذمّ الظلم والتحذير من اقترافه ، وهذه بعضها :

١ ـ قال عليه السلام : « **ما مِنْ مَظْلَمَةٍ أَشَدُّ مِنْ مَظْلَمَةٍ لَا يَجِدُ صاحِبُها عَلَيْها عَوْناً إلّا اللهَ تَعالىٰ** »[٤] .

٢ ـ قال عليه السلام : « **مَنْ أَكَلَ مالَ أَخيهِ ظُلْماً وَلَمْ يَرُدَّهُ إِلَيْهِ أَكَلَ جَذْوَةً مِنَ النّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ** »[٥] .

٣ ـ قال عليه السلام : « **إنَّ اللهَ تَعالىٰ أَوْحىٰ إِلىٰ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيائِهِ في مَمْلَكَةِ جَبّارٍ مِنَ الْجَبّارينَ أَنِ ائْتِ هٰذَا الْجَبّارَ فَقُلْ لَهُ : إِنّي لَمْ أَسْتَعْمِلْكَ عَلىٰ سَفْكِ الدِّماءِ ، وَاتِّخاذِ الْأَمْوالِ ، وَإِنَّما اسْتَعْمَلْتُكَ لِتَكُفَّ عَنّي أَصْواتَ الْمَظْلومينَ ، فَإِنّي لَمْ أَدَعْ ظُلامَتَهُم وَإِنْ كانُوا كُفّاراً** »[٦] .

(١ ـ ٣) الحكم الجعفريّة : ٢٦ .

(٤) أُصول الكافي : ٢ : ٢٤٩ .

(٥) جامع السعادات : ٢ : ٢١٧ .

(٦) أُصول الكافي : ٢ : ٢٥٠ .

٤ ـ قال عليه السلام : « مَنْ ظَلَمَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُه »[١].

٥ ـ قال عليه السلام : « الْعامِلُ بِالظُّلْمِ ، وَالْمُعينُ لَهُ ، وَالرّاضي بِهِ شُرَكاءُ ثَلاثَتُهُم »[٢].

٦ ـ قال عليه السلام : « مَنْ عَذَرَ ظَالِماً بِظُلْمِهِ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ ، فَإِنْ دَعا لَهُ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ ، وَلَمْ يَأْجُرْهُ اللهُ عَلىٰ ظُلامَتِه »[٣].

هذه بعض الأخبار التي وردت عن سليل النبوّة ، وهي تشجب الظلم ، وتذمّ الظالمين الذين هم ذئاب المجتمع ، وتتوعّدهم بنار جهنّم .

١٩ ـ الرياء

من الصفات التي يمقتها الإسلام الرياء الذي لا يملك صاحبه ضميراً حيّاً يخشى الله تعالى ، فإنّه يعمل الخير لا للخير ، ولا لوجه الله تعالى ، وإنّما يعمله ليراه النّاس صالحاً ، وقد تظافرت الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام في ذمّه والتحذير منه ، وهذه بعضها :

١ ـ قال عليه السلام : « قالَ اللهُ تَعالىٰ : أَنا خَيْرُ شَريكٍ ، مَنْ أَشْرَكَ مَعي غَيْري في عَمَلِهِ لَمْ أَقْبَلْهُ إِلّا ما كانَ خالِصاً لي »[٤].

٢ ـ قال عليه السلام : « كُلُّ رِياءٍ شِرْكٌ ، إِنَّهُ مِنْ عَمِلَ لِلنّاسِ كانَ ثَوابُهُ عَلَى النّاسِ ، وَمَنْ عَمِلَ للهِ تَعالىٰ كانَ ثَوابُهُ عَلَى اللهِ تَعالىٰ »[٥].

٣ ـ قال عليه السلام : « الرَّجُلُ يَعْمَلُ شَيْئاً مِنَ الثَّوابِ لَا يَطْلُبُ بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعالىٰ ، إِنَّما يَطْلُبُ تَزْكِيَةَ النّاسِ ، يَشْتَهي أَنْ يَسْمَعَ بِهِ النّاسُ ، فَهذا الَّذي أَشْرَكَ بِعِبادَةِ رَبِّهِ »[٦].

(١ ـ ٣) جامع السعادات : ٢ : ٢١٧.

(٤) أُصول الكافي : ٢ : ٢٢٣ ، باب الرياء.

(٥) بحار الأنوار : ١٥ : ٤٣.

(٦) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٥ : ٣٤٥.

٤ ـ قال عليه السلام : « ما يَصْنَعُ أَحَدُكُم أَنْ يُظهِرَ حُسْناً ، وَيُسِرَّ سَيِّئاً أَلَيْسَ يَرْجِعُ إلىٰ نَفْسِهِ فَيَعْلَمَ أَنَّ ذلِكَ لَيْسَ كَذلِكَ ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ بَلِ الْإنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾(١) ، إنَّ السَّرِيرَةَ إذا صَحَّتْ قَوِيَتِ الْعَلَانِيَةُ »(٢) .

٥ ـ قال عليه السلام : « مَنْ أَرادَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَلِيلِ مِنْ عَمَلِهِ أَظْهَرَ اللهُ لَهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَرادَهُ بِهِ ، وَمَنْ أَرادَ النّاسَ بِالْكَثِيرِ مِنْ عَمَلِهِ في تَعَبٍ مِنْ بَدَنِهِ ، وَسَهَرٍ مِنْ لَيْلِهِ أَبَى اللهُ تَعالىٰ إلّا أَنْ يُقَلِّلَهُ في عَيْنِ مَنْ سَمِعَهُ »(٣) .

٦ ـ قال عليه السلام : لعبّاد البصري ـ وكان مبتلى بالرياء ـ : « وَيْلَكَ يا عَبّادُ ، إيّاكَ وَالرِّياءَ ، فَإنَّهُ مِنْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللهِ تَعالىٰ وَكَّلَهُ اللهُ إلىٰ مَنْ عَمِلَ لَهُ . . . »(٤) .

٧ ـ قال عليه السلام : « اجْعَلُوا أَمْرَكُم هٰذا للهِ ، وَلَا تَجْعَلُوهُ لِلنّاسِ ، فَإنَّهُ ما كانَ للهِ فَهُوَ للهِ ، وَما كانَ لِلنّاسِ فَهُوَ لَا يَصْعَدُ للهِ »(٥) .

الرياء حسب هذه الأخبار وغيرها ممّا ورد عن أئمّة الهدى عليهم السلام مفسد للعمل ، فقد أجمع الفقهاء على أنّ الرياء إذا دخل في العبادة أفسدها ، ولا بدّ أن تكون النيّة فيها خالصة لوجه الله تعالى .

الرياء أمر وهمي لا بدّ أن ينكشف ، وتظهر حقيقة الحال . يقول أبو الحسن التهامي :

ثوبُ الرّياءِ يَشفُّ عَمّا تحتَهُ ... وَإذا التَحفْتَ بِهِ فَإنَّكَ عارِ

٢٠ ـ الخيانة

من أفحش الصفات المنكرة وأقذرها : الخيانة ، وقد حذّر منها الإمام عليه السلام

---

(١) القيامة ٧٥ : ١٤ .

(٢ ـ ٦) جامع السعادات : ٢ : ٣٧٣ .

في كوكبة من أحاديثه ، منها :

١ ـ قال عليه السلام : **« ما نَجا خائِنٌ ، وَلَا فازَ مَهينٌ ، وَلَا يُغْني اللهُ بَخيلاً »**(١).

٢ ـ قال عليه السلام : **« الْخائِنُ وَالْمَهينُ عَدُوُّ نَفْسِهِ »**(٢).

إنّ الخيانة تنمّ عن ضمير عفن لا عهد له بالشرف والكرامة ، ولاصلة له بالمبادئ الرفيعة ، والخيانة بمفومها الواسع ، سواء أكانت للوطن أم للأُمّة أم للفرد ، لا تصدر إلّا من السفلة والأشرار.

٢١ ـ الغشّ والخداع

وحرّم الإسلام الغشّ والخداع ؛ لأنّهما من رذائل الصفات ، وقد شنّ الإمام حملة شعواء على من اتّصف بهما ، وهذه بعض أحاديثه :

١ ـ قال عليه السلام : **« مَنْ غَشَّ أَخاهُ فَلَيْسَ مِنّا »**(٣).

٢ ـ قال عليه السلام : **« أَضْدادُ الْمُؤْمِنينَ خادِعُوهُم »**(٤).

٣ ـ قال عليه السلام : **« عَدُوُّ الْحَقِّ مَنْ لَمْ يَنْصَح أَهْلَ الْحَقِّ »**(٥).

٤ ـ قال عليه السلام : **« مَنْ غَشَّ أَخاهُ وَأَخْفاهُ النَّصيحَةَ بُدِّلَ ما فيهِ مِنْ خَيْرٍ إِلىٰ شَرٍّ »**(٦).

٥ ـ قال عليه السلام : **« مَنْ اسْتُشيرَ وَأَشارَ بِغَيْرِ الصَّوابِ سَلَبَهُ اللهُ الرَّأْيَ السَّديدَ »**(٧).

إنّ الغشّ والخداع إنّما يقدم عليهما من لا صلة له بالله ، ولا يؤمن باليوم الآخر.

---

(١) و (٢) الحكم الجعفريّة : ٢٩.

(٣) الحكم الجعفريّة : ٣١.

(٤) و (٥) الحكم الجعفريّة : ٣١.

(٦) و (٧) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٤ : ٣٤٧.

٢٢ ـ العصبيّة

من الصفات التي حاربها الإسلام العصبيّة القوميّة، وهي أنّه يرى الرجل العنصر الذي ينتمي إليه من أفضل أنواع الجنس البشري، ويعين قومه على الباطل، أمّا حبّ الرجل لعنصره فهذا ليس من العصبيّة في شيء.

وقد ذمّ الإمام الصادق عليه السلام هذه الظاهرة بقوله:

«إنَّ الْمَلَائِكَةَ كانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّ إِبْليسَ مِنْهُم، وَكانَ في عِلْمِ اللهِ تَعالىٰ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُم، فَاسْتَخْرَجَ ما في نَفْسِهِ بِالْحَمِيَّةِ وَالْغَضَبِ، فَقالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[١]»[٢].

إنّ العصبيّة القوميّة قد أشعلت نار الحروب في الأرض، وألقت النّاس في شرّ عظيم، فلذا مقتها حماة الإسلام.

٢٣ ـ الشؤم

الشؤم من الصفات الممقوتة، وهي أن يتشاءم الإنسان في جميع أُموره وأحواله، ولا يكون متفائلاً، وهو ينشأ من تراكم العقد النفسيّة عند الإنسان ممّا يجعله مصاباً بهذا الداء، وقد بيّن الإمام عليه السلام في بعض أحاديثه بعض صور الشؤم بقوله: **«الشُّؤْمُ في ثَلاثَةٍ: في الْمَرْأَةِ وَالدّابَّةِ وَالدّارِ، فَأَمّا شُؤْمُ الْمَرْأَةِ فَكَثْرَةُ مَهْرِها وَعُقوقُ زَوْجِها، وَأَمّا الدّابَّةُ فَسُوءُ خُلُقِها وَمَنْعُها ظَهْرَها، وَأَمّا الدّارُ فَضيقُ ساحَتِها وَسُوءُ جيرانِها وَكَثْرَةُ عُيوبِها»**[٣].

وقد شجب الإمام عليه السلام في بعض أحاديثه مطلق الشؤم، ودعا الإنسان أن يكون

---

(١) الأعراف ٧: ١٢.

(٢) جامع السعادات: ١: ٣٧١.

(٣) الاثنى عشرية: ٢٩.

متفائلاً ومتفاعلاً في جميع أدوار حياته.

٢٤ - الضجر والقلق

نهى الإمام عن الضجر والقلق؛ لأنّهما يؤدّيان إلى ضعف الشخصيّة وانهيارها.

قال عليه السلام: «**لا تَكُنْ ضَجِراً وَلَا قَلِقاً، وَذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمالِ مَنْ خالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ مِمَّنْ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكَ**»[١].

إنّ الضجر والقلق يؤدّيان إلى انفصام الشخصيّة الذي هو من أخطر الأمراض النفسيّة.

٢٥ - الكسل

حذّر الإمام عليه السلام من الكسل في جميع الأعمال، واعتبره مفتاحاً لكلّ شرٍّ.

قال عليه السلام: «**أَوْصاني أَبي بِقَوْلِهِ: يا بُنَيَّ، إِيّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّهُما مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ. إِنَّكَ إِنْ كَسَلْتَ لم تؤدِّ حقّاً، وَإِنْ ضَجَرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلىٰ حَقٍّ**»[٢].

إنّ الكسل يؤدّي إلى ضعف اقتصاد الأُمّة، وعدم تنمية دخل الفرد، ويوجب ركود الاقتصاد في البلاد، وشيوع البطالة بين المواطنين.

٢٦ - الذلّ

أهاب الإمام الصادق عليه السلام بالمسلم من أن يكون ذليلاً، وأراد له العزّة والكرامة.

قال: «**احْذَروا الذُّلَّ، فَإِنَّهُ فِعْلُ الشَّيْطانِ**»[٣].

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٢: ١٥٣.

(٢) آداب النفس: ١: ٢٢٠.

(٣) الحكم الجعفريّة: ٢٩.

وأكّد الإمام مرّة أُخرى على ضرورة التحلّي بالعزّة.

قال عليه السلام: «عَلَيْكُم بِالتَّجَمُّلِ، وَاحْذَرُوا الذُّلَّ»(١).

إنّ الذلّ يؤدّي إلى احتقار الإنسان، وانعدام شخصيّته، وهو يتنافى مع ما ينشده الإسلام من العزّة للمسلمين.

٢٧ ـ الكذب

الكذب من أفحش المحرّمات وأخبثها في الإسلام، وتتضاعف حرمته في الكذب على الله تعالى، وعلى نبيّه، وعلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وقد أفتى الفقهاء بأنّه من جملة المفطّرات للصوم مستندين في ذلك إلى ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال:

«إِنَّ الْكِذْبَةَ لَتُفَطِّرُ الصَّائِمَ». فاستعظم الراوي ذلك، ظانّاً أنّ الإمام أفتى بأنّ الكذب على إطلاقه من المفطّرات، فقال عليه السلام: «لَيْسَ حَيْثُ ذَهَبْتَ، إِنَّما الْكَذِبُ عَلَى اللهِ تَعالىٰ، وَعَلىٰ رَسُولِهِ، وَعَلَى الْأَئِمَّةِ عليهم السلام»(٢).

وهو من كبائر الذنوب حسب ما نصّ عليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«الْكَذِبُ عَلَى اللهِ، وَعَلىٰ رَسُولِهِ، وَعَلَى الْأَوْصِياءِ عليهم السلام مِنَ الْكَبائِرِ»(٣).

ويستثنى من الكذب المحرّم الكذب لدفع مضرّة، أو لإصلاح ذات البين، وقد قيل للإمام الصادق عليه السلام:

«ربّما نكذب مع الظلمة مخافة شرّهم، أفنأثم؟».

فقال عليه السلام: «بَلْ يُثيبُكُمُ اللهُ تَعالىٰ عَلَيْهِ»(٤).

---

(١) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ٤: ٣٤٩.

(٢) و (٣) جامع السعادات: ٢: ٣١٩.

(٤) تحسين التقبيح وتقبيح الحسن / الثعالبي: ٨.

٢٨ ـ عقوق الوالدين

من الخصال التي تتنافى مع مكارم الأخلاق عقوق الوالدين ، فقد أوجب الله تعالى طاعتهما على عباده. قال تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴾[١].

وقال : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** ﴾[٢].

وحثّ الإمام عليه السلام على البرّ بالوالدين ، ولزوم طاعتهما ، وكان ممّا أُثر عنه في ذلك ما يلي :

١ ـ سأله رجل عن أفضل الأعمال وأحبّها إلى الله تعالى ، فقال : « **الصَّلَاةُ لِوَقْتِها ، وَبِرُّ الْوالِدَينِ ، وَالْجِهادُ في سَبيلِ اللهِ تَعالىٰ** »[٣].

٢ ـ روى الإمام الصادق ، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله : **أَنَّ أُخْتاً لَهُ مِنَ الرَّضاعَةِ أَتَتْهُ فَسُرَّ بِها ، وَبَسَطَ مِلْحَفَتَهُ لَها ، وَأَجْلَسَها عَلَيْها ، وَأَقْبَلَ يُحَدِّثُها بِحَفاوَةٍ وَتَكْريمٍ** ، ثمّ انصرفت ، وأقبل أخوها فلم يعن به كما عُني بأُخته ، فقيل له : « يا رسول الله ، صنعت بأُخته ما لم تصنع به ، وهو رجل ؟ » ، فقال صلى الله عليه وآله : « **إِنَّها كانَتْ أَبَرَّ بِوالِدَيْها مِنْهُ** »[٤].

٣ ـ قال له رجل : « إنّ أبي رجل كبير وضعيف ، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة ، فقال عليه السلام له : « **إِنِ اسْتَطَعْتَ فَافْعَلْ ذلِكَ ، وَلَقِّمْهُ بِيَدِكَ** » أي أعطه الطعام بيدك « **فَإِنَّهُ جُنَّةٌ لَكَ غَداً** »[٥].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أدلى بها الإمام ، وهي تلزم الإنسان المسلم برعاية

---

(١) الإسراء ١٧ : ٢٤.

(٢) النساء ٤ : ٣٦.

(٣ ـ ٥) جامع السعادات : ٢ : ٢٦٠.

أبويه والبرّ بهما ، ولا شبهة أنّ عقوقهما من كبائر الذنوب ومن أُمّهات المعاصي .

٢٩ ـ جحد الإحسان

من الخصال الذميمة التي حذّر الإمام الصادق عليه السلام عنها إنكار المعروف وجحد الإحسان ، فقد قال عليه السلام :

« عَلىٰ جاحِدِ الْإِحْسانِ اللَّعْنَةُ »(١) .

إنّ جحود الإحسان قطع لسبل المعروف ، وسدّ لأبواب البرّ .

هذه بعض الأحاديث التي أُثرت عن سليل النبوّة في النهي عن اقتراف الصفات الذميمة ، ونهيب بالمسلم أن يكون مثلاً أعلى للفضيلة ، وأن يكون قدوة حسنه في سلوكه ومحاسن أعماله .

مكارم أخلاقه

كان الإمام الصادق عليه السلام آية من آيات الله تعالى في سموّ أخلاقه ، وكان امتداداً لأخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي امتاز على سائر النبيّين بمعالي أخلاقه ، وهذه شذرات من سموّ آدابه وأخلاقه :

١ ـ التواضع

التواضع من الصفات البارزة في أخلاق الإمام الصادق عليه السلام ، فكان من تواضعه أنّه يمقت العظمة ويشجب التكبّر ، وقد قال لرجل : **« مَنْ سَيِّدُ قَبيلَتِكَ ؟ »** ، فقال : « أنا » ، فأنكر ذلك الإمام وقال له : **« لَوْ كُنْتَ سَيِّدَهُم ما قُلْتَ أنا »**(٢) .

---

(١) الحكم الجعفريّة : ٤٦ .

(٢) الطبقات الكبرى : ١ : ٣٢ .

ومن تواضعه أنّه كان يرفض الجلوس على الفرش الفاخرة، ويجلس على الحصير[١].

إنّ التواضع من أبرز صفاته وسماته، فقد جافى التكبّر على خلق الله تعالى، وكان يرى ذلك من أفحش الصفات التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق، وقد روى المؤرّخون أنّ رجلاً كان يلازم الإمام عليه السلام فافتقده فسأل عنه فبادر رجل مستهيناً به قائلاً: «إنّه نبطيّ».

فردّ عليه الإمام قائلاً:

«أَصْلُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ دينُهُ، وَكَرَمُهُ تَقْواهُ، وَالنّاسُ في آدَمَ مُسْتَوون»[٢].

إنّ التواضع ونكران الذات من أبرز سماته وطباعه، فقد مقت العظمة والتكبّر، وآمن أنّهما من صفات الواحد القهّار ولا يشاركه أي أحد فيها.

٢ ـ الصبر

ومن معالي أخلاقه الصبر على المحن التي ابتلي بها أيّام الحكم الأموي الذي استهدف انتقاص أهل البيت عليهم السلام، فجعل سبّهم من فرائض الدين، وتتبّع شيعة أهل البيت قتلاً وسجناً ومطاردة، رأى الإمام ذلك وقد ملئت نفسه أسى وحزناً، ولمّا انقرضت الدولة الأمويّة وتسلّم الحكم بنو العبّاس صبّوا على العلويّين جميع ألوان العذاب والاضطهاد، وجرّعوهم نغب التهام، وكان حكمهم على العلويّين أقسى من حكم الأمويّين حتّى قال الشاعر:

تَـاللهِ مَـا فَـعلَتْ أُمَـيّةُ فـيهِمُ ... مِعْشارُ ما فَعلتْ بَنو العَبّاسِ

فقد أجرم المنصور الدوانيقي بدفن العلويّين وهم أحياء وهدم السجن عليهم،

---

(١) النجوم الزاهرة: ٥: ١٧٦.

(٢) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ١: ٦٦.

وارتكب من الفضائع ما لا نظير لها في قسوتها وفضاعتها.

لقد رأى الإمام الصادق عليه السلام المحن الشاقّة التي أحاطت بالسادة العلويّين أيّام المنصور الدوانيقي الذي لم يعرف الرحمة والرأفة، وتجرّدت نفسه من كلّ نزعة شريفة، وقد أحاط الإمام بقوى الأمن التي تحصي عليه أنفاسه، وقابله بالشدّة والصرامة، فصبر الإمام عليه السلام على هذه المحن والخطوب.

ومن صبره أنّه لمّا توفّي ولده إسماعيل، وكان من أعزّ أبنائه وذلك لتقواه وورعه وعلمه وأدبه، دعا الإمام أصحابه فقدّم لهم مائدة فيها أفخر الأطعمة، فقال بعض أصحابه: «يا سيّدي، لا أرى عليك أثراً من آثار الحزن على ولدك؟»، فأجابه عليه السلام:

«ما لي لا أكونُ كما تَرَوْنَ وَقَدْ جاءَ في خَبَرِ أَصْدَقِ الصادِقِين -يعني جدّه الرسول صلى الله عليه وآله- **أَنَّهُ قالَ لِأَصْحابِهِ: إِنّي مَيِّتٌ وَإِيّاكُم»**[1].

٣ - السخاء

كان الإمام الصادق عليه السلام من أندى النّاس كفّاً، وكان يجود بما عنده لانعاش الفقراء، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه، كان منها:

١ - دخل عليه أشجع السلمي فوجده مريضاً، فقال له الإمام:

«اذْكُرْ ما جِئْتَ لَهُ؟».

فقال:

أَلبسَكَ اللهُ مِنْهُ عافِيَةً ... في نَومِكَ الْمعتري وفي أَرقِكْ
يُخرِجُ مِنْ جِسْمِكَ السَّقامَ ... كَما أَخرجَ ذُلَّ السُّؤالِ مِنْ عُنُقِكْ

وفي الشطر الأخير من البيت الثاني فيه تلويح بحاجته، وهو من لطائف البيان، وعرف الإمام حاجته، فقال لغلامه:

---

(١) الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ٤٩.

« أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ ؟ ».

فقال : « أربعمائة » ، فأمره بإعطائها له(١).

٢ ـ وفد عليه المفضّل بن قيس بن رمّانة وهو من خيار أصحابه ، فشكا إليه ضعف حاله ، وسأله الدعاء ، فقال عليه‌السلام لجاريته :

« هاتِ الكيسَ الَّذي فيهِ أَرْبَعْمائَةِ دينارٍ » ، فجاءته به ، فأعطاه له ، وقال له :

« اسْتَعِنْ بِهِ » ، فقال المفضّل : « لا والله جعلت فداك ما أردت هذا ، ولكن أردت الدعاء » .

فقال عليه‌السلام : **« لَا أَدَعُ الدُّعاءَ لَكَ »**(٢) .

٣ ـ ومن برّه وجوده أنّه كان له ضيعة قرب المدينة تسمّى « رعين زياد » فيها نخل كثير ، فإذا نضج التمر أمر الوكلاء أن يثلموا في حيطانها ثلماً ليدخل النّاس ويأكلوا من التمر(٣) ، وكان يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدرون على المجيء ، كالشيخ والعجوز والمريض لكلّ واحد منهم بمُدٍّ من التمر ، وما بقي منه يأمر بحمله إلى المدينة فيفرّق أكثره على الضعفاء والمستحقّين ، وكانت قيمة التمر الذي تنتجه الضيعة أربعة آلاف دينار ، فينفق ثلاثة آلاف دينار ، ويبقى له ألفاً(٤) .

٤ ـ من بوادر كرمه أنّه كان يطعم الفقراء ويكسوهم حتّى لا يبقى لعياله أي شيء(٥) .

٥ ـ ومن برّه للفقراء أنّ رجلاً اجتاز عليه فلم يسلّم ، وكان يتغدّى ، فدعاه الإمام إلى تناول الطعام ، فقال له بعض الحاضرين :

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٣٤٥ . أمالي الطوسي : ١ : ٢٨٧ .

(٢) رجال الكشّي : ١٢١ .

(٣) و (٤) الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام : ٤٧ .

(٥) تاريخ الإسلام : ٦ : ٤٥ . مرآة الزمان : ٦ : ١٦٠ . تهذيب الكمال : ٥ : ٨٧ .

« السنّة أن يسلّم ثمّ يُدعى ، وقد ترك السلام على عمد » ، فقابله الإمام ببسمات ، وقال له : **« هٰذا فَقَهٌ عراقيٌّ فيهِ بُخْلٌ »**[(١)].

لقد كان الكرم ذاتياً من ذاتيّاته وعنصراً من عناصره ، فلم يرَ للمال قيمة سوى أن يطعم به الفقراء ويكسو به العراة .

٤ ـ صدقاته عليه السلام في السرّ

أمّا الصدقات في السرّ وفي غلس الليل ، فكانت من مناهج أئمّة أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنّها من الأعمال الخالصة لله تعالى لا يشوبها أي غرض من أغراض الدنيا ، وكان كلّ واحد من الأئمّة العظام يعول بجماعة من الفقراء وهم لا يعرفونه ، وكان الإمام الصادق عليه السلام يحمل جراباً فيه الخبز واللحم والدراهم ويذهب به إلى أهل الحاجة من فقراء المدينة فيقسّمه فيهم وهم لا يعرفونه ، فلمّا انتقل الإمام إلى جنّة المأوى افتقدوا تلك الصلات ، فعلموا أنّها منه[(٢)] ، وهكذا كان جدّه إمام المتّقين زين العابدين عليه السلام .

ومن صلاته السرّية ما رواه إسماعيل بن جابر ، قال : « أعطاني أبو عبدالله خمسين ديناراً في صرّة وقال لي : **« ادْفَعْها إلىٰ شَخْصٍ مِنْ بَني هاشِمٍ وَلَا تُعْلِمْهُ أَنّي أَعْطَيْتُكَ شَيْئاً »** ، فأتيته ودفعتها له ، فقال لي : **« مِنْ أَيْنَ هٰذِهِ ؟ »** فأخبرته أنّها من شخص لا يقبل أن تعرفه ، فقال العلوي : « ما يزال هذا الرجل كلّ حين يبعث بمثل هذا المال فنعيش به إلى قابل ، ولكن لا يصلني جعفر بدرهم مع كثرة ماله »[(٣)] ، وقد أُثرت عنه أخبار كثيرة تحثّ على صدقة السرّ .

---

(١) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ١ : ٦٤.

(٢) الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٤٧.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر : ٢ : ٨٢.

٥ ـ تكريمه عليه السلام للضيوف

من معالي أخلاق الإمام الصادق عليه السلام تكريمه للضيوف والاحتفاء بهم ، فكان يشرف على خدمتهم ، ويأتيهم بأشهى ألوان الطعام وأوفره ، وكان يكرّر عليهم القول وقت الأكل :

«أَشَدُّكُم حُبّاً لَنا أَكْثَرُكُم أكلاً عِنْدَنا»[١].

وكان يأمر في كلّ يوم بوضع عشر ثبنات من الطعام يتغدّى على كلّ ثبنة عشرة[٢].

إنّ السخاء ظاهرة ذاتيّة من ظواهر أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فهم معدن الكرم ومنبع السخاء .

٦ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ

كان الإمام عليه السلام إمام المتّقين والعابدين ، وقد أخلص في طاعته لله تعالى كأعظم ما يكون الإخلاص ، فأناب إليه ، وعمل كلّ ما يقرّبه إليه زلفى .

إنّ في عبادة الإمام صوراً مشرقة من الانقطاع إلى الله تعالى ، وقد تميّزت بروحانيّة لا تجد لها مثيلاً إلّا عند آبائه وأبنائه من أئمّة الهدى دعاة الله تعالى في الأرض ، وحملة مشاعل التوحيد ، وكذلك تجد مظاهر الطاعة إلى الله تعالى في أدعيته التي أناب فيها إلى الله تعالى ، فقد حكت انقطاعه الكامل إلى الخالق العظيم ، وقد أفردنا لها جزءً خاصّاً في موسوعته تحدّثنا عن أدعيته التي شملت جميع مظاهر حياته ، وبهذا العرض الموجز عن معالي أخلاقه نطوي الحديث عنه .

---

(١) حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ١ : ٦٥.

(٢) المصدر المتقدّم : ٤٦.

الإمام الكاظم عليه السلام

الإمام موسى من أفذاذ أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين أضاؤوا الحياة الفكريّة والعلميّة في الإسلام، فقد قام بدور إيجابي ومتميّز بنشر الثقافة الإسلاميّة، وإشاعة الأخلاق الفاضلة بين النّاس، وكان من بين خصائصه ومميّزاته كظمه للغيظ، ومقابلته للإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو حتّى لقّب بالكاظم، وهو من أشهر ألقابه.

كان الإمام موسى عليه السلام بحسب مركزه الاجتماعي وولايته العامّة على المسلمين مسؤولاً عن إقامة العدل الاجتماعي، والعدل السياسي في الوطن الإسلامي، ومكافحة الظلم والجور والاستبداد، وفعلاً فقد قام بدور المعارضة لسياسة الحكم العبّاسي التي كانت امتداداً لجور الأمويّين وظلمهم، ومن ثمّ فقد تعرّض للسخط والتنكيل من الطاغية هارون، فقد عمد إلى سجنه، وحرمان الأمّة من التمتّع بعلومه ومعارفه، وأخيراً فقد قام باغتياله، فدسّ إليه سمّاً قاتلاً، ففارق الحياة شهيداً مظلوماً، وقد عرضنا إلى ما لاقاه من صنوف الجور والظلم من هارون في كتابنا حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وعلى أيّ حال، فإنّا نعرض إلى ما أُثر عنه من الحكم والآداب في إقامة الأخلاق الإسلاميّة الفاضلة، ثمّ نعرض بعد ذلك إلى مكارم أخلاقه.

مكارم الأخلاق

رسم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في كثير من أحاديثه مكارم الأخلاق التي يسمو بها الإنسان ، والتي منها :

١ ـ إيثار الحقّ

من المناهج الأخلاقيّة التي أدلى بها الإمام عليه السلام إيثار الحقّ . انظروا إلى كلمته :

« قُلِ الْحَقَّ ، وَإِنْ كانَ فيهِ هَلاكُكَ فَإِنَّ فيهِ نَجاتَكَ ، وَدَعِ الْباطِلَ وَإِنْ كانَ فيهِ نَجاتُكَ ، فَإِنَّ فيهِ هَلاكَكَ »[١] .

أمر الإمام بقول الحقّ وإن كان فيه الهلاك كما أمر بمجافاة الباطل وإن كان فيه النجاة ، وهذه السمة من أهمّ الصفات في أخلاق الإمام موسى عليه السلام .

٢ ـ قول الخير

كان الإمام موسى عليه السلام يوصي أصحابه بقول الخير وإسدائه إلى النّاس ، فقد قال للفضل بن يونس :

« أَبْلِغْ خَيْراً ، وَقُلْ خَيْراً ، وَلا تَكُنْ إِمَّعَةً[٢] » .

فانبرى الفضل قائلاً : « ما الامعة ؟ » .

« لا تَقُلْ أَنا مَعَ النّاسِ ، وَأَنا كَواحِدٍ مِنَ النّاسِ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : أَيُّها النّاسُ ، إِنَّما هُما نَجْدانِ[٣] نَجْدُ خَيْرٍ ، وَنَجْدُ شَرٍّ ، فَلا يَكُونُ نَجْدَ

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٢٤٦ .

(٢) **الإمع** : قيل معناه : إنّي معك .

(٣) **النجد** : الطريق الواضح المرتفع .

الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ»(١).

٣ ـ إغاثة المستجير

حثّ الإمام عليه السلام المسلمين على إغاثة من استجار بهم، وحذّر من عدم إجابته، قال عليه السلام: **«مَنْ قَصَدَهُ رَجُلٌ مِنْ إِخْوانِهِ مُسْتَجيراً في بَعْضِ أَحْوالِهِ فَلَمْ يُجِرْهُ، بَعْدَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَقَدْ قَطَعَ وِلايَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**(٢).

إنّ التثاقل في إجابة المستجير وترك إغاثته توجب سخط الله تعالى والمزيد من عقابه.

٤ ـ العفو والإصلاح

ومن بين التعاليم الرفيعة التي أكّد الإمام على التحلّي بها العفو عن المسيئ والإصلاح بين النّاس، قال عليه السلام:

«يُنادي مُنادٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ: أَلَا مَنْ كانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللهِ فَلْيَقُمْ، فَلا يَقومُ إِلَّا مَنْ عَفا وَأَصْلَح»(٣).

٥ ـ حسن الجوار

أكّد الإمام عليه السلام على الإحسان إلى الجار، والصبر على ما يصدر منه من مكروه، قال عليه السلام:

«لَيْسَ حُسْنُ الْجِوارِ كَفُّ الْأَذىٰ، وَلٰكِنَّ حُسْنَ الْجِوارِ الصَّبْرُ عَلَى الْأَذىٰ»(٤).

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٢٤٦.

(٢) المصدر المتقدّم: ٢٤٧.

(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٢٤٥.

(٤) المصدر المتقدّم: ٢٤٧.

أرأيتم كيف نظر إلى الجوار بعين اللطف والرضا بما يصدر منه توكيداً للروابط الإسلاميّة .

٦ ـ زيارة الاخوان

أمر الإمام عليه‌السلام بالتآلف والتوادد بين الإخوان وذلك لإشاعة المحبّة والمودّة بينهم قال عليه‌السلام : « **مَنْ زارَ أَخاهُ الْمُؤْمِنَ للهِ تَعالىٰ لَا لِغَيْرِهِ يَطْلُبُ بِهِ ثَوابَ اللهِ تَعالىٰ وَكَّلَ اللهُ تَعالىٰ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنْ حينَ يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ حَتّىٰ يَعُودَ إِلَيْهِ يُنادونَهُ : أَلا طِبْتَ وَطابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ تَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً** »(١) .

إنّ الله تعالى أعدّ الأجر الجزيل لمن زار أخاه المؤمن وتعاهده بالمحبّة والمودّة .

٧ ـ شكر النعمة

من البرامج الأخلاقيّة التي حثّ عليها الإمام : شكر نِعم الله تعالى ، قال عليه‌السلام :

« **التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللهِ تَعالىٰ شُكْرٌ ، وَتَرْكُ ذلِكَ كُفْرٌ ، فارْبِطوا نِعَمَ رَبِّكُم بِالشُّكْرِ ، وَحَصِّنُوا أَمْوالَكُم بِالزَّكاةِ ، وَادْفَعوا الْبَلاءَ بِالدُّعاءِ ، فَإِنَّ الدُّعاءَ جُنَّةٌ تَرُدُّ الْبَلاءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْراماً** »(٢) .

٨ ـ محاسبة النفس

من معالي الأخلاق التي أوصى بها الإمام موسى عليه‌السلام محاسبة النفس ، والنظر في أعمالها ، فإن كانت حسنة استزاد منها ، وإن كانت سيّئة طلب من الله تعالى العفو والرضوان . قال عليه‌السلام :

« **لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يُحاسِبْ نَفْسَهُ في كُلِّ يَوْمٍ ، فَإِنْ عَمِلَ حَسَناً اسْتَزادَ مِنْهُ ، وَإِنْ عَمِلَ**

---

(١) و (٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما‌السلام : ١ : ٢٤٨ .

سَيِّئاً اسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهُ وَتابَ مِنْهُ»[١].

٩ ـ الاستشارة

من محاسن الأعمال : استشارة المسلم أخاه في أُموره ، وعدم الاستبداد فيها ، قال عليه السلام : **« مَنِ اسْتَشارَ لا يَعْدِمُ عِنْدَ الصَّوابِ مادِحاً ، وَعِنْدَ الْخَطَأَ عاذِراً »**[٢].

١٠ ـ الرضا بقضاء الله تعالى

من الصفات الكريمة التي ينبغي للمؤمن أن يتحلّى بها : الرضا بقضاء الله تعالى ، والتسليم لمشيئته ، وقد أمر الإمام عليه السلام به ، قال عليه السلام : **« يَنْبَغي لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ تَعالىٰ أَنْ لا يَسْتَبْطِئَهُ في رِزْقِهِ ، وَلَا يَتَّهِمَهُ في قَضائِهِ »**[٣].

وهذه الصفة من أفضل الصفات التي يتسلّح بها المؤمن في حياته .

١١ ـ الصبر

حثّ الإمام عليه السلام على الصبر عند نزول البلاء ، فإنّ الجزع يذهب بالأجر الجزيل الذي أعدّه الله تعالى للصابرين ، وقد أُثرت عنه كوكبة من الأحاديث في ذلك ، منها :

١ ـ قال عليه السلام : **« الْمُصيبَةُ لَا تَكُونُ مُصيبَةً يَسْتَوْجِبُ صاحِبُها أَجْرَها إِلَّا بِالصَّبْرِ وَالْإِسْتِرْجاعِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ »**[٤].

٢ ـ قال عليه السلام : **« إِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلاءِ أَفْضَلُ مِنَ الْعافِيَةِ عِنْدَ الرَّخاءِ »**[٥].

---

(١) و (٣) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٢٤٨.

(٢) المصدر المتقدّم : ٢٤٩.

(٤ ـ ٥) المصدر المتقدّم : ٢٤٥.

٣ ـ قال عليه السلام : « الْمُصِيبَةُ لِلصَّابِرِ واحِدَةٌ ، وَلِلْجازِعِ اثْنَتانِ »[١].

١٢ ـ الورع

كان الإمام موسى عليه السلام يوصي أصحابه بالورع عن محارم الله تعالى ، قال عليه السلام :

« كَثيراً ما كُنْتُ أَسْمَعُ أَبي يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ شيعَتِنا مَنْ لا تَتَحَدَّثُ الْمُخَدَّراتُ بِوَرَعِهِ في خُدُورِهِنَّ »[٢]

١٣ ـ التفقّه في الدين

أمّا التفقّه في الدين ، ومعرفة أحكام الشريعة فهي من البرامج المكمّلة لشخصيّة الإنسان المسلم ، قال عليه السلام :

« تَفَقَّهوا في دينِ اللهِ ، فَإنَّ الفِقْهَ مِفْتاحُ الْبَصيرَةِ ، وَتَمامُ العِبادَةِ ، وَالسَّبَبُ إِلَى الْمَنازِلِ الرَّفيعَةِ ، وَالرُّتَبِ الْجَليلَةِ في الدِّينِ وَالدُّنْيا ، وَفَضْلُ الْفَقيهِ عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلَى الْكَواكِبِ ، وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّه في دينِهِ لَمْ يَرْضَ اللهُ تَعالىٰ لَهُ عَمَلاً »[٣].

أرأيتم هذه الإشادة بالتفقّه ، وأنّه من أسمى مراتب العلوم في الإسلام ، والتحلّي به من أفضل السمات التي يتّصف بها الشخص ، فهو مفتاح البصيرة ، وتمام العبادة على حدّ تعبير الإمام عليه السلام .

١٤ ـ مجالسة العلماء

حثّ الإمام عليه السلام على مجالسة العلماء والحضور في مجالسهم ، والاستماع إلى

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٢٤٥.

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ٦٤.

(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٢٤٠.

أحاديثهم ؛ وذلك لما له من أثر فعّال في تكوين أخلاق الإنسان . قال عليه السلام :

« **مُجالَسَةُ الْعالِمِ عَلَى الْمَزابِلِ خَيْرٌ مِنْ مُحادَثَةِ الْجاهِلِ عَلَى الزَّرابي** »[1][2] .

١٥ ـ وصايا تربويّة

أدلى الإمام عليه السلام ببعض الوصايا التربويّة التي لها الأثر في تكوين أخلاق الإنسان المسلم ، كان منها :

١ ـ قال عليه السلام : « **كَفىٰ بِالتَّجارُبِ تَأْديباً ، وَبِمَمَرِّ الْأَيّامِ عِظَةً ، وَبِأَخْلاقِ مَنْ عاشَرْتَ مَعْرِفَةً ، وَبِذِكْرِ الْمَوْتِ حاجِزاً مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعاصي ، وَالْعَجَبُ كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُحْتَمينَ مِنَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ مَخافَةَ الدّاءِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِم ، كَيْفَ لَا يَحْتَمُونَ مِنَ الذُّنُوبِ مَخافَةَ النّارِ إِذا اشْتَعَلَتْ في أَبْدانِهِمْ** »[3] .

٢ ـ أوصى عليه السلام أصحابه بتنظيم أوقاتهم ، والعمل على تهذيب نفوسهم . قال عليه السلام : « **اجْتَهِدوا في أَنْ يَكُونَ زَمانُكُم أَرْبَعَ ساعاتٍ : ساعَةً لِمُناجاةِ اللهِ ، وَساعَةً لِأَمْرِ الْمَعاشِ ، وَساعَةً لِمُعاشَرَةِ الْإِخْوانِ وَالثِّقاتِ الَّذينَ يُعَرِّفونَكُم عُيوبَكُم ، وَيُخْلِصُونَ لَكُم في الْباطِنِ ، وَساعَةً تَخْلونَ فيها لِلَذّاتِكُمْ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ ، وَبِهٰذِهِ السّاعَةِ تَقْدِرونَ عَلَى الثَّلاثِ ساعاتٍ ، وَلَا تُحَدِّثُوا أَنْفُسَكُم بِفَقْرٍ ، وَلَا بِطُولِ عُمْرٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِفَقْرٍ بَخِلَ ، وَمَنْ حَدَّثَها بِطُولِ الْعُمْرِ يَحْرِصُ ، اجْعَلوا لِأَنْفُسِكُم حَظّاً مِنَ الدُّنْيا بِإِعْطائِها ما تَشْتَهي مِنَ الْحَلالِ ، وَما لَا يَثْلِمُ الْمُروءَةَ ، وَما لَا سَرَفَ فيهِ ، وَاسْتَعينوا بِذلِكَ عَلىٰ أُمُورِ الدّينِ ، فَإِنَّهُ رُوِيَ : لَيْسَ مِنّا مَنْ تَرَكَ دُنْياهُ لِدينِهِ ، أَوْ تَرَكَ دينَهُ لِدُنْياهُ** »[4] .

---

(١) **الزرابي** : البسط والفرش الفاخرة .

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٢٤٠ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٥٦ ، نقلاً عن الدرّ النظيم .

(٤) تحف العقول : ٤٠٩ .

١٦ ـ التحذير من الكسل

كان الإمام موسى عليه السلام يمقت الكسل والضجر ؛ لأنّهما يؤدّيان إلى الفقر وذهاب المروءة ، وقد قال عليه السلام لبعض ولده :

«إِيّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَر ، فَإِنَّهما يَمْنَعاكَ مِنْ حَظِّكَ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ»(١).

١٧ ـ الاقتصاد

كان الإمام عليه السلام يوصي أبناءه وأصحابه بالاقتصاد ، وينهاهم عن الإسراف والتبذير ؛ لأنّ بهما زوال النعمة ، قال عليه السلام :

« مَنِ اقْتَصَدَ وَقَنَعَ بَقِيَتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ ، وَمَنْ بَذَّرَ وَأَسْرَفَ زالَتْ عَنْهُ النِّعْمَةُ »(٢).

وقال عليه السلام : **« ما عالَ مَنِ اقْتَصَد »**(٣).

إنّ من معالم الاقتصاد الإسلامي المنع من التبذير في المال ؛ لأنّ فيه تدميراً لاقتصاد الأمّة وفساداً للأخلاق ، وقد تحدّثنا عن ذلك بصورة شاملة في كتابنا : « العمل وحقوق العامل في الإسلام » .

وبهذا نطوي الحديث عن بعض ما أُثر عنه من الأخبار في الحثّ على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

مكارم أخلاقه

كان الإمام الكاظم عليه السلام من آيات الله العظام في مكارم أخلاقه ، وسموّ ذاته ،

---

(١) العمل وحقوق العامل في الإسلام : ١٤٠ .

(٢) و (٤) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٢٤٣ .

ومن مظاهر صفاته :

١ ـ الحلم

من صفات الإمام موسى عليه السلام الحلم ، فكان فيما أجمع عليه المؤرّخون مضرب المثل في حكمه وكظمه للغيظ ، فكان يعفو عن من ظلمه ومَن أساء إليه ، ولا يكتفِ بذلك ، وإنّما كان يحسن إليه ليمحو عنه روح الشرّ والأنانيّة ، وقد ذكر الرواة أنّ شخصاً من أحفاد عمر بن الخطّاب كان يسيئ للإمام ويبالغ في سبّه وشتمه وشتم جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فأراد بعض شيعته اغتياله ، فنهاهم الإمام عليه السلام ، ورأى أن يعالجه بغير ذلك ، فسأل عن مكانه ، فقيل له : إنّه يمتهن الزراعة في بعض نواحي المدينة ، فركب الإمام عليه السلام بغلته واتّجه صوبه ، ولم يجد الإمام مسلكاً سوى أن يطأ زرعه ، فصاح به العمري : « لا تطأ زرعنا » ، فلم يجد الإمام طريقاً يوصله إليه سواه ، ولمّا انتهى إليه جلس إلى جنبه وأخذ يلاطفه قائلاً له :

« كَمْ غَرِمْتَ في زَرْعِكَ هٰذا ؟ » .

« مائة دينار » .

« كَمْ تَرْجو أَنْ تُصيبَ مِنْه ؟ » .

« أنا لا أعلم الغيب » .

« إِنَّما قُلْتُ لَكَ : كَمْ تَرْجو أَنْ يَجيئَكَ مِنْه ؟ » .

« أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار » .

فأعطاه الإمام ثلاثمائة دينار ، وقال له :

« هٰذِهِ لَكَ ، وَزَرْعُكَ عَلىٰ حالِه » ، فتغيّر العمري ، وودّ أنّ الأرض قد وارته ولم يقابل الإمام بالسبّ والشتم ، وسارع نحو الجامع النبويّ ليعلن أمام النّاس توبته وأساه على ما فرّط في حقّ الإمام ، ولما انتهى إلى الجامع ، رفع العمري صوته قائلاً :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء ».

وبادر إليه أصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب ، فجعل يخاصمهم ويعرض عليهم مآثر الإمام عليه السلام ، وما قام به من اللطف والفضل تجاهه ، والتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم :

« أَيُّما كانَ خَيْراً : ما أَرَدْتُم أَمْ ما أَرَدْتُ مِنْ إِصْلاحِ أَمْرِه ؟ »(١).

ومن آيات حلمه أنّه اجتاز على جماعة من حسّاده ومبغضيه ، وكان فيهم ابن هياج ، فأوعز إلى بعض أصحابه أن يمسك بلجام بغلة الإمام ، ويدّعيها له ، فمضى الرجل إلى ما أُمر به ، فعرف الإمام غايته ، فنزل عن بغلته وأعطاها له(٢) ، لقد كان الإمام عليه السلام المربّي والمعلّم للأخلاق الفاضلة .

وكان الإمام عليه السلام يوصي أبناءه بالعفو والإحسان لمن أساء إليهم قائلاً :

« يا بَنِيَّ ، إِنّي أُوصيكُم بِوَصِيَّةٍ مَنْ حَفِظَها انْتَفَعَ بِها ، إِذا أَتاكُمْ آتٍ فَأَسْمَعَ أَحَدَكُمُ في الْأُذنِ الْيُمنىٰ مَكْروهاً ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْيُسْرىٰ فَاعْتَذَرَ لَكُم وَقالَ : إِنّي لَمْ أَقُلْ شَيْئاً ، فَاقْبَلوا عُذْرَه »(٣).

حكت هذه الوصيّة مدى حلمه وسعة خُلقه ، ومن الطبيعي أنّ هذا الخُلق الرفيع يوجب التآلف وشيوع المحبّة والمودّة بين النّاس .

٢ ـ كرمه وسخاؤه عليه السلام

كان الإمام موسى عليه السلام من أسخى النّاس ، وأكثرهم برّاً بالبؤساء والمحرومين ، وكان معظم فقراء المدينة يرتعون بنعمته وعطاياه ، وقد ذكر المؤرّخون جمهرة كبيرة

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٨ ـ ٢٩ . كشف الغمّة : ٢ : ٢٤٧ .

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ١٥٧ .

(٣) الفصول المهمّة / ابن الصبّاغ : ٢٢٠ .

ممّن أغدق عليهم الإمام بفيض كرمه منهم :

١ ـ محمّد البكري

كانت لمحمّد البكرى ديون على جماعة من أهالي المدينة ، فطالبهم فلم يستجب له أحد ، فرأى أن يتشرّف بمقابلة الإمام ويشكو إليه حاله ، فمضى لمقابلته ، فوجده في ضيعة له تسمّى « نقمى »[١] ، فقصده وبعد الالتقاء به عرض عليه حاجته ، وضيق حاله ، فأمر الإمام غلامه بالانصراف لئلا يرى الرجل ، فيكون عليه ذلّ السؤال ، ثمّ أعطاه صرّة فيها ثلثمائة دينار لعلّها كانت أكثر من ديونه ، وانصرف الرجل داعياً له بالخير وشاكراً نعمته عليه[٢] .

٢ ـ غلام زنجي

خرج الإمام موسى عليه السلام ومعه حاشيته وبعض أولاده إلى ضياعه الواقعة بساية[٣] ، وقبل أن يصل إليها استراحوا في بعض المناطق المجاورة لها ، وكان الوقت شديد البرد ، فخرج إليهم عبد زنجي وهو يحمل قدراً ، فوقف أمام غلمان الإمام فقال لهم :

« أين سيّدكم ؟ » .

« هو ذاك » وأشاروا إلى الإمام .

« أبو مَن يكنّى ؟ » .

« أبو الحسن » .

---

(١) **نقمى** ـ بالتحريك والقصر ـ من النقمة ، وهي العقوبة موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب ـ معجم البلدان : ٨ : ٣١٠ .

(٢) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٨ .

(٣) **ساية** : واد من حدود الحجاز فيه مزارع .

فوقف أمام الإمام متضرّعاً قائلاً:

« يا سيّدي ، هذه عصيدة أهديتها لك ».

فقبل الإمام هديّته ، وأمره بأن يضعها عند الغلمان ، فوضعها عندهم ثمّ انصرف ، ولم يلبث حتّى أقبل ومعه حزمة من الحطب وقال للإمام :

« يا سيّدي ، هذا حطب أهديته لك ».

فقبل الإمام هديّته ، وأمره أن يلتمس له قبساً من النّار ، فمضى وجاء به ، فأشعل الحطب ليقيهم البرد ، وأمر الإمام عليه السلام بكتابة اسم العبد واسم مولاه ، ثمّ رحلوا إلى الضياع ، فمكثوا فيها أيّاماً ، ثمّ اتّجهوا إلى بيت الله تعالى الحرام فاعتمروا وبعد الفراغ أمر الإمام غلامه أن يفتّش عن صاحب الخيمة ، ومضى ففتّش عنه حتّى ظفر به ، فسلّم عليه ، وسأله الرجل ـ وكان من الشيعة ـ عن قدوم الإمام ، فأبى أن يخبره ، وغلب على ظنّه تشريف الإمام إلى مكّة ، وقفل غلام الإمام راجعاً إلى الإمام ، وسار الرجل في أثره حتّى قدم على الإمام فسأله قائلاً:

« غُلامُكَ تَبيعُه ؟ ».

« جعلت فداك ، الغلام لك والضيعة ، وجميع ما أملك ».

« أَمّا الضَّيْعَةُ فَلا أُحِبُّ أَنْ أَمْلِكَها ».

وجعل الرجل يتضرّع إلى الإمام ويتوسّل إليه بقبول الضيعة ، والإمام يمتنع من إجابته ، وأخيراً اشترى الإمام الغلام مع الضيعة بألف دينار ، فأعتق الغلام ووهب له الضيعة ، كلّ ذلك ليجازي الإحسان بالإحسان ، ويقابل المعروف بالمعروف ، وقد وسّع الله تعالى على العبد ببركة الإمام ، وأصبح أبناؤه من أثرياء مكّة[1].

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٩. البداية والنهاية : ١٠ : ١٨٣.

٣ ـ عيسى بن محمّد

وكان من جملة الذين أغدق عليهم الإمام بمعروفه عيسى بن محمّد بن محمّد القرطبي ، فقد زرع بطيخاً وقثاء وقرعاً[١] ، فلمّا استوى الزرع هجم عليه الجراد فأتى عليه ، ولم يبق منه شيئاً ، وقد غرم على زرعه مع ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً ، فضاقت عليه الأرض ، وبينما هو يفكّر في أمره إذ طلع عليه الإمام موسى عليه‌السلام فسلّم عليه ، ثمّ قال له :

« **كَيْفَ حالُكَ ؟** » .

« أصبحت كالصريم[٢] بغتني الجراد فأكل زرعي » .

« **كَمْ غَرِمْتَ فيهِ ؟** » .

« مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين » .

فأمر عليه‌السلام بأن يعطى مائة وخمسين ديناراً ، فأُعطي ، وقال له :

« **رِبْحُكَ ثَلاثُونَ ديناراً مَعَ ثَمَنِ الْجَمَلَيْن** »[٣] .

٤ ـ فقير

وفد عليه فقير يطلب رفده ، فأراد الإمام عليه‌السلام اختباره ليكرمه على قدر معرفته ، فقال له :

« **لَوْ جُعِلَ لَكَ التَّمَنّي في الدُّنْيا ما كُنْتَ تَتَمَنّىٰ ؟** » .

« كنت أتمنّى أن أُرزق التقية في ديني وقضاء حقوق إخواني » .

فاستحسن الإمام جوابه ، وأمر أن يعطى ألف دينار[٤] .

---

(١) **القرع** : نوع من اليقطين.

(٢) **الصريم** : الأرض المحصود زرعها.

(٣) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٩ . كشف الغمّة : ٢ : ٢٤٣ .

(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما‌السلام : ١ : ١٥٤ .

هذه بعض مبرّاته للفقراء ، وقد حفلت مصادر التأريخ بأسماء جماعة ممّن أغدق عليهم الإمام بمعروفه .

٥ ـ صدقات السرّ

كان الإمام موسى عليه السلام يخرج في غلس الليل البهيم ، فيصل الفقراء ببرّه وإحسانه ، وهم لا يعلمون مَن الذي يصلهم ، وكان يصلهم بصراره التي تتراوح ما بين المائتي دينار إلى الأربعمائة دينار(١) .

وكان يُضرب المثل بصراره ، فكان أهله يقولون :

« عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلّة والفقر »(٢) .

وقد قامت هباته السرية ، وصلاته الخفيّة بإعاشة الفقراء الذين أغدق عليهم بإحسانه .

٦ ـ إطعام عامّ

وأطعم الإمام عليه السلام أهالي المدينة إطعاماً شاملاً ثلاثة أيام ، فعابه على ذلك بعض حسّاده ، فأجاب عليه السلام :

« ما آتَى اللهُ نَبِيّاً مِنْ أَنْبِيائِهِ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ آتىٰ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وزادَهُ ما لَمْ يُؤْتِهِم . قالَ تَعالىٰ لِسُلَيمانَ بْنَ داود: ﴿هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣)»(٤) .

وكان عليه السلام يقول :

« مِنْ موجِباتِ الْمَغْفِرَةِ إِطْعامُ الطَّعامِ »(٥) .

---

(١) كنز اللغة : ٧٦٦ . تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٨ .

(٢) عمدة الطالب : ١٨٥ .

(٣) ص ٣٨ : ٣٩ .

(٤) و (٥) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ١٥٥ .

٣ ـ زهده عليه السلام

تجرّد الإمام موسى عليه السلام تجرّداً كاملاً عن رغبات الدنيا وزخارفها ، وعاش في الدنيا عيشة الفقراء ، وقد تحدّث عن زهده إبراهيم بن عبدالحميد ، فقال : دخلت عليه في بيته الذي كان يصلّي فيه ، فإذا ليس في البيت شيء سوى خصفة ، وسيف معلّق ومصحف(١) .

ولم يكن زهده ناشئاً من الفقر ، فقد كان يملك البسرية وغيرها من الحقول الزراعية التي كانت تدرّ عليه بالأموال الطائلة ، كما كانت تجبى له الأموال الطائلة من الحقوق الشرعيّة ، إلّا أنّه كان ينفقها جميعاً في إعاشة الفقراء وخدمة الدين .

ومن معالم زهده أنّه كان يتلو على أصحابه سيرة الصحابي العظيم أبي ذرّ الغفاري الذي ضرب المثل الأعلى للزهد ونكران الذات .

قال عليه السلام :

« رَحِمَ اللهُ أَبا ذَرٍّ ، فَقَدْ كانَ يَقولُ : جَزَى اللهُ الدُّنْيا عَنّي مَذَمَّةً بَعْدَ رَغيفَيْنِ مِنَ الشَّعيرِ : أَتَغَذّىٰ بِأَحَدِهِما ، وَأَتَعَشّىٰ بِالْآخَرِ ، وَبَعْدَ شَمْلَتَيِ الصّوفِ أَتَّزِرُ بِإِحْداهُما وَأَتَرَدّىٰ بِالْآخَرِ »(٢) .

على هذا الخطّ سار الإمام موسى فطلّق دنياه ، ولم يحفل بها كجدّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

٤ ـ الإحسان إلى النّاس

من معالي أخلاق الإمام موسى عليه السلام الإحسان إلى النّاس وقضاء حوائجهم ،

---

(١) بحار الأنوار : ١١ : ٢٦٥ .

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ١٣٤ .

وقد أباح لعليّ بن يقطين الدخول في حكومة هارون التي هي غير شرعيّة لأجل قضاء حوائج النّاس، وقد اشتهرت كلمته: «كَفّارَةُ عَمَلِ السُّلْطانِ الْإِحْسانُ إِلَى الْإِخْوانِ»، وقد فزع إليه جماعة من المنكوبين والمظلومين، فكشف عنهم ما ألمّ بهم من ظلم الحكومة العبّاسي، كان منهم شخص من أهالي الري كانت عليه أموال طائلة للدولة، وهو لا يتمكّن من تسديدها، وهام في تيّارات من الفكر في كيفيّة خلاصه، سأل عن حاكم الري فأخبر أنّه من الشيعة، فطوت نيّته السفر إلى الإمام موسى عليه السلام يستجير به، فسافر إلى المدينة والتقى بالإمام عليه السلام، فعرض عليه ما هو عليه من المحنة، واستجاب له الإمام عليه السلام، فزوّده برسالة إلى والي الريّ جاء فيها بعد البسملة:

«اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ تَحْتَ عَرْشِهِ ظِلّاً لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا مَنْ أَسْدىٰ إِلىٰ أَخيهِ مَعْرُوفاً، أَوْ نَفَّسَ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ أَدْخَلَ عَلىٰ قَلْبِهِ سُرُوراً، وَهٰذا أَخوكَ، وَالسَّلام».

وأخذ الرسالة، وأخذ يجدّ في السير حتّى انتهى إلى الريّ، وقصد الحاكم ليلاً، فخرج إليه غلامه فقال له:

«مَن أنت؟».

«رسول الصابر موسى».

وهرع الغلام إلى مولاه فأخبره بذلك، فخرج الحاكم حافي القدمين، فعانقه وقبّل ما بين عينيه، وأخذ يسأله عن حال الإمام، ثمّ ناوله رسالة الإمام، فجعل يوسعها تقبيلاً، ولمّا قرأها استدعى بأمواله وثيابه فقاسمه في جميعها، وأعطاه قيمة ما لا يقبل القسمة، وهو يقول:

«يا أخي، هل سررتك؟».

«إي والله، وزدت على ذلك».

ثمّ استدعى السجل فشطب على جميع الديون التي عليه، وأعطاه براءة منها،

وخرج الرجل من عنده وقد غمرته الأفراح والمسرّات ، ورأى أن يجازيه على إحسانه فيمضي إلى بيت الله الحرام ويدعو له ، ويخبر الإمام عليه السلام بما أسداه عليه من المعروف والإحسان ، ولمّا أقبل موسم الحجّ مضى إليه ودعا للرجل في البيت الحرام ، ثمّ مضى إلى المدينة فالتقى بالإمام عليه السلام وأخبره بما أسداه عليه من البرّ واللطف ، فسّر الإمام سروراً بالغاً ، فقال الرجل للإمام :

« يا مولاي ، هل سرّك ذلك ؟ » .

« إي وَاللهِ لَقَدْ سَرَّني ، وَسَرَّ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، وَاللهِ لَقَدْ سَرَّ جَدّي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله ، وَلَقَدْ سَرَّ اللهَ تَعالىٰ » .

ودلّت هذه البادرة على مدى اهتمام الإمام عليه السلام بقضاء حوائج النّاس والإحسان إليهم[1] .

٥ ـ عتقه عليه السلام للعبيد

وظاهرة أُخرى من نزعات الإمام موسى عليه السلام الأخلاقيّة عتقه للعبيد وتحريرهم من رقّ العبوديّة ، فقد أعتق ـ فيما يقول الرواة ـ ألف مملوك[2] ، كلّ ذلك لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته .

٦ ـ الإنابة إلى الله عزّ وجلّ

أناب الإمام موسى عليه السلام إلى الله تعالى وانقطع إليه ، وتمسّك بحبل طاعته ، وهذه شذرات من إنابته إلى الله تعالى :

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

(٢) الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة / يوسف بن حاتم الشامي ، مخطوط في مكتبة السيّد الحكيم العامّة .

١ ـ بكاؤه عليه السلام من خشية الله تعالى

كان الإمام عليه السلام من أكثر المتّقين والعابدين خشية من الله تعالى ، وقد حدّث الرواة عن خوفه وخشيته من الله تعالى أنّه كان يبكي من خشيته تعالى حتّى تخضلّ كريمته من دموع عينيه[١] .

٢ ـ كثرة سجوده عليه السلام لله تعالى

روى الشيباني ، قال : كانت لأبي الحسن موسى في بضع عشر سنة سجدة في كلّ يوم بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال[٢] ، ولكثرة سجوده كانت له ثفنات في مواضع سجوده كثفنات البعير ، وكان له غلام يقصّها من جبينه وعرنين أنفه ، وفي ذلك قال بعض الشعراء :

طـالَتْ لِطولِ سُجودٍ منهُ ثَفِنَتُهُ ... فَـقَرّحتْ جَـبهةً مـنهُ وعِـرْنينا

رأىٰ فـراغَـتهُ فـي السِّجنِ مُنيتَهُ ... ونِعمةً شكـرَ البـاري بِـها حـينا[٣]

ودخل الجامع النبوي في أوّل الليل ، فسجد سجدة واحدة وهو يقول بخضوع وخشـوع : « **عَظُمَ الذَّنْبُ عِنْدي ، فَلْيَحْسُنِ الْـعَفْو عِـنْدَكَ ، يـا أَهْـلَ التَّـقوىٰ وَيـا أَهْـلَ الْمَغْفِرَةِ** » .

وجعل يردّد هذه الكلمات بإنابة وخشوع حتّى أصبح الصبح[٤] .

وحينما أودعه الطاغية هارون في سجن الربيع كان يطلّ من أعلى القصر فيرى ثوباً مطروحاً في مكان خاصّ من البيت لم يتغيّر عن موضعه ، فتعجّب من ذلك وقال

---

(١) كشف الغمّة : ٢ : ٢٤٧ .

(٢) بحار الأنوار : ١١ : ٢٩٨ .

(٣) الأنوار البهيّة : ٩٣ .

(٤) وفيات الأعيان : ٤ : ٢٩٣ . كنز اللغة : ٧٦٦ .

للربيع : « ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع ؟ » .

فقال له الربيع : « ما ذاك بثوب ، وإنّما هو موسى بن جعفر له في كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال » .

ويهر هارون وراح يبدي إعجابه بعبادة الإمام قائلاً :

« أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم » .

والتفت الربيع إلى هارون طالباً منه أن يطلق سراحه ولا يضيّق عليه في السجن قائلاً : « يا أمير المؤمنين ، ما لك قد ضيّقت عليه في الحبس ؟ » .

فأجابه هارون بعنف : « هيهات لا بدّ من ذلك ؟ »[١] .

إنّ حرص هارون على الملك ، وحبّه للدنيا قد صدّاه عن الطريق القويم ودفعاه إلى سجن الإمام وحرمان المسلمين من التمتّع بعلومه والاستفادة من مواهبه .

٣ ـ شغف الإمام عليه السلام بالعبادة

شغف الإمام عليه السلام بعبادة الله تعالى وطاعته حتّى صارت من مقوّماته ، وقد روت شقيقة السندي بن شاهك حينما سجن الإمام في بيت أخيها كيفيّة عبادة الإمام ، فقالت : « إنّه إذا صلّى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه إلى أن يزول الليل ، ثمّ يقوم ويصلّي حتّى يطلع الصبح ، فيصلّي الصبح ، ثمّ يذكر الله تعالى حتّى تطلع الشمس ، ثمّ يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثمّ يرقد ويستيقظ قبل الزوال ، ثمّ يتوضّأ ويصلّي حتّى يصلّي العصر ، ثمّ يذكر الله تعالى حتّى يصلّي المغرب ، ثمّ يصلّي ما بين المغرب والعتمة ، فكان هذا دأبه إلى أن مات »[٢] .

٤ ـ دعاؤه عليه السلام في السجن لتفرّغه للعبادة

ولمّا أودعه الطاغية هارون في السجن تفرّغ للعبادة ، فكان صائماً في النهار وقائماً

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ١٤٢ .

(٢) تاريخ أبي الفداء : ٢ : ١٢ .

في الليل ، وقد شكر الله تعالى على تفرّغه لطاعته قائلاً :

« اللّهُمَّ إِنّي طالَما كُنْتُ أَسْأَلُكَ أَنْ تُفَرِّغَني لِعِبادَتِكَ وَقَدِ اسْتَجَبْتَ مِنّي ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ ذلِكَ »(١) .

أرأيتم مدى طاعة الإمام عليه السلام لله تعالى ، فقد رأى السجن نعمة عليه ولطفاً من الله تعالى لتفرّغه لعبادته .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض مكارم أخلاق الإمام موسى عليه السلام التي هي دنيا من الفضائل والمآثر ، وهي تحكي أخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله والمثل الكريمة لأهل بيت النبوة ومعدن الحكمة والتقوى في دنيا الإسلام .

---

(١) وفيات الأعيان : ٤ : ٢٩٣ . مناقب آل أبي طالب : ٢ : ٣٧٩ .

الإمام الرضا عليه السلام

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام من كنوز العلم والحكمة في مواهبه وعبقريّاته ، ومن شموس أئمّة الهدى دعاة الإصلاح الاجتماعي في دنيا الإسلام ، وقد مثّل جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وآباءه الأئمّة الطيّبين في معالي أخلاقه ، وسموّ ذاته ، فكان صورة مشرقة عنهم في جميع مناحي حياته ، فقد اتّجه صوب الله تعالى ، وتجرّد تجرّداً كاملاً عن النزعات الماديّة التي مآلها إلى التراب .

ونعرض إلى ما أُثر عنه في الحثّ على مكارم الأخلاق ، ثمّ نذكر معالي أخلاقه التي هي من نفحات أخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله .

مكارم الأخلاق

أوصى الإمام الرضا عليه السلام بمعالي الأخلاق والتحلّي بها ، فإنّ الإنسان إنّما يكون إنساناً وخليفة لله تعالى في أرضه لا بصورته ، وأكله وشربه وغير ذلك من متع الحياة الدنيا ، وإنّما يكون إنساناً بما يحمله من القيم الكريمة ، والمثل العليا ، وهذه صور منها أدلى بها الرضا عليه السلام :

١ ـ التواضع

التواضع من الخصال الكريمة التي يشرف بها الإنسان ، وقد عرض له

الإمام عليه السلام بقوله :

« التَّواضُعُ أَنْ تُعْطِيَ النّاسَ ما تُحِبُّ أَنْ تُعْطاهُ »(١) .

حكى كلام الإمام حقيقة التواضع ، وهو أن يعطي الإنسان للناس من التكريم والتعظيم مثل ما يحبّ ويتمنّى أن يعطى لنفسه .

وكتب الإمام إلى محمّد بن سنان رسالة تحدّث فيها عن صور التواضع .

قال عليه السلام :

« التَّواضُعُ دَرَجاتٌ : مِنْها أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ قَدْرَ نَفْسِهِ فَيُنْزِلَها مَنْزِلَتَها بِقَلْبٍ سَليمٍ ، لا يُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ لِأَحَدٍ إِلّا مِثْلَ ما يُؤْتىٰ إِلَيْهِ ، إِنْ أَتىٰ بِسَيِّئَةٍ إِلَيْهِ دَرَأَها(٢) **بِالْحَسَنَةِ ، كاظِمُ الْغَيْظِ ، عافٍ عَنِ النّاسِ ، وَاللهُ تَعالىٰ يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ »**(٣) .

إنّ هذا اللون من التواضع دليل على شرف النفس وسموّها وكمالها ، وهو من صفات الأفذاذ الذين بلغوا قمّة الشرف والكمال .

٢ ـ خيار النّاس

تحدّث الإمام عن خيار النّاس وأشرافهم قال فيهم : **« الَّذينَ إِذا أَحْسَنوا اسْتَبْشَروا ، وَإِذا أَساؤوا اسْتَغْفَروا ، وَإِذا أُعْطوا شَكَروا ، وَإِذا ابْتُلوا صَبَروا ، وَإِذا غَضِبوا عَفَوا »**(٤) .

حقّاً انّ من يتّصف بهذه الصفات الكريمة فهو من خيار النّاس ومن أشرافهم وعيونهم .

---

(١) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام : ٢ : ٦٩ .

(٢) **درأها** : دفعها .

(٣) الدرّ النظيم : الورقة ٢١٦ .

(٤) تحف العقول : ٤٤٥ .

٣ ـ التبسّم في وجه المؤمن

من الأخلاق الكريمة التي أوصى بها الإمام عليه السلام التبسّم في وجه المؤمن.

قال عليه السلام:

« مَنْ تَبَسَّمَ في وَجْهِ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ كَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَةً ، وَمَنْ كَتَبَ لَهُ حَسَنَةً لَمْ يُعَذِّبْهُ اللهُ »[١].

٤ ـ التودّد إلى النّاس

حثّ الإمام عليه السلام على التودّد إلى النّاس ؛ لأنّ فيه ربطاً وثيقاً بين المسلمين.

قال عليه السلام:

« التَّوَدُّدُ إِلَى النّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ »[٢].

٥ ـ المساواة في السلام

أوصى الإمام عليه السلام أصحابه بالمساواة بالسلام بين الغني والفقير قائلاً:

« مَنْ لَقِيَ فَقيراً مُسْلِماً فَسَلَّمَ عَلَيْهِ خِلافَ سَلامِهِ عَلَى الْغَنيِّ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبان »[٣].

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم قادة الإسلام وحماته الذين يحكون واقعه وجوهره الذي منه المساواة العادلة بين جميع المسلمين من دون تمييز بعضهم على بعض إلّا بالتقوى.

---

(١) وسائل الشيعة: ٨: ٤٨٣.

(٢) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: ٢: ٨٢.

(٣) وسائل الشيعة: ٨: ٤٤٢.

٦ـ أفضل العقل

تحدّث الإمام عليه السلام عن أفضل ما يتصوّره العقل، قال:

«أَفْضَلُ الْعَقْلِ مَعْرِفَةُ الْإِنْسانِ نَفْسَه»(١).

إنّ من معالي أخلاق الإنسان، ومن نضوج فكره أن يعرف نفسه، كيف صوّرت أجهزتها العجيبة من العقل والسمع والبصر وغير ذلك من مكوّناتها، وفي الحديث: **«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»**.

إنّ معرفة الإنسان لنفسه تبعده عن مآثم الحياة، وتصدّه عن الشرّ، وتهديه للتي هي أقوم.

٧ـ التفكّر في أمر الله تعالى

من تمام الإيمان التفكير في أمر الله تعالى. قال عليه السلام:

«لَيْسَتِ الْعِبادَةُ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، إِنَّما الْعِبادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ في أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

إنّ التفكّر في مخلوقات الله تعالى، والتأمّل في بدائع خلقه، والنظر فيما يحتويه هذا الكون من الأسرار والعجائب يدلّل على عظمة الخالق العظيم، وإذا آمن الإنسان بوجود ربّه، فقد كملت أخلاقه وابتعد عن كلّ إثم وشرّ.

٨ـ محاسبة النفس

دعا الإمام عليه السلام إلى محاسبة الإنسان لنفسه، والنظر في أعماله، فإن كانت

---

(١) أعيان الشيعة: ٤: ١٩٦، القسم الثاني.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٨: ٣٦٩. وسائل الشيعة: ١١: ١٥٣.

حسنة استزاد منها ، وإن كانت سيّئة تاب منها . قال عليه السلام :

« مَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْها خَسِرَ »(١) .

إنّ من مكارم أخلاق الإنسان أن يحاسب نفسه فيما يعمله من خير أو شرّ ، فإن حاسبها ربح ، ومن أهملها فإنّها تهبط به إلى مستوى سحيق ما له من قرار .

٩ ـ تماميّة العقل

تحدّث الإمام عن تماميّة العقل وكماله . قال عليه السلام :

« لَا يَتِمُّ عَقْلُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ حَتّىٰ يَكُونَ فيهِ عَشْرُ خِصالٍ : الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ ، يَسْتَكْثِرُ قَليلَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَيَسْتَقِلُّ كَثيرَ الْخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ ، لَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الْحَوائِجِ إِلَيْهِ ، وَلَا يَمَلُّ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طُولَ دَهْرِهِ ، الْفَقْرُ في اللهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنىٰ ، وَالذُّلُّ في اللهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ في عَدُوِّهِ ، وَالْخُمولُ أَشْهىٰ إِلَيْهِ مِنَ الشُّهْرَةِ » .

ثمّ قال : **« الْعاشِرَةُ وَما الْعاشِرَةُ ؟ »** .

فقيل له : « وما هي ؟ » .

قال عليه السلام : **« لَا يَرىٰ أَحَداً إِلَّا قالَ : هُوَ خَيْرٌ مِنّي وَأَتْقىٰ ، إِنَّما النّاسُ رَجُلانِ : رَجُلٌ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقىٰ ، وَرَجُلٌ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنىٰ ، فَإِذا لَقِيَ الَّذي هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنىٰ قال : لَعَلَّ خَيْرَ هٰذا باطِنٌ وَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَخَيْري ظاهِرٌ وَهُوَ شَرٌّ لي ، وَإِذا رَأَى الَّذي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقىٰ تَواضَعَ لَهُ لِيَلْحَقَ بِهِ ، فَإِذا فَعَلَ ذٰلِكَ فَقَدْ عَلا مَجْدُهُ ، وَطابَ خَيْرُهُ ، وَحَسُنَ ذِكْرُهُ ، وَسادَ أَهْلَ زَمانِه »**(٢) .

---

(١) أصول الكافي : ٢ : ١١١ .

(٢) تحف العقول : ٤٤٣ .

إنّ من يتحلّى بهذه الصفات الكريمة فقد كملت أخلاقه وسمت نفسه ، وكان على اتّصال وثيق بالله تعالى الذي بيده جميع مجريات الأمور والأحداث .

١٠ - من وصيّة له عليه السلام

أوصى الإمام عليه السلام أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، بوصيّة حفلت بمكارم الأخلاق ، كان منها :

« لَا تَمُلَّ الدُّعاءَ فَإِنَّهُ مِنَ اللهِ بِمَكانٍ ، وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ ، وَطَلَبِ الْحَلَالِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَإِيّاكَ وَمُكاشَفَةَ النّاسِ ، فَإِنّا أَهْلُ بَيْتٍ نَصِلُ مَنْ قَطَعنا ، وَنُحْسِنُ إِلىٰ مَنْ أَساءَ إِلَيْنا ، فَنَرىٰ وَاللهِ في ذٰلِكَ الْعاقِبَةَ الْحَسَنَة »(١) .

إنّ بنود هذه الوصيّة من أُمّهات الفضائل ومعالي الأخلاق ، ومن اخذ بها وطبّقها على واقع حياته فقد تحلّى بالأخلاق العالية والآداب الرفيعة .

١١ - شكر المنعم

من آداب أئمّة أهل البيت عليهم السلام الحثّ على شكر المنعم والمحسن من عامّة النّاس .

قال الإمام الرضا عليه السلام :

« مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمُنْعِمَ مِنَ الْمَخْلُوقينَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ »(٢) .

إنّ شكر المنعم والمحسن واجب ، وذلك لإشاعة الخير والمعروف ، فمن لم يشكره وألقى الستار على إحسانه لم يشكر الله تعالى على نعمه وألطافه .

---

(١) وسائل الشيعة : ٤ : ١٢٩ .

(٢) وسائل الشيعة : ١١ : ٥٤٢ .

١٢ ـ خصال كريمة

تحدّث الإمام عليه السلام عن بعض الخصال الكريمة. قال:

«خَمْسٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فيهِ فَلا تَرْجوهُ لِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ: مَنْ لَمْ تَعْرِفِ الوَثاقَةَ في أُرومَتِهِ، وَالْكَرَمَ في طِباعِهِ، وَالرَّصانَةَ في خُلْقِهِ، وَالنُّبْلَ في نَفْسِهِ، وَالْمَخافَةَ لِرَبِّهِ»[١].

إذا تسلّح الإنسان بهذه الخصال الكريمة فقد سمت نفسه وارتقت أسمى مراتب الشرف والكمال.

١٣ ـ صلة الأرحام

من معالي الأخلاق التي أكّد عليها الإمام صلة الأرحام، وقد أُثرت عنه كوكبة من الأحاديث فيها، كان منها:

١ ـ قال عليه السلام: **«الرَّجُلُ يَصِلُ رَحِمَهُ فَيَكُونَ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ ثَلاثُ سِنينَ، فَيُصَيِّرُها اللهُ ثَلاثينَ سَنَةً، وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاء»**[٢].

٢ ـ قال عليه السلام: **«ما نَعْلَمُ شَيْئاً يَزيدُ في الْعُمُرِ إِلَّا صِلَةَ الرَّحِمِ، حَتّىٰ أَنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ أَجَلُهُ ثَلاثَ سِنينَ فَيَكُونَ وَصولاً لِلرَّحِمِ فَيَزيدُ اللهُ في عُمُرِهِ ثَلاثينَ سَنَةً، فَيَجْعَلُها ثَلاثاً وَثَلاثينَ سَنَةً، وَيَكُونُ أَجَلُهُ ثَلاثاً وَثَلاثينَ سَنَةً فَيَكُونُ قاطِعاً لِلرَّحِمِ فَيُنْقِصَهُ اللهُ ثَلاثينَ سَنَةً، وَيَجْعَلُ أَجَلَهُ ثَلاثَ سِنين»**[٣].

٣ ـ قال عليه السلام: قال أبو عبدالله عليه السلام: **«صِلْ رَحِمَكَ وَلَوْ بِشَرْبَةِ ماءٍ، وَأَفْضَلُ**

---

(١) تحف العقول: ٤٤٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١٥: ٢٤٣.

(٣) المصدر المتقدّم: ٢٤٥.

ما توصَلُ بِهِ الرَّحِمُ كَفُّ الْأَذىٰ عَنْهُ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ مَنْساةٌ في الْأَجَلِ مَحَبَّةٌ في الْأَهْلِ »(١) .

إنّ صلة الرحم توجب ترابط المجتمع وتضامنه ، وهما من أهمّ القيم التي دعا إليها الإسلام .

١٤ ـ عون الضعيف

من أخلاق الإمام التي دعا إليها عون الضعيف . قال عليه السلام :

« عَوْنُكَ لِلضَّعيفِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ »(٢) .

١٥ ـ الفرج عن المؤمن

من الأعمال الصالحة والخُلق الكامل الفرج عن المؤمن إذا وقع في محنة . قال عليه السلام :

« مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ »(٣) .

وبهذا النزر اليسير من كلماته عليه السلام في مكارم الأخلاق ، وما يتّصل بها نطوي الحديث .

مكارم أخلاقه

أمّا أخلاق الإمام الرضا عليه السلام ، فإنّها صورة مشرقة عن أخلاق جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعث ليتمّم مكارم الأخلاق ، وينقذ الإنسان من أوحال الجاهليّة وأوثانها ،

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ١٥١ .

(٢) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام : ٢ : ٨٢ .

(٣) وسائل الشيعة : ١٢ : ٥٨٧ .

وهكذا كان الإمام الرضا عليه السلام في سموّ أخلاقه المثل الأعلى لكلّ ما جاء به جدّه صلى الله عليه وآله من القيم الكريمة والمثل العليا، وهذه شذرات من قيم أخلاقه.

كلمة جامعة عن أخلاق الإمام عليه السلام

وتحدّث إبراهيم بن العبّاس عن مكارم أخلاق الإمام عليه السلام بكلمة جامعة جاء فيها: «ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام؛ ما جفا أحداً قطّ، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدّ رجليه بين جليسه، ولا اتّكأ قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا قهقه في ضحكه، وكان يجلس على مائدته مماليكه ومواليه، قليل النوم بالليل، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى آخرها، كثير المعروف والصدقة، وأكثر ذلك في الليالي المظلمة»(١).

حكت هذه الكلمات ما اتّصف به الإمام عليه السلام من مكارم الأخلاق، وهي:

١ - إنّه لم يجفو أحداً من النّاس، سواءً أكانوا من أحبّائه أم من أعدائه، وإنّما كان يقابلهم ببسمات فيّاضة بالبشر.

٢ - إنّه لم يقطع على أي أحد كلامه، وإنّما يتركه حتّى يستوفي حديثه.

٣ - إنّه لم يمدّ رجليه بين جليسه، وإنّما يجلس معه متأدّباً.

٤ - إنّه لم يتّكئ قبل جليسه، وإنّما يتّكئ بعده احتراماً له.

٥ - إنّه لم يشتم أي أحد من مماليكه ومواليه وإن أساءوا له.

٦ - إنّه لم يترفّع على مواليه ومماليكه، وكان يجلس معهم على مائدة الطعام.

٧ - كان كثير العبادة، وكان ينفق لياليه بالصلاة وتلاوة كتاب الله تعالى.

٨ - كان كثير المعروف، والصدقة على الفقراء والبؤساء، وكانت صلاته لهم في

---

(١) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام: ٣٧.

غلس الليل لئلا يعرفه أحد .

هذه بعض مكارم أخلاقه التي شاهدها إبراهيم بن العبّاس ، وهي تضارع أخلاق آبائه عليهم السلام الذين فجّروا ينابيع العلم والحكمة في الأرض .

لمحات من أخلاقه عليه السلام

تحدّث المؤرّخون عن بوادر كثيرة من مكارم أخلاقه ، كان منها :

١ ـ إنّه لمّا تقلّد ولاية العهد ، وهي أرقى منصب في الدولة العبّاسيّة الممتدّة الأطراف في معظم أنحاء الأرض ، لم يأمر عليه السلام أحداً من مواليه وخدمه في الكثير من شؤونه ، وإنّما كان يقوم بنفسه في خدمة نفسه ، وقد احتاج إلى الحمّام ، فكره أن يأمر أحداً بتهيئته له ، ومضى إلى حمّام البلد ، ولم يكن صاحبه يظنّ أنّ وليّ العهد يأتي إلى حمّام البلد ، فإنّ حمامات الملوك في قصورهم ، ولمّا دخل الإمام إلى الحمّام بصر به جندي لا يعرفه ، فأمره أن يصبّ الماء على رأسه ، وينظّفه ، ففعل الإمام ذلك ، ودخل الحمّام رجل كان يعرف الإمام عليه السلام ، فرآه يقوم بتنظيف الجندي ، فصاح به : « هلكت ، أتستخدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله » ، فذعر الجندي وأقبل على الإمام متضرّعاً قائلاً : « يا بن رسول الله ، هلّا عصيتني إذ أمرتك ؟ » .

فتبسّم الإمام وقال له بلطف ورفق :

« إِنّها لَمَثوبَةٌ ، وَما أَرَدْتُ أَنْ أَعْصيكَ فيما أُثابُ عَلَيْه »(١) .

أرأيتم هذه النفس الملائكيّة التي ضارعت الأنبياء في سموّ أخلاقهم ونكران ذواتهم .

٢ ـ ومن سموّ أخلاقه أنّه إذا جلس على مائدته أجلس عليها مماليكه حتّى

---

(١) نور الأبصار : ١٣٨ . عيون التواريخ : ٣ : ٢٢٧ .

السايس والبوّاب[١]، وقد ضرب بذلك مثلاً لإلغاء التمايز بين النّاس، وأنّهم جميعاً على صعيد واحد لا فرق لأحد منهم على الآخر.

٣ ـ ومن عظيم أخلاقه ما حدّث به إبراهيم بن العبّاس، قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول:

« حَلَفْتُ بِالْعِتْقِ، وَلَا أَحْلِفُ بِالْعِتْقِ إِلَّا عَتَقْتُ رَقَبَةً، وَأَعْتَقْتُ بَعْدَها جَميعَ ما أَمْلِكُ إنْ كانَ يَرىٰ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ هٰذا » وأشار إلى عبد أسود من غلمانه **« إذا كانَ ذٰلِكَ بِقَرابَتي مِنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إلَّا أَنْ يَكُونَ لي عَمَلٌ صالِحٌ فَأَكونَ أَفْضَلَ بِهِ مِنْه »**[٢].

٤ ـ قال له رجل:

« والله ما على وجه الأرض أشرف منك ».

فأجابه الإمام قائلاً: **« التَّقْوىٰ شَرَّفَتْهُم، وَطاعَةُ اللهِ أَحْظَتْهُم »**[٣].

قال له رجل: « أنت والله خير النّاس ».

فردّ عليه الإمام قائلاً:

« يا هذا، خَيْرٌ مِنّي مَنْ كانَ أَتْقىٰ لِلّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَطْوَعَ لَهُ، وَاللهِ ما نُسِخَتْ هٰذِهِ الآيَةُ ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٤] »[٥].

وهكذا كان الإمام عليه السلام قد تنكّر لجميع مظاهر العظمة والتفوّق على خلق الله تعالى، وهذه هي سيرة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة آبائه العظام الذين أعرضوا عن زهو الدنيا وفخرها.

---

(١) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام: ١: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٢: ٢٨.

(٣) و (٥) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام: ١: ٣٣.

(٤) الحجرات ٤٩: ١٣.

١ ـ زهده عليه السلام

من ذاتيّات الإمام الرضا عليه السلام الزهد في الدنيا، والإعراض عن مباهجها وزينتها، ومن مظاهر زهده ما رواه محمّد بن عبّاد، قال: كان جلوس الرضا عليه السلام على حصير في الصيف، وعلى مسح[١] في الشتاء، ولباسه الغليظ من الثياب، حتّى إذا برز للنّاس تَزَيَّنَ لهم[٢].

وقد التقى به سفيان الثوري فرآه قد لبس ثوباً من الخزّ، فأنكر عليه ذلك، وقال له: «لو لبست ثوباً أدنى من هذا؟».

فأخذ الإمام يده برفق، وأدناها من كمّه، فإذا تحت ذلك الثوب مسح، وقال عليه السلام له: «**الْخَزُّ لِلْخَلْقِ، وَالْمِسْحُ لِلحَقّ**»[٣].

لقد كان الزهد في الدنيا من أبرز أخلاق الإمام عليه السلام، وكان من مظاهر زهده أنّه لمّا تقلّد ولاية العهد لم يحفل بأي مظهر من مظاهر السلطة، ولم يرغب بأيّ مظهر من مظاهر العظمة.

٢ ـ سخاؤه عليه السلام

أمّا السخاء فهو طبيعة متأصّلة في أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فلا تقرأ سيرة أحد منهم إلّا تجده نديّ الكفّ، بارّاً بالفقراء، محسناً للضعفاء، أمّا الإمام الرضا عليه السلام فكان أحبّ شيء له في الدنيا البرّ بالفقراء، وقد ذكر المؤرّخون بوادر كثيرة من جوده وكرمه، كان منها:

---

(١) **المسح**: الكساء من الشّعر.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٧٨. مناقب آل أبي طالب: ٤: ٣٦٠.

(٣) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام: ٣٧.

١ ـ إنّه أنفق جميع ما كان عنده على الفقراء في يوم عرفة حينما كان في خراسان ، فأنكر عليه الفضل بن سهل ، وقال :

« إنّ هذا المغرم ؟ » .

فأجابه الإمام :

« بَلْ هُوَ المَغْنَمُ ، لا يُعَدُّ مَغْرَماً ما ابْتَغَيْتَ بِهِ أَجْراً وَكَرَماً »[١] .

إنّ إنفاق المال في سبيل الله تعالى ليس مغرماً عند الإمام ، وإنّما هو مغنم يتقرّب به إلى الله تعالى ، وهذا هو المغنم الذي فيه الخير العميم .

٢ ـ ومن بوادر كرمه أنّ رجلاً سلّم عليه وقال له : أنا رجل من محبّيك ومحبّي آبائك ، ومصدري من الحجّ ، وقد نفدت نفقتي ، وما معي من الحجّ ما أبلغ به مرحلة ، فإن رأيت أن ترجعني إلى بلدي ، فإذا بلغت تصدّقت بالذي تعطيني عنك ، فقال له :

« اجْلِسْ يَرْحَمُكَ اللهُ » ، وأقبل على النّاس يحدّثهم حتّى تفرّقوا ، وبقي الإمام ومعه سليمان الجعفري ، فاستأذن منه الإمام ودخل الدار ، ثمّ خرج وصاح للخراساني ، فقام إليه وقال له :

« خُذْ هٰذِهِ المائَتي دينارٍ وَاسْتَعِنْ بِها في مَؤونَتِكَ وَنَفَقَتِكَ ، وَلَا تَتَصَدَّقْ بِها عَنّي » ، وانصرف الرجل وقد غمرته نعمة الإمام عليه السلام وانبرى سليمان الجعفري فقال للإمام :

« جعلت فداك ، لقد أجزلت للخراساني ورحمت ، فلماذا سترت وجهك عنه ؟ » .

فأجابه :

« وَإِنَّما صَنَعْتُ ذٰلِكَ مَخافَةَ أَنْ أَرىٰ ذُلَّ السُّؤالِ في وَجْهِهِ ، لِقَضائي حاجَتَهُ ،

(١) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام : ٣٠.

أما سَمِعْتَ حَديثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : الْمُتَسَتِّرُ بِالْحَسَنَةِ تَعْدِلُ سَبْعينَ حِجَّةً ، وَالْمُذيعُ بالسَّيِّئَةِ مَخْذُولٌ ، أَما سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

مَتىٰ آتِهِ يَوماً لأَطلبَ حاجةً رَجعتُ إِلىٰ أَهلي ووَجهي بمائِهِ »[1]

٣ ـ ومن كرمه أنّ فقيراً قصده وقال له :

« أعطني على قدر مروءتك ؟ » .

« لَا يَسَعُني ذلِكَ » .

إنّ مروءة الإمام لا حدّ لها ، والتفت الفقير إلى ذلك فقال له :

« أعطني على قدر مروءتي ؟ » .

وقابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً:

« إِذَنْ نَعَم » .

وأمر له الإمام بمائتي دينار[2] .

٤ ـ ومن برّه وكرمه أنّه إذا أتى بصحفة طعام يأمر بها إلى المساكين ويتلو قوله تعالى : ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** ﴾[3] ، ويقول :

« عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَيْسَ كُلُّ إِنسانٍ يَقْدِرُ عَلىٰ عَتْقِ رَقَبَةٍ ، فَجَعَلَ لَهُ السَّبيلَ إِلىٰ الْجَنَّةِ »[4] .

٥ ـ ومن معالي إحسانه ومعروفه ما رواه أحمد بن عبيدالله عن الغفاري ، قال : كان لرجل من آل أبي رافع مولى رسول الله ﷺ عليَّ حقّ فتقاضاني ، وألحّ عليَّ ، فلمّا

---

(١) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه‌السلام : ١ : ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٣٦١.

(٣) البلد ٩٠ : ١١.

(٤) بحار الأنوار : ١٢ : ٢٨.

رأيت ذلك صلّيت صلاة الصبح في مسجد رسول الله ﷺ ثمّ توجّهت إلى الإمام الرضا عليه‌السلام ، وكان في العريض ، فخرج وعليه قميص ورداء ، فلمّا نظرت إليه استحييت منه ، فوقف وكان ذلك في شهر رمضان ، فقلت له :

جعلت فداك ، إنّ لمولاك عليَّ حقّ ، وقد شهرني ، فأمرني بالجلوس ، فلم أزل في ذلك المكان حتّى صلّيت المغرب وأنا صائم ، فأردت الانصراف فلم ألبث حتّى طلع عليَّ الإمام ، وقد أحاط به الفقراء ، وهو يتصدّق عليهم ، ثمّ أمرني بالدخول إلى منزله فدخلت ، وقال لي :

« ما أَظُنُّ أَنَّكَ أَفْطَرْتَ » .

فقلت : « لا » .

فدعا بطعام ، فأفطرت ، وبعد الفراغ أمرني أن أرفع الوسادة وآخذ ما تحتها من المال ، فرفعتها فإذا فيها دنانير ، فوضعتها في كمّي وقفلت راجعاً إلى داري ، فدعوت بالسراج فجيء به ، فحسبت الدنانير فإذا بها ثمانية وأربعون ديناراً ، وكان حقّ الرجل عليَّ ثمانية وعشرين ديناراً ، وقد كتب على دينار منها : أنّ حقّ الرجل عليك ثمانية وعشرون ديناراً ، وما بقي لك(١) .

هذه بعض البوادر من كرمه ، وهي ترينا أنّه خُلق للبرّ والمعروف والإحسان إلى النّاس .

٣ ـ تكريمه عليه‌السلام للضيوف

من مكارم أخلاق الإمام الرضا عليه‌السلام الإحسان إلى الضيوف والبرّ بهم ، وكان بنفسه يتولّى خدماتهم ، وقد استضافه شخص ، فكان الإمام يحدّثه ، فتغيّر السراج ، فأراد الضيف إصلاحه ، فوثب الإمام عليه‌السلام وأصلحه ، وقال لضيفه :

---

(١) بحار الأنوار : ١٢ : ٢٨ .

« إِنّا قَوْمٌ لا نَسْتَخْدِمُ أَضْيافَنا »[١].

٤ ـ عتقه عليه السلام للعبيد

من مبرّات الإمام عليه السلام عتقه للعبيد وتحريرهم من رقّ العبوديّة ، ويقول الرواة : إنّه أعتق ألف مملوك[٢].

٥ ـ الإحسان للعبيد

كان الإمام عليه السلام كثير البرّ والإحسان للعبيد ، ومن برّه بهم ما رواه عبدالله بن الصلت عن رجل من أهل بلخ ، قال : كنت مع الرضا في سفره إلى خراسان ، فدعا بمائدة جمع عليها مواليه من السودان وغيرهم ، فقلت له :

« جعلت فداك ، لو عزلت لهؤلاء مائدة ؟ » .

فقد أراد الرجل أن لا يجلس الإمام مع السودان ويتناول معهم الطعام ، فأجابه الإمام قائلاً : **« إِنَّ الرَّبَّ تَبارَكَ وَتَعالىٰ واحِدٌ ، وَالْأُمُّ واحِدَةٌ ، وَالْجَزاءُ بِالْأَعْمالِ »**[٣].

إنّ سيرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام جميعاً كانت تهدف إلى إلغاء التمايز العنصري بين النّاس ، وأنّهم جميعاً في معدن واحد لا يفضل بعضهم على بعض إلّا بالتقوى وعمل الخير .

٦ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ

انقطع الإمام عليه السلام إلى الله تعالى ، وأناب إليه وتمسّك بطاعته ، وقد مثّلت عبادته جانباً كبيراً من حياته الروحيّة التي هي نور وورع وتقوى ، يقول بعض شيعته :

---

(١) بحار الأنوار : ١٢ : ٢٨ .

(٢) الاتحاف بحبّ الأشراف : ٢٥٨ .

(٣) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام : ١ : ٣٧ .

« ما رأيته قطّ إلّا ذكرت قوله تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[١].

يقول الشبراوي : « إنّه كان صاحب وضوء وصلاة ، وكان في ليله كلّه يتوضّأ ويصلّي ويرقد ، وهكذا إلى الصباح »[٢].

إنّ الإمام عليه السلام كان أتقى أهل زمانه وأكثرهم عبادة وطاعة لله تعالى ، اسمعوا ما رواه ابن أبي الضحّاك عن عبادة الإمام ، وكان المأمون قد بعثه إلى الإمام ليأتي به إلى خراسان ، وقد صحبه من المدينة إلى مرو ، قال :

« والله ما رأيت رجلاً أتقى لله تعالى منه ، ولا أكثر ذكراً له منه ، ولا أشدّ خوفاً لله عزّ وجلّ منه ، كان إذا أصبح صلّى الغداة ، فإذا سلّم جلس في مصلّاه يسبّح الله تعالى ويحمده ويكبّره ويهلّله ويصلّي على النبيّ وآله حتّى تطلع الشمس ، ثمّ يسجد سجدة يبقى فيها حتّى يتعالى النهار ، ثمّ يقبل على النّاس يحدّثهم ويعظهم إلى قرب الزوال ، ثمّ جدّد وضوءه وعاد إلى مصلّاه ، فإذا زالت الشمس قام وصلّى ستّ ركعات يقرأ في الركعة الأُولى : الحمد وقل يا أيّها الكافرون ، وفي الثانية : الحمد وقل هو الله أحد ، ويقرأ في الأربع في كلّ ركعة الحمد وقل هو الله أحد ويسلّم ، وفي كلّ ركعتين يقنت في الثانية قبل الركوع ، ثمّ يؤذّن ثمّ يصلّي ركعتين ، ثمّ يقيم ويصلّي الظهر ، فإذا سلّم سبّح الله تعالى وحمده وكبّره وهلّله ما شاء الله ، ثمّ يسجد سجدة الشكر ، ويقول فيها مائة مرّة : شكراً لله ، فإذا رفع رأسه قام فصلّى ست ركعات ، يقرأ في كلّ ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد ، ويسلّم في كلّ ركعتين ويقنت في الثانية قبل الركوع ، ثمّ يؤذن ثمّ يصلّي ركعتين ويقنت في الثانية ، فإذا سلّم قام وصلّى العصر ، فإذا سلّم جلس في مصلّاه يسبّح الله ويحمده ويكبّره ويهلّله ، ثمّ يسجد سجدة يقول فيها مائة مرّة حمداً لله ، فإذا غابت الشمس توضّأ وصلّى المغرب

---

(١) الذاريات ٥١ : ١٧. حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام : ١ : ٤٢.
(٢) الاتحاف بحبّ الأشراف : ٥٩.

ثلاثاً بأذان وإقامة ».

ويأخذ رجاء بن أبي الضحّاك في تفصيل عبادة الإمام عليه‌السلام فريضة ونوافلاً، وما يقرأ فيهما من سور القرآن الكريم والتعقيبات التي يأتي بها، ومعنى روايته أنّ الإمام عليه‌السلام كان مشغولاً بذكر الله تعالى في معظم أوقاته، فقد كان عملاقاً من عمالقة التقوى والإيمان، وسرى حبّ الله والخوف منه في جميع عناصره ومقوّماته(١).

شذرات من أدعيته عليه‌السلام

وقبل أن نطوي الحديث عن مكارم أخلاق الإمام الرضا عليه‌السلام نعرض إلى بعض أدعيته التي تحكي عبادته وتقواه، وهي:

١ - قال عليه‌السلام:

« يا مَنْ دَلَّني عَلىٰ نَفْسِهِ، وَذَلَّلَ قَلْبي بِتَصْديقِهِ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ وَالْإيمانَ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ »(٢).

وحفل هذا الدعاء على إيجازه بظاهرة مهمّة من ظواهر التوحيد، وهي أنّ الله تعالى دلّل على ذاته وعرف نفسه لخلقه، وذلك بما أبدعه في هذا الكون من مظاهر العجائب والغرائب التي تنادي كلّها بوجوده تعالى.

٢ - من أدعيته هذا الدعاء:

« اللّٰهُمَّ اَعْطِنِي الْهُدىٰ، وَثَبِّتْني عَلَيْهِ، وَاحْشُرْني عَلَيْهِ، آمِناً أَمْنَ مَنْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ، وَلاَ حُزْنَ وَلَا جَزَعَ، إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ »(٣).

---

(١) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما‌السلام: ١: ٤٢ - ٤٤.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ٥٧٩.

(٣) أعيان الشيعة: ٤: ١٩٧، القسم الثاني.

حكى هذا الدعاء طلب الهداية والانقياد الكامل إلى الله تعالى الذي هو من أعلى درجات المقرّبين والمنيبين إلى الله تعالى.

٣ ـ من أدعيته في قنوت صلاته هذا الدعاء:

«اللّهُمَّ صَلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، اللّهُمَّ اهْدِنا فيمَنْ هَدَيْت، وَعافِنا فيما عافَيْتَ، وَتَولَّنا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبارِكْ لَنا فيما أَعْطَيْتَ، وَقِنا شَرَّ ما قَضَيْتَ، فَإنَّكَ تَقْضي وَلَا يُقْضىٰ عَلَيْك، إنَّهُ لَا يَذلّ مَنْ والَيْتَ، وَلَا يعزّ مَنْ عادَيْتَ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ»[1].

إنّ جميع مجريات الأحداث بيده تعالى، فهو الذي يُعِزّ ويُذِلّ، وهو يهدي إلى طريق الحقّ، وهو الذي يدفع البلاء المبرم، وينقذ الإنسان من ويلات الأيّام وشرورها.

هذه بعض أدعيته، وقد ذكرنا كوكبة منها في كتابنا حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وهي تكشف عن جانب مهمّ من حياته الروحيّة، وهي الانقطاع إلى الله تعالى والاعتصام بحبله، وبهذا نطوي الحديث عن بعض مكارم أخلاقه.

---

(١) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام: ١: ٤٤.

الإمام الجواد عليه السلام

الإمام محمّد الجواد عليه‌السلام من أروع صور الفكر والعلم في الإسلام ، فقد فجّر ينابيع العلم والحكمة في الأرض ، وكان الرائد للنهضة العلميّة والثقافيّة في عصره ، وقد هرع العلماء والفقهاء ورواة الحديث وطلّاب الحكمة إلى مقامه الرفيع للانتهال من نمير علومه ومعارفه ، وهو بسنّه المبكّر الذي لا يسمح لمن كان بهذا السنّ أن يخوض في ميادين العلوم ، وهو دليل حاسم على أنّ الأئمّة العظام من أهل بيت النبوّة قد منحهم الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب من دون فرق بين الكبير منهم وحدث السنّ .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض لبعض ما أُثر عن الإمام الجواد عليه‌السلام من غرر الكلمات في الحثّ على التحلّي بمكارم الأخلاق ، ثمّ نعرض لبعض مكارم أخلاقه .

مَكارِمُ الأَخلاقِ

١ ـ محاسن الأخلاق

أدلى الإمام الجواد عليه‌السلام بكوكبة من الأحاديث في بيان محاسن الأخلاق ، منها :

١ ـ قال عليه‌السلام : « **مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الرَّجُلِ كَفُّ أَذاهُ ، وَمِنْ كَرَمِهِ بِرُّهُ لِمَنْ يَهْواهُ ، وَمِنْ صَبْرِهِ قِلَّةُ شَكْواهُ ، وَمِنْ نُصْحِهِ نَهْيُهُ عَمّا لا يَرْضاهُ ، وَمِنْ رِفْقِ الرَّجُلِ بِأَخِيهِ تَرْكُ تَوْبِيخِهِ بِحَضْرَةِ مَنْ يَكْرَهُ ، وَمِنْ صِدْقِهِ صُحْبَتَهُ إِسْقاطُهُ الْمُؤُونَةَ ، وَمِنْ عَلامَةِ مَحَبَّتِهِ كَثْرَةُ**

الْمُوافَقَةِ وَقِلَّةُ الْمُخالَفَةِ »(١).

حكت هذه الكلمات الرائعة الأُسس الوثيقة لمحاسن الأخلاق ومكارم الصفات والأعمال، كما حكت الدعوة إلى قيام الصداقة على واقع من الفكر والمرونة.

٢ ـ قال عليه السلام: « **حَسَبُ الْمَرْءِ مِنْ كَمالِ الْمُروءَةِ أَنْ لا يَلْقىٰ أَحَداً بِما يَكْرَهُ.. وَمِنْ عَقْلِهِ إِنْصافُهُ قَبولَ الْحَقِّ إِذا بانَ لَهُ** »(٢).

حكت هذه الكلمات الموجزة روائع الحكمة، فإنّ مقابلة النّاس بالكلمات الناعمة والطيّبة دليل على نضوج الفكر، وكذلك قبول الحقّ إذا تبيّن له فإنّه دليل على نضوج الفكر وسلامته.

٣ ـ قال عليه السلام: « **عِنْوانُ صَحِيْفَةِ الْمُؤْمِنِ حُسْنُ خُلُقِهِ، وَعِنْوانُ صَحِيفَةِ السَّعِيدِ حُسْنُ الثَّناءِ عَلَيْهِ، وَالشُّكْرُ زِيْنَةُ الرِّوايَةِ، وَخَفْضُ الْجَناحِ زِيْنَةُ الْعِلْمِ، وَحُسْنُ الْآدابِ زِيْنَةُ الْعَقْلِ، وَالْجَمالُ فِي اللِّسانِ، وَالْكَمالُ فِي الْعَقْلِ** »(٣).

وهذه الخصال الكريمة من أروع ما يتحلّى به الإنسان المسلم من الصفات الكريمة ليكون عنواناً للكمال والأدب والفضل.

٢ ـ قضاء حوائج النّاس

حثّ الإمام الجواد عليه السلام على السعي والمبادرة في قضاء حوائج النّاس؛ وذلك لما يترتّب عليها من الثواب والأجر الجزيل. قال عليه السلام:

« **إِنَّ للهِ عِباداً يَخُصُّهُم بِدوامِ النِّعَمِ، فَلَا تَزالُ فيهِم ما بَذَلوا لَها، فَإِذا مَنَعوها نَزَعَها**

---

(١) الإتحاف بحبّ الأشراف: ٧٧، الدرّ النظيم: ورقة ٢٢٣.

(٢) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام: ١١٢.

(٣) المصدر المتقدّم: ١١٣.

عَنْهُم وَحَوَّلَها إِلى غَيْرِهِم »(١).

وأكدّ ذلك في حديث آخر قال عليه السلام :

« ما عَظُمَتْ نِعَمُ اللهِ عَلىٰ أَحَدٍ إِلّا عَظُمَتْ إِلَيْهِ حَوائِجُ النّاسِ ، فَمَن لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ الْمَؤونَةَ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوالِ »(٢).

إنّ دوام النعمة وسلامتها من الزوال منوط بقضاء حوائج النّاس ، فمن لم يقم من ذوي النعم بذلك فقد عرّضوها للزوال .

٣ ـ فعل المعروف

حثّ الإمام عليه السلام على فعل المعروف ، قال عليه السلام :

« أَهْلُ الْمَعْرُوفِ إِلَى اصْطِناعِهِ أَحْوَجُ مِنْ أَهْلِ الْحاجَةِ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ لَهُم أَجْرَهُ وَفَخْرَهُ وَذِكْرَهُ ، فَمَهْما اصْطَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّهُ يَبْتَدِأُ فيهِ بِنَفْسِهِ »(٣).

وهذه الكلمة من روائع الحكم ، فإنّ صاحب المعروف قد أبقى له ذكراً عاطراً وجميلاً ، وفاز برضا الله تعالى ، فتدبّر بنفسه ، وأحسن لذاته .

٤ ـ الخصال التي تجلب المودّة

تحدّث الإمام عليه السلام عن الخصال التي تجلب المودّة والحبّ ، قال عليه السلام :

« ثَلاثُ خِصالٍ تَجْلِبُ فِيهِنَّ الْمَوَدَّةُ : الإنْصافُ فِي الْمُعاشَرَةِ ، وَالْمُواساةُ فِي الشِّدَّةِ ، وَالانْطِواءُ عَلىٰ قَلْبٍ سَليمٍ »(٤).

حقّاً إنّ هذه الخصال تشيع المودّة بين النّاس ، وتنشر المحبّة والأُلفة بينهم .

---

(١) و (٢) الفصول المهمّة / ابن الصباغ : ٢٥٨ .

(٣) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام : ١١٤ .

(٤) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام : ١١٢ ، نقلاً عن الفصول المهمّة : ٢٥٨ .

٥ ـ خصال كريمة

تحدّث الإمام الجواد عليه السلام عن بعض الخصال الكريمة التي توجب رضوان الله تعالى والقرب منه .

قال عليه السلام : « **ثَلَاثَةٌ يَبْلُغْنَ بِالْعَبْدِ رِضْوانَ اللهِ تَعالىٰ : كَثْرَةُ الْإِسْتِغْفارِ ، وَلينُ الْجانِبِ ، وَكَثْرَةُ الصَّدَقَةِ ، وَثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ لَمْ يَنْدَم : تَرْكُ الْعَجَلَةِ ، وَالْمَشورَةُ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ تَعالىٰ عِنْدَ الْعَزْم** »[١] .

حكى هذا الحديث الخصال التي تقرّب الإنسان من الله تعالى ، وهي :

١ ـ كثرة الاستغفار .

٢ ـ لين الجانب .

٣ ـ كثرة الصدقة .

وهذه الخصال الكريمة يحبّها الله تعالى ، ويبلغ بها الإنسان رضوان الله تعالى .

كما حفل هذا الحديث بالخصال التي يسعد بها الإنسان في حياته وهي :

١ ـ ترك العجلة ، فإنّها تسبّب للإنسان الكثير من المشاكل . يقول الشاعر :

قَد يدركُ المُتَأنّي بعضَ حاجَتهِ ... وقَد يكونُ معَ المُسْتعجلِ الزّللُ

٢ ـ المشورة ، وعدم الاستبداد الذي يلقي الإنسان في الخطأ .

٣ ـ الابتعاد عن التردّد ، فإنّه يوجب اضطراب النفس ، فإذا عزم الإنسان على شيء غير محرّم فليتوكّل على الله تعالى .

٦ ـ التقوى والعلم

تحدّث الإمام الجواد عليه السلام عن فضل العلم والتقوى ، قال عليه السلام :

---

(١) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام : ١١٩ .

« اعلَموا أَنَّ التَّقوىٰ عِزٌّ ، وَأَنَّ الْعِلْمَ كَنْزٌ ، وَأَنَّ الصَّمْتَ نورٌ »[١] .

إنّ تقوى الله تعالى عزّ وشرف للإنسان ، وفي الحديث إذا أردت عزّاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان فاتّق الله تعالى ، وأمّا العلم فهو نور .

يقول ابن سينا : « إنّما النفس كالزجاجة ، والعلم نور ، وحكمة الله زيت » .

فإذا أَشرقتْ فـإنَّك حَـيٌّ ... وَإذا أَظلمتْ فإنَّك مَـيْتُ

٧ ـ ما يحتاج إليه المؤمن

تحدّث الإمام الجواد عليه السلام عمّا يحتاج إليه المؤمن في حياته . قال عليه السلام :

« الْمُؤْمِنُ يَـحْتاجُ إِلىٰ تَـوْفيقٍ مِـنَ اللهِ تَـعالىٰ ، وَواعِـظٍ مِـنْ نَـفْسِهِ ، وَقَـبولٍ مِـمَّنْ يَنْصَحُهُ »[٢] .

وهذه الخصال ضرورة للمؤمن الذي ينهج طريق الحقّ ، وما يقرّ به إلى الله زلفى .

٨ ـ الثقة بالله عزّ وجلّ

قال عليه السلام : **« إنَّ مَنْ وَثِقَ بِاللهِ أَراهُ السُّرُورَ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفاهُ الْأُمُورَ ، وَالثِّقَةُ بِاللهِ حِصْنٌ لَا يَتَحَصَّنُ فِيهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ نَجاةٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، وَحِرْزٌ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ »**[٣] .

إنّ أعظم الوسائل التي يحتاج إليها الإنسان في حياته هي :

١ ـ الثقة بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة ، فمن وثق به أراه الخير بجميع رحابه .

---

(١) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام : ١١٤ .

(٢) تحف العقول : ٤٥٧ .

(٣) الفصول المهمّة / ابن الصبّاغ : ٢٧٣ .

٢ـ التوكّل على الله تعالى ، فإنّه حرز له من كلّ عدوّ ، ونجاة من كلّ سوء .

٩ ـ الاستغناء بالله عزّ وجلّ

قال عليه السلام : « **مَنِ اسْتَغْنىٰ بِاللهِ افْتَقَرَ النّاسُ إلَيْهِ ، وَمَنِ اتَّقَى اللهَ أَحَبَّهُ النّاسُ** »(١) .

إنّ من يستغنى بالله فقد استند إلى أعظم قوّة ومصدر كلّ عطاء ، ومن الطبيعي أنّ النّاس تفتقر لله ،كما أنّ من أحبّ الله تعالى فقد أحبّه النّاس وأخلصوا له لأنّه من منابع الخير والصلاح .

قال عليه السلام : « **مَنِ انْقَطَعَ إلىٰ غَيْرِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إلَيْهِ** »(٢) .

١٠ ـ القصد إلى الله عزّ وجلّ بالقلوب

إنّ من واقع الايمان والقصد إلى الله تعالى في أعماق القلوب ودخائل النفوس ، ومن المؤكّد أنّ ذلك أبلغ بكثير من أتعاب الجوارح ومعاناتها بالأعمال الخالية من الايمان .

قال عليه السلام : « **الْقَصْدُ إلَى اللهِ تَعالىٰ بِأَعْمالِ الْقُلوبِ أَبْلَغُ مِنْ أَتْعابِ الْجَوارِحِ** »(٣) .

وبهذه اللقطات من كلماته الذهبيّة التي تمثّل جانبه الأخلاقي والروحي نطوي الحديث عن بعض ما أُثر عنه في هذا الموضوع ، ونعرض إلى بعض مكارم أخلاقه .

---

(١) جوهرة الكلام : ١٥٠ .

(٢) الدرّ النظيم : الورقة ٣٣ .

(٣) المصدر المتقدّم : الورقة ٢٣٣ .

مساوئ الصفات

١ ـ البدع والطمع

قال عليه السلام: **« ما هَدَمَ الدّينَ مِثْلُ الْبِدَعِ ، وَلَا أَزالَ الْوَقارَ مِثْلُ الطَّمَعِ »**[١].

حكت هذه الكلمات بعض الخصال التي تهدم الدين ، وتزيل الوقار ، وهي :

١ ـ البدع ، وهي التي تلصق بالدين وليست منه ، فإنّها تشوّه الواقع الديني ، وتلحق الضرر بأرصدته الروحيّة والفكريّة .

٢ ـ الأطماع ، فإنّها تجرّ الإنسان إلى ميادين سحيقة من مجاهل هذه الحياة .

٢ ـ الشتم والتهوّر

حذّر الإمام الجواد عليه السلام من الشتم والتهوّر ، قال عليه السلام :

« مَنْ شَتَمَ أُجيبَ ، وَمَنْ تَهَوَّرَ أُصيبَ »[٢].

حكت هذه الكلمة الموجزة الواقع السيّئ للشاتم والمتهوّر ، فإنّ الشاتم يجاب بالمثل أو بأكثر منه ، والمتهوّر فإنّه يصاب بتهوّره ، ويلقي نفسه في شرّ عظيم .

مكارم أخلاقه

أمّا أخلاق الإمام الجواد عليه السلام فإنّها على سمت أخلاق آبائه العظام الذين كانوا امتداداً ذاتيّاً لأخلاق جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد ضارعوه بجميع اتّجاهاته ومكارم آدابه وأخلاقه .

---

(١) الدرّ النظيم : الورقة ١١٤ .

(٢) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام : ١١٥ .

وهذا عرض موجز لمكارم أخلاق الإمام الجواد عليه السلام :

١ ـ الإحسان إلى النّاس

من معالي أخلاق الإمام الجواد عليه السلام الإحسان إلى النّاس ، والبرّ بهم ، وذكر المؤرّخون بوادر كثيرة من إحسانه ، كان منها ما رواه أحمد بن زكريّا الصيدلاني عن رجل من بني حنيفة من أهالي بست و سجستان[١] ، قال : رافقت أبا جعفر في السنة التي حجّ فيها في أوّل خلافة المعتصم ، فقلت له وأنا على المائدة :

« إنّ والينا جعلت فداك يتوادّكم أهل البيت ويحبّكم ، وعليّ في ديوانه خراج ، فإن رأيت جعلت فداك أن تكتب إليه بالإحسان إليّ » .

واعتذر الإمام أوّلاً ، إلّا أنّه استجاب له بعد ما عرف أنّ الوالي ممّن يدين بالإمامة ، فكتب إليه بعد البسملة :

« أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مُوصِلَ كِتابي هٰذا ذَكَرَ عَنْكَ مَذْهَباً جَميلاً ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَإِنَّ ما لَكَ مِنْ عَمَلِكَ إِلَّا ما أَحْسَنْتَ فيهِ ، فَأَحْسِنْ إِلىٰ إِخْوانِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ سائِلُكَ عَنْ مَثاقيلِ الذَّرَّةِ وَالْخَرْدَلِ[٢] » .

ولمّا قفل الرجل إلى وطنه وعلم الوالي برسالة الإمام عليه السلام له أسرع إليه واستلم الرسالة فقبّلها ، وسأله عن حاجته ، فأخبره بها ، فقال له :

« لا تؤدِّ لي خراجاً ما دام لي عمل » ، ثمّ أمر له بصلة له ولعياله ، وظلّ الرجل لا يؤدّ الخراج ما دام الوالي موجوداً ، كما أنّه لم يقطع عنه صلته . كلّ ذلك ببركة

---

(١) **سجستان** : تقع جنوب هراة ، بلد ساكنوه من الشيعة الأشراف ، امتنع أهلها من لعن أمير المؤمنين عليه السلام ، وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وباب مدينة علمه ـ معجم البلدان : ٣ : ١٩٠ .

(٢) **الخردل** : نبات حبّه صغير جدّاً .

الإمام ولطفه[١].

٢ ـ مواساة النّاس

من معالي أخلاق الإمام الجواد عليه السلام مواساته للنّاس في السرّاء والضرّاء.

١ ـ ومن بين الذين واساهم إبراهيم بن محمّد البغدادي، فقد جرت عليه مظلمة من قِبل الوالي، فأخبر الإمام بذلك، فتألّم الإمام بذلك وكتب له رسالة يواسيه على ما حلّ به جاء فيها.

« عَجَّلَ اللهُ نُصْرَتَكَ عَلىٰ مَنْ ظَلَمَكَ، وَكَفاكَ مَؤونَتَهُ، وَأَبْشِرْ بِنَصْرِ اللهِ عاجِلاً إنْ شاءَ اللهُ، وَبِالآخِرَةِ آجِلاً، وَأَكْثِرْ مِنْ حَمْدِ اللهِ تَعالىٰ »[٢].

٢ ـ ومن مواساته للنّاس تعازيه للمصابين والمنكوبين، فقد بعث برسالة إلى رجل فجع بفقد ولده، جاء فيها بعد البسملة:

« ذَكَرْتَ مُصيبَتَكَ بِعَلِيٍّ ابْنَكَ، وَذَكَرْتَ أَنَّهُ كانَ أَحَبَّ وُلْدِكَ إِلَيْكَ، وَكَذلِكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّما يَأْخُذُ مِنَ الْوَلَدِ وَغَيْرِهِ أَزْكىٰ ما عِنْدَ أَهْلِهِ لِيُعْظِمَ بِهِ أَجْرَ الْمُصابِ بِالْمُصيبَةِ، فَأَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ، وَأَحْسَنَ عَزاءَكَ، وَرَبَطَ عَلىٰ قَلْبِكَ إِنَّهُ قَديرٌ، وَعَجَّلَ اللهُ عَلَيْكَ بِالْخَلَفِ، فَأَرْجُو أَنْ يَكونَ اللهُ تَعالىٰ قَدْ فَعَلَ إِنْ شاءَ اللهُ »[٣].

وأعربت هذه الرسالة عن تعاطف الإمام مع النّاس ومشاركتهم لهم في أحزانهم وآلامهم.

٣ ـ ومن معالي أخلاق الإمام عليه السلام هي مواساته للنّاس في مصائبهم وأحزانهم، فقد كتب إليه شخص يشكو إليه ما ألمّ به من الأسى لفقد ولده، فأجابه الإمام برسالة

---

(١) بحار الأنوار: ١٢: ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٢: ١٢٦.

(٣) وسائل الشيعة: ٢: ٨٧٤.

تعزية جاء فيها:

«أما عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَخْتارُ مِنْ مالِ الْمُؤْمِنِ، وَمِنْ وُلْدِهِ أَنْفُسِهِم لِيُؤْجِرَهُ عَلىٰ ذٰلِكَ»[١].

وبهذا اللطف والإحسان الذي غمر به القلوب فقد أخلص له النّاس وآمنوا بإمامته.

٣ ـ الكرم والسخاء

ومن سموّ أخلاق الإمام الجواد عليه السلام أنّه كان من أندى النّاس كفّاً، وأكثرهم سخاء، وقد لقّب بالجواد لكثرة معروفه وإحسانه إلى الفقراء، وقد ذكر المؤرّخون صوراً كثيرة من كرمه كان منها:

١ ـ إنّ أحمد بن حديد خرج مع جماعة من أصحابه إلى الحجّ، فهجم عليهم عصابة من السرّاق فنهبوا ما عندهم من أموال ومتاع؛ ولمّا انتهوا إلى المدينة انطلق أحمد إلى الإمام الجواد عليه السلام فأخبره بما جرى عليهم، فأمر له بكسوة وأعطاه دنانير ليوزّعها على أصحابه، وكانت بقدر ما نهب منهم[٢]، لقد أنعم عليهم الإمام، وردّ عليهم ما سلب منهم.

٢ ـ ومن برّه ما رواه العتبي أنّ علويّاً كان يهوى جارية في المدينة، وكانت يده قاصرة عن ثمنها، فشكا ذلك إلى الإمام الجواد عليه السلام، فسأله عن صاحبها فأخبره به، فمضى الإمام إليه، فاشترى الجارية والضيعة، والعلوي لا يعلم، ومضى العلوي يسأل عن الجارية، فقيل له قد بيعت، وسأل عن المشتري، فقيل له لا نعرفه، ففزع إلى الإمام رافعاً صوته قائلاً:

---

(١) وسائل الشيعة: ٢: ٨٩٣.

(٢) الوافي بالوفيّات: ٤: ١٠٥. بحار الأنوار: ١٢: ١٠٩.

« بيعت الجارية ».

فقابله الإمام ببسمات قائلاً: « **هَلْ تَدْرِي مَنِ اشْتَراها ؟** ».

« لا ».

وانطلق الإمام ومعه العلويّ إلى الضيعة التي فيها الجارية، وأمره بالدخول إلى الضيعة، فأبى لأنّها للغير ولا يعرفه، فأصرّ الإمام عليه بالدخول، فدخل ومعه الإمام، فلمّا رأى العلوي الجارية قال له الإمام:

« **أَتَعْرِفُها ؟** ».

« نعم ».

« **هِيَ لَكَ وَالْقَصْرُ وَالضَّيْعَةُ وَالْغُلَّةُ وَجَمِيعُ ما فِي الْقَصْرِ مِنْ مَتاعٍ** »(١).

وغمرت العلوي موجات من السرور، فقد فهم أنّ الإمام قد اشتراها وحار في كيفيّة شكره للإمام عليه السلام، هذه بعض البوادر من كرم الإمام عليه السلام.

٤ ـ برّه عليه السلام بالحيوانات

وشمل برّ الإمام عليه السلام الحيوانات، فقد روى محمّد بن الوليد الكرماني، قال:

« أكلت بين يدي أبي جعفر الثاني حتّى إذا فرغنا ورفع الخوان أراد الغلام أن يرفع ما وقع في الأرض من فتات الطعام، فنهره الإمام، وقال له:

« **ما كانَ في الصَّحْراءِ فَدَعْهُ، وَلَا في الْبَيْتِ قطَّهُ حَتّىٰ تَتَناوَلَ ما بَقِيَ** »(٢)؛ لقد شفق الإمام على الطير وسائر الحيوانات التي ليس عندها طعام لتتناول منه.

٥ ـ زهده عليه السلام

كان الإمام الجواد عليه السلام شاباً في مقتبل العمر، وقد أعرض عن زينة الحياة،

---

(١) مرآة الزمان: ٦، الورقة ١٠٥ من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

(٢) مستند الشيعة: ١٥: ٢٤٥.

ونبذ جميع مباهجها ورغائبها ، ولم يقم للدنيا أي وزن ، وكان المأمون يغدق عليه بالأموال الوافرة البالغة مليون درهم بالإضافة إلى ما يرد إليه من الحقوق الشرعيّة التي تبعثها له الطائفة الشيعيّة ، وما يرد إليه من واردات الأوقاف التي في مدينة قم ، إلّا أنّه لم ينفق شيئاً منها في اُموره الخاصّة ، وإنّما كان ينفقها على الفقراء والبؤساء ، وقد رآه الحسين المكاري في بغداد ، وكان محاطاً بهالة من التعظيم من قِبل الأوساط الرسميّة والشعبيّة ، فحدّثته نفسه أنّ الإمام لا يرجع إلى وطنه ويقيم في بغداد منعّماً ، وقرأ الإمام ما في نفسه فقال له :

« يا حُسَيْنُ ، خُبْزُ الشَّعِيرِ وَمِلْحُ الْجَرِيشِ فِي حَرَمِ جَدِّي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّا تَرانِي فِيهِ »[1].

إنّ الإمام لم يكن من عشّاق الملك والعظمة ، وإنّما كان كآبائه الذين طلّقوا الدنيا ثلاثاً ، واتّجهوا صوب الله تعالى .

٦ ـ الإنابة إلى الله عزّ وجلّ

من أبرز صفات الإمام الجواد عليه السلام الإنابة إلى الله تعالى ، فكان من أشدّ النّاس خوفاً من الله تعالى ، وأخلصهم في طاعته شأنه شأن آبائه الذين وهبوا أرواحهم لله تعالى ، وعملوا جاهدين كلّ ما يقرّبهم إليه زلفى ، فقد قضى أوقاته في الصلاة والصوم وتلاوة كتاب الله تعالى .

نماذج من أدعيته عليه السلام

وتمثّل أدعية الإمام الجواد عليه السلام الجانب الروحي من حياته ، فمن أدعيته :

« يا مَن لَا شَبيهَ لَهُ وَلَا مِثال ، أَنْتَ اللهُ لَا إِلـهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا خالِقَ إِلَّا أَنْتَ تُفْني

---

(١) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام : ٧٤.

الْمَخْلُوقينَ وَتَبْقىٰ أَنْتَ ، حَلِمْتَ عَمَّنْ عَصاكَ ، وَفِي الْمَغْفِرَةِ رَجاكَ »[١].

وفي هذا الدعاء تمجيد لله تعالى ، وإخلاص في طاعته ، وخضوع لعظمته .

٢ ـ من أدعيته هذا الدعاء الذي ذكر فيه ما مني به عصره من الظلم والجور والفساد من حكّام عصره ، وهو من الأدعية السياسيّة . قال عليه السلام :

« اللّهُمَّ إنَّ ظُلْمَ عِبادِكَ قَدْ تَمَكَّنَ في بِلَادِكَ حَتّىٰ أَماتَ الْعَدْلَ ، وَقَطَعَ السُّبُلَ ، وَمَحَقَ الْحَقَّ ، وَأَبْطَلَ الصِّدْقَ ، وَأَخْفَى الْبِرَّ ، وَأَظْهَرَ الشَّرَّ ، وَأَهْمَلَ التَّقْوىٰ ، وَأَزالَ الْهُدىٰ ، وَأَزاحَ الْخَيْرَ ، وَأَثْبَتَ الضَّيْرَ ـ أي الضرر ـ وَأَنْمَى الْفَسادَ ، وَقَوَّى الْعِنادَ ، وَبَسَطَ الْجَوْرَ ، وَعَدَى الطَّوْرَ .

اللّهُمَّ يا رَبِّ لَا يَكْشِفُ ذلِكَ إلَّا سُلْطانُكَ ، وَلَا يُجيرُ مِنْهُ إلَّا امْتِنانُكَ ، اللّهُمَّ رَبِّ فَابْتَزَّ الظُّلْمَ ، وَبُثَّ جِبالَ الْغَشْمِ ، وَأَخْمِلْ سُوقَ الْمُنْكَرِ ، وَأَعِزَّ مَنْ عَنْهُ زَجَرَ ، وَاحْصُدْ شَأْفَةَ أَهْلِ الْجَوْرِ ، وَأَلْبِسْهُمُ الْحَوْرَ بَعْدَ الْكَوْرَ ، وَعَجِّلْ لَهُمُ الْبَياتَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ الْمُثُلاتِ ، وَأَمِتْ حَياةَ الْمُنْكَراتِ لِيَأْمَنَ الْمَخُوفُ ، وَيَسْكُنَ الْمَلْهُوفُ ، وَيَشْبَعَ الْجائِعُ ، وَيُحْفَظَ الضّائِعُ ، وَيُأْوَى الطَّريدُ ، وَيَعُودَ الشَّريدُ ، وَيُغْنَى الْفَقيرُ ، وَيُجارَ الْمُسْتَجيرُ ، وَيُوَقَّرَ الْكَبيرُ ، وَيُرْحَمَ الصَّغيرُ ، وَيُعَزَّ الْمَظْلُومُ ، وَيُذَلَّ الظّالِمُ ، وَيُفَرَّجَ الْمَغْمُومُ ، وَتَنْفَرِجَ الْغَماءُ ، وَتَسْكُنَ الدَّهْماءُ ، وَيَمُوتَ الْاخْتِلافُ ، وَيَحْيَى الْائْتِلافُ ، وَيَعْلُوَ الْعِلْمُ ، وَيَشْمِلَ السِّلْمُ ، وَيُجْمَعَ الشِّتاتُ ، وَيَقْوَى الْإيمانُ ، وَيُتْلَى الْقُرْآنُ ، إنَّكَ أَنْتَ الدَّيّانُ الْمُنْعِمُ الْمَنّانُ »[٢].

---

(١) أعيان الشيعة : ٢ : ٢٤٥ .

(٢) الصحيفة الرضويّة : ١٢٧ ـ ١٢٨ .

حكى هذا الدعاء الظلم السائد والجور الشامل في البلاد من جرّاء السياسة السوداء التي انتهجها حكّام بني العبّاس الذين حوّلوا العالم الإسلامي إلى مزرعة لهم ، فأنفقوا اقتصاد الأمّة على شهواتهم ولياليهم الحمراء وأشاعوا الفساد والخلاعة والمجون بين النّاس ، ولم يكن لحكمهم أي صلة بالإسلام .

٣ - ومن أدعيته هذا الدعاء ، وكان يدعو به في قنوته ، ويذكر حكّام عصره ، ويدعو عليهم ، وهذا نصّه :

« اللّٰهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ مَعْدُودَةٍ ، وَالْآخِرُ بِلَا آخِرِيَّةٍ مَحْدُودَةٍ ، أَنْشَأْتَنا لَا لِعِلَّةٍ اِقْتِساراً ، وَاخْتَرَعْتَنا لَا لِحاجَةٍ اِقْتِداراً ، وَابْتَدَعْتَنا بِحِكْمَتِكَ اِخْتِياراً ، وَبَلَوْتَنا بِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ اِخْتِباراً » .

ومن بنوده :

« فَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْبَهاءِ ، وَالْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِياءِ ، وَالْإِحْسانِ وَالنَّعْماءِ وَالْمَنِّ وَالْآلاءِ ، وَالْمَنْحِ وَالْعَطاءِ ، وَالْاِنجازِ وَالْوَفاءِ . لَا تُحِيطُ الْقُلُوبُ لَكَ بِكُنْهٍ ، وَلَا تُدْرِكُ الْأَوْهامُ لَكَ صِفَةً ، وَلَا يُشْبِهُكَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ ، وَلَا يُمَثَّلُ بِكَ شَيْءٌ مِنْ صَنْعَتِكَ ، تَبارَكْتَ أَنْ تُحَسَّ أَوْ تُمَسَّ أَوْ تُدْرِكَكَ الْحَواسُّ الْخَمْسُ ، وَأَنّىٰ يُدْرِكُ مَخْلُوقٌ خالِقَهُ ، وَتعالَيْتَ يا إِلٰهِي عَمّا يَقُولُ الظّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً » .

وبعد الثناء على الله تعالى وتمجيده أخذ يدعو على الظالمين من حكّام عصره قائلاً :

« اللّٰهُمَّ أَدِلْ لِأَوْلِيائِكَ مِنْ أَعْدائِكَ الظّالِمِينَ ، الْباغِينَ ، النّاكِثِينَ ، الْقاسِطِينَ ، الْمارِقِينَ ، الَّذِينَ أَضَلُّوا عِبادَكَ ، وَحَرَّفُوا كِتابَكَ ، وَبَدَّلُوا أَحْكامَكَ ، وَجَحَدُوا

حقَّكَ ، وَجلَسُوا مجالِسَ أَوْليائِكَ ، جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَيْكَ ، وَظُلْماً مِنْهُمْ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ ، عَلَيْهِمْ سَلامُكَ ، وَصَلَواتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا خَلْقَكَ ، وَهَتَكُوا حِجابَ سِتْرِكَ عَنْ عِبادِكَ ، وَاتَّخَذُوا اللّٰهُمَّ مالَكَ دُوَلاً ، وَعِبادَكَ خَوَلاً ، وَتَرَكُوا اللّٰهُمَّ عالَمَ أَرْضِكَ في بَكْماءَ عَمْياءَ ظَلْماءَ مُدْلَهِمَّةٍ ، فَأَعْيُنُهُمْ مَفْتُوحَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ عَمِيَّةٌ ، وَلَمْ تَبْقَ اللّٰهُمَّ عَلَيْكَ مِنْ حُجَّةٍ ، لَقَدْ حَذَّرْتَ اللّٰهُمَّ عَذابَكَ ، وَبَيَّنْتَ نَكالَكَ ، وَوَعَدتَ الْمُطيعينَ إِحْسانَكَ ، وَقَدَّمْتَ إِلَيْهِمْ بِالنُّذُرِ ، فَآمَنَتْ طائِفَةٌ وَأَيَّدْتَ . . .

وَجَدِّدِ اللّٰهُمَّ عَلىٰ أَعْدائِكَ وَأَعْدائِهِمْ نارَكَ وَعَذابَكَ الَّذي لَا تَدْفَعُهُ عَنِ الْقَوْمِ الظّالِمينَ » .

ويأخذ الإمام بالدعاء لأولياء الله المطيعين لأمره ، قائلاً :

« اللّٰهُمَّ صَلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَقَوِّ ضَعْفَ الْمُخْلِصينَ لَكَ بِالْمَحَبَّةِ الْمُشايعينَ لَنا بِالْمُوالاةِ ، الْمُتَّبِعينَ لَنا بِالتَّصْديقِ وَالْعَمَلِ ، الْمُؤازِرينَ لَنا بِالْمُواساةِ فينا ، الْمُحيينَ ذِكْرَنا عِنْدَ اجْتِماعِهِمْ ، وَشَدِّدِ اللّٰهُمَّ رُكْنَهُمْ ، وَسَدِّدِ اللّٰهُمَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذي ارْتَضَيْتَهُ لَهُمْ ، وَأَتْمِمْ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَكَ ، وَخَلِّصْهُمْ ، وَاسْتَخْلِصْهُمْ ، وَسُدَّ اللّٰهُمَّ فَقْرَهُمْ ، وَأَلْمِمِ اللّٰهُمَّ شَعْثَ فاقَتِهِمْ ، وَاغْفِرِ اللّٰهُمَّ ذُنُوبَهُمْ وَخَطاياهُمْ ، وَلَا تُزِغْ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ ، وَلَا تُخَلِّهِمْ ـ أَيْ رَبِّ ـ بِمَعْصِيَتِهِمْ ، وَاحْفَظْ لَهُمْ ما مَنَحْتَهُمْ بِهِ مِنَ الطَّهارَةِ بِوِلَايَةِ أَوْلِيائِكَ ، وَالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِكَ ، إِنَّكَ سَميعٌ مُجيبٌ . . . »[1] .

---

(١) مهج الدعوات : ٨١ . البلد الأمين : ٦٥٧ . الصحيفة الرضوية : ١٥٤ .

وانتهى معظم هذا الدعاء الذي حكى لوعة الإمام وأساه على ما ساد في البلاد من الظلم والجور، كما حكى دعاءه إلى الصالحين والمؤمنين الذين امتحنوا في تلك العصور من حكّام العبّاسيّين الذين أغرقوا البلاد بالبلاء والمحن والخطوب.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الإمام الجواد عليه السلام معجزة الإسلام في مواهبه وعبقرياته، وقد حكت مكارم أخلاقه أخلاق آبائه العظام دعاة الإصلاح الاجتماعي في دنيا العرب والإسلام.

الإمام الهادي عليه السلام

الإمام عليّ الهادي عليه السلام نفحة من روح جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في عظيم أخلاقه، وسموّ ذاته، وكجدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مآسيه وأحزانه، فقد جرّعه فرعون زمانه الطاغية المتوكّل العبّاسي أقسى ألوان المحن والخطوب فرض عليه الإقامة الجبرية في سامرّاء والحصار الاقتصادي، وزجّه بين فترة وأُخرى في زنزانات سجونه، وحرم العلماء والفقهاء من الانتهال من نمير علومه والاستفادة من مواهبه وعبقريّاته.

ونعرض إلى بعض الصور التي أُثرت عنه من الحكم في مكارم الأخلاق، ثمّ نعرض إلى أمثلة من معالي أخلاقه، وفيما يلي ذلك:

مكارم الأخلاق

١ ـ الحلم

تحدّث الإمام عليه السلام عن حقيقة الحلم ومكوّناته وأهمّيته بهذه الكلمة القيّمة، قال عليه السلام:

« الْحِلْمُ أَنْ تَمْلِكَ نَفْسَكَ، وَتَكْظِمَ غَيْظَكَ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ »[1].

---

(١) حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام: ١٥٧.

إنّ حقيقة الحلم أن يسيطر الإنسان على نفسه وأعصابه ولا يخضع لعوامل الغضب.

٢ ـ الخير

قال عليه السلام: **« خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ فَاعِلُهُ، وَأَجْمَلُ مِنَ الْجَمِيلِ قائِلُهُ، وَأَرْجَحُ مِنَ الْعِلْمِ عَامِلُهُ »**[١].

وهذه من الكلمات البليغة، فقد أشاد فيها ببعض الأشخاص:

١ ـ فاعل الخير: إنّه بحسب قيمه أفضل من الخير.

٢ ـ قائل الجميل: إنّه أجمل من الجميل وذلك لما يسديه من الخير إلى النّاس.

٣ ـ العامل بعلمه: أرجح من العلم؛ لأنّ العلم إنّما يطلب لتهذيب النفس، فإذا عمل به الإنسان فقد صان العلم وأدّى رسالته، وهو بذلك خير من العلم.

٣ ـ نصيحة الإمام عليه السلام للمتوكّل

نصح الإمام الهادي عليه السلام المتوكّل بهذه النصيحة القيّمة. قال عليه السلام:

« لَا تَطْلُبِ الصَّفاءَ مِمَّنْ كَدَّرْتَ عَلَيْهِ، وَلَا الْوَفاءَ مِمَّنْ غَدَرْتَ بِهِ، وَلَا النُّصْحَ مِمَّنْ صَرَفْتَ سوءَ ظَنِّكَ إِلَيْهِ، فَإِنَّما قَلْبُ غَيْرِكَ لَكَ كَقَلْبِكَ لَهُ »[٢].

ما أروع هذه الكلمات الذهبيّة التي حفلت بالقيم الكريمة، فقد حذّر فيها المتوكّل العبّاسي من أن يطلب الصفاء والمودّة ممّن غدر بهم، والوفاء من الذين كدر عليهم وأساء لهم، وكذلك لا يطلب النصيحة ممّن ساء ظنّه بهم، فإنّ هؤلاء جميعاً خصومه وأعداؤه في دخائل نفوسهم وأعماق قلوبهم.

---

(١) حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام: ١٥٦.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٦٣.

٤ ـ الدنيا سوق

قال عليه السلام: «**الدُّنْيا سوقٌ رَبِحَ فيها قَوْمٌ، وَخَسِرَ فيها آخَرون**»(١).

الدنيا سوق للمتّقين والصالحين؛ وذلك بما يعملون من الحسنات التي تقرّبهم إلى الله تعالى زلفى، كما أنّها سوق للفاجرين وذلك بما يقترفونه من المحرّمات، فهي سوق للطرفين.

مساوئ الصفات

١ ـ سوء الخلق

قال عليه السلام: «**شَرُّ الرَّزِيَّةِ سُوْءُ الْخُلُقِ**»(٢).

إنّ من أعظم الرزايا التي يمنى بها الانسان سوء الخُلق، فإنّه يخلق له الكثير من المشاكل ويلقيه في شرّ عظيم.

٢ ـ التملّق

قال عليه السلام: «**إنَّ كَثْرَةَ التَّمَلُّقِ يَهْجِمُ عَلَى الْفِطْنَةِ، فَإِذا حَلَلْتَ مِنْ أَخيكَ مَحَلَّ الثِّقَةِ فَاعْدِلْ عَنِ الْمَلَقِ إِلىٰ حُسْنِ النِّيَّةِ**»(٣).

كره الإمام التملّق؛ لأنّه ينمّ عن ضعف الشخصيّة، ففيه خنوع وذلّ، والإنسان الشريف ينبغي أن يكون عزيز النفس في جميع مراحل حياته.

---

(١) حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام: ١٦٥.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٥٨.

(٣) المصدر المتقدّم: ١٦٠.

٣ ـ البخل والطمع

قال عليه‌السلام : « الْبُخْلُ أَذَمُّ الْأَخْلَاقِ ، وَالطَّمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ »[١] .

حذّر الإمام عليه‌السلام منه ؛ لأنّه من الصفات السيّئة الرذيلة ، كما حذّر من الطمع لأنّه يجلب للإنسان الكثير من المتاعب والمصاعب .

٤ ـ الحسد والزهو

قال عليه‌السلام : « الْحَسَدُ ماحِقُ الْحَسَناتِ ، وَالزَّهْوُ جالِبُ الْمَقْتِ »[٢] .

حذّر الإمام من الحسد لما فيه من الإثم ، فهو يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب اليابس ، كما في الحديث ، وكما حذّر الإمام من الزهو لأنّه من ألوان الكبرياء والفخر وهما يوجبان المقت لمن اتّصف بهما .

٥ ـ العجب

قال عليه‌السلام : « الْعُجْبُ صارِفٌ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَداعٍ إِلَى التَّخَبُّطِ[٣] في الْجَهْلِ »[٤] .

إنّ إعجاب المرء بنفسه صارف له عن طلب العلم وتهذيب النفس ، ويلقيه في متاهات سحيقة من الجهل .

٦ ـ مخالطة الأشرار

قال عليه‌السلام : « مُخالَطَةُ الْأَشْرارِ تَدُلُّ عَلىٰ شَرِّ مَنْ يُخالِطُهُم »[٥] .

---

(١) و (٢) حياة الإمام علي الهادي عليه‌السلام : ١٦٠ .

(٣) **التَّخَبُّط** : السير على غير هدى ، أو التصرّف في الأُمور على غير هدى .

(٤) حياة الإمام علي الهادي عليه‌السلام : ١٦٠ .

(٥) المصدر المتقدّم : ١٦١ .

إنّ مصاحبة الأشرار تكسب الشرّ والجهل ، وتدلّ على سوء من يتّصل بهم ؛ لأنّه لو كان شريفاً لابتعد في سلوكه عنهم .

قال عليه السلام : « **الْهُزْءُ فَكاهَةُ السُّفَهاءِ ، وَصِناعَةُ الجُهّالِ** »(١) .

إنّ الهزء بالنّاس والسخرية بهم إنّما هي بضاعة الجهّال وفكاهة السفهاء الذين لا بضاعة عندهم .

٧ ـ الطبائع الفاسدة

قال عليه السلام : « **لا نُجْعَ في الطَّبائِعِ الْفاسِدَةِ** »(٢) .

إنّ المصابين بالطبائع الفاسدة ، والمنحرفين في سلوكهم لا ينفع معهم دواء ، ولا علاج يصلح طبائعهم .

٨ ـ الجهل والبخل

قال عليه السلام : « **الْجَهْلُ وَالْبُخْلُ أَذَمُّ الْأَخْلَاقِ** »(٣) .

من مساوئ الصفات الجهل والبخل ، فإنّهما يبعدان الإنسان عن الصفات الرفيعة والأخلاق الكاملة .

وبهذه المقاطع من كلماته التي هي إشراق ونور ، نطوي الحديث عن بعض ما أُثر عنه في معالي الأخلاق ومحاسن الصفات والتحذير من مساوئ الصفات ، ونعرض إلى مكارم أخلاقه التي هي امتداد ذاتي لأخلاق آبائه العظام صلوات الله عليهم .

---

(١) و (٢) حياة الإمام علي الهادي عليه السلام : ١٦٢ .

(٣) المصدر المتقدّم : ١٦٤ .

مكارم أخلاقه

أمّا مكارم أخلاق الإمام الهادي عليه السلام فهي امتداد مشرق لأخلاق آبائه الأئمّة الطاهرين عليهم السلام الذي أقاموا صروح الفضيلة في دنيا الإسلام، وتجرّدوا من الأنانيّة ومن كلّ نزعة ماديّة.

الإمام الهادي عليه السلام كان دنيا من الفضائل لا يضارعه أحد في عصره في سموّ أخلاقه وآدابه، وهذه لمحات من فيض أخلاقه :

١ - تكريم العلماء

كان الإمام الهادي عليه السلام يبجّل العلماء ويكرمهم ؛ لأنّهم منابع النور والوعي في الإسلام، وقد كرّم عليه السلام أحد علماء الشيعة وقد بلغه أنّه حاجج ناصبيّاً فأفحمه، فسرّ بذلك، ووفد العالم على الإمام فقابله بحفاوة وتكريم، وكان مجلسه مكتظّاً بالسادة العلويّين والعبّاسيّين، فأجلسه على دست وأخذ يحدّثه ويسأل عن حاله سؤالاً حفياً، فشقّ ذلك على السادة الحاضرين، فالتفتوا إلى الإمام قائلين له بعنف :

« كيف تقدّمه على السادة من بني هاشم ؟ ».

فأجابهم الإمام برفق ولطف قائلاً :

« إيّاكمْ أنْ تَكُونوا مِنَ الّذينَ قالَ اللهُ تَعالىٰ فيهِم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1] أَتَرْضَونَ بِكِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَكَماً ؟ ».

فانبروا جميعاً قائلين بلهجة واحدة :

---

(١) آل عمران ٣ : ٢٣.

« بلى يابن رسول الله ».

وأخذ الإمام عليه السلام يدلي عليهم ببالغ الحجّة ضرورة تكريم العالم، وتقديمه على غيره قائلاً:

« أَلَيْسَ اللهُ تَعالىٰ قالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[١]، فَلَمْ يَرْضَ لِلْعالِمِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يُرْفَعَ عَلَى الْمُؤْمِنِ غَيْرِ الْعالِمِ، كَما لَمْ يَرْضَ لِلْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يُرْفَعَ علىٰ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ، أَخْبِرُوني عَنْ قَوْلِهِ تَعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾، هَلْ قالَ: يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ أُوتُوا النَّسَبَ دَرَجاتٍ، أَوَلَيْسَ قالَ اللهُ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

فَكَيْفَ تُنْكِرُونَ رَفْعي لِهٰذا لِما رَفَعَهُ اللهُ تَعالىٰ، إِنَّ كَسْرَ هذا لِفُلانِ النّاصِبِ بِحُجَجِ اللهِ تَعالَى الَّتي عَلَّمَهُ إِيّاها لَأَشْرَفُ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ في النَّسَبِ ».

وسكت الحاضرون، فقد ردّ عليهم الإمام ببالغ الحجّة، وقوّة البرهان[٣].

٢ ـ تحذيره عليه السلام من مجالسة الصوفيّين

حذّر الإمام الهادي عليه السلام من الاتّصال بالصوفيّين؛ لأنّهم منحرفون عن الحقّ، ولا إيمان لهم، فقد روى محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، قال: كنت مع أبي الحسن الهادي في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله إذ أقبل جماعة من أصحابه فيهم أبوهاشم

(١) المجادلة ٥٨: ١١.

(٢) الزمر ٣٩: ٩.

(٣) حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام: ٤٩ ـ ٥٠.

الجعفري ، وكان فاضلاً ، وله منزلة عند الإمام ، وبينما نحن في الجامع إذ دخل جماعة من الصوفيّة فجلسوا في جانب من المسجد ، وأخذوا يهلّلون ويكبّرون الله تعالى ، فقال الإمام لأصحابه :

« لَا تَلْتَفِتوا إِلىٰ هـٰؤُلَاءِ الْخَدّاعينَ ، فَإِنَّهُمْ حُلَفاءُ الشَّياطينَ ، وَمُخَرِّبوا قَواعِدِ الدِّينِ ، يَتَزَهَّدُونَ لإِراحَةِ الْأَجْسامِ ، وَيَتَهَجَّدُونَ لِصَيْدِ الْأَنْعامِ ، يَتَجَوَّعونَ عُمْراً حَتّىٰ يُدَيِّخوا[1] لِلْإيكافِ حُمْراً لَا يُهَلِّلونَ إِلَّا لِغُرورِ النّاسِ ، وَلَا يُقَلِّلونَ الْغَذاءَ إِلَّا لِمِلْءِ الْعِساسِ ، وَاخْتِلافِ قَلْبِ الدِّفْناسِ[2] يَتَكَلَّمُونَ النّاس بِإِمْلائِهِم في الْحُبِّ ، وَيَطْرَحونَ بِأَداليلِهِم في الْجُبِّ ، أَوْرادُهُم الرَّقْصُ ، وَالتَّصْدِيَةُ ، وَأَذْكارُهُم التَّرَنُّمُ وَالتَّغْنِيَةُ ، فَلَا يَتْبَعُهُم إِلَّا السُّفَهاءُ ، وَلَا يَعْتَقِدُ بِهِم إِلَّا الْحُمَقاءُ ، فَمَنْ ذَهَبَ إِلىٰ زِيارَةِ أَحَدِهِم حَيّاً أَوْ مَيِّتاً فَكَأَنَّما ذَهَبَ إِلىٰ زِيارَةِ الشَّيْطانِ ، وَعِبادَةِ الْأَوْثانِ ، وَمَنْ أَعانَ واحِداً مِنْهُم فَكَأَنَّما أَعانَ مُعاوِيَةَ وَيَزيدَ وَأَبا سُفْيان » .

فانبرى شخص من الشيعة إلى الإمام قائلاً :

« وإن كان معترفاً بحقوقكم ؟ » .

فزجره الإمام قائلاً :

« دَعْ ذا عَنْكَ ، مَنِ اعْتَرَفَ بِحُقُوقِنا لَمْ يَذْهَبْ في عُقوقِنا ، أَما تَدْري أَنَّهُم أَخَسُّ طَوائِفِ الصُّوفِيَّةِ ، وَالصَّوفِيَّةُ كُلُّهُم مُخالِفونَ لَنا ، وَطَريقَتُهُم مُغايِرَةٌ لِطَريقَتِنا ، وَإِنْ هُم إِلَّا نَصارىٰ أَوْ مَجوسُ هـٰذِهِ الْأُمَّةِ ، أُولـٰئِكَ الَّذينَ يَجْتَهِدُونَ في إِطْفاءِ نُورِ اللهِ بِأَفْواهِهِم وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ »[3] .

---

(١) **يديّخوا** : أي يذلّوها.

(٢) **الدِّفْناس** : الغبيّ والأحمق الدنيء البخيل.

(٣) روضات الجنات : ٣ : ١٣٤ .

حكى حديث الإمام زيف الصوفيّين وأضاليلهم ، وحذّر من الاتّصال بهم ، وذكر من مساوئهم ما يلي :

١ - إنّهم حلفاء الشيطان في خداعهم وإغرائهم للنّاس .

٢ - إنّهم أعداء الإسلام في سلوكهم المنحرف الذي أضافوه إلى الدين وهو منه بريء .

٣ - إنّ زهدهم في الدنيا لم يكن حقيقيّاً وإنّما لإراحة أبدانهم .

٤ - إنّ تهجّدهم في الليل ، وإظهارهم للنسك لم يكن خالصاً لله تعالى ، وإنّما كان لصيد النّاس وسلب أموالهم .

٥ - إنّ أورادهم لم تكن أوراد عبادة ، وإنّما هي رقص كما أنّ أذكارهم غناء ولهو وهي خالية من الإخلاص في طاعة الله تعالى .

٦ - إنّ من يتّبعهم ويؤمن بهم لا يملك عقله واختياره ، فإنّه إنّما يتّبع السفهاء واخوان الشياطين(١) .

٣ - الإرشاد

من معالي أخلاق الإمام الهادي عليه السلام إرشاد الضالّ إلى طريق الحقّ ، وهدايته إلى سواء السبيل ، فقد هدى أبا الحسن البصري المعروف بالملّاح ، وكان واقفياً قد اقتصر على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، فالتقى به الإمام الهادي ، وقال له :

« إِلىٰ مَتىٰ هـٰذِهِ النَّوْمَةِ ؟ أَما آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَبِهَ مِنْها » ، واستيقظ الرجل من غفلته ، فقد أثّرت هذه الكلمات في نفسه ، ورجع إلى الحقّ ، وترك الوقف(٢) .

---

(١) حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام : ٤٨.

(٢) المصدر المتقدّم : ٤٧.

٤ ـ العمل

ومن معالي أخلاق الإمام ونكرانه للذات ، وتجرّده من النزعات الماديّة أنّه كان يعمل في أرض له لإعاشة عياله ، وقد رآه عليّ بن حمزة يعمل في أرضه وقد استنقعت قدماه من العرق ، فقال له :

« جعلت فداك ، أين الرجال ؟ » .

فقال له الإمام برفق وأناة :

« يا عَلِيُّ ، قَدْ عَمِلَ بِالْمِسْحاةِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنّي ، وَمِنْ أَبي في أَرْضِه » .

وبهر الرجل فراح يقول :

« مَن هو ؟ » .

« رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَأَميرُ الْمُؤْمِنينَ ، وَآبائي كُلُّهم عَمِلوا بِأَيْديهِم ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ النَّبِيّينَ وَالْمُرْسَلينَ وَالْأَوْصياءِ وَالصّالِحينَ »[١] .

إنّ العمل شعار الأنبياء ، فلم يبعث الله تعالى نبيّاً إلّا كان عاملاً ، وقد استندنا إلى هذا الحديث على أهمّية العمل وشرفه في كتابنا « العمل وحقوق العامل في الإسلام » .

٥ ـ الكرم

وثمّة ظاهرة من أخلاق الإمام الهادي عليه‌السلام وهي الكرم والسخاء ، فقد كان من أندى النّاس كفّاً ، وأكثرهم برّاً وإحساناً بالفقراء والبؤساء ، وذلك بالرغم من الحصار الاقتصادي الذي فرضه عليه الطاغية الفاجر المتوكّل العبّاسي ، وهذه لقطات من جوده :

---

(١) حياة الإمام عليّ الهادي عليه‌السلام : ٤٦.

١ ـ وفدت كوكبة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي كان منهم :

١ ـ عثمان بن سعيد .

٢ ـ أحمد بن إسحاق الأشعري .

٣ ـ عليّ بن جعفر الحمداني .

٤ ـ أبو عمر .

فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه ، فأمر الإمام وكيله أن يدفع إليه ثلاثين ألف دينار ، وإلى كلّ واحد منهم مثل ذلك ، وعلّق ابن شهرآشوب على هذه المكرمة العلويّة بقوله : « وهذه معجزة لا يقدر عليها إلّا الملوك ، وما سمعنا بمثل هذا العطاء »(١) .

لقد وفّر الإمام عليه‌السلام لهؤلاء الأعلام العيش الرغيد بإعطائه لهم هذا المال الجزيل ، وقد قيل : « خير العطاء ما أبقى نعمة » .

٢ ـ ومن كرمه ما رواه إسحاق الجلاب ، قال : اشتريت لأبي الحسن الهادي عليه‌السلام غنماً كثيرة يوم التروية ، فقسّمها في أقاربه(٢) .

٣ ـ ومن مبرّاته وإحسانه للفقراء أنّ اعرابيّاً قصده في ضيعة له ، فسأله الإمام عن حاجة له ، فقال له : « يابن رسول الله ، أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسّكين بولاية جدّك عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام ، وقد ركبني فادح ـ أي دين ـ أثقلني حمله ، ولم أرَ من أقصده سواك » .

فرقّ الإمام لحاله ، وأكبر ما توسّل به من الولاء لجدّه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وكان لا يجد ما يسعفه بشيء من المال ، فكتب له ورقة بخطّه جاء فيها :

« **إنَّ لِلْأَعْرابيِّ دَيْناً عَلَيْه** » ، وعيّن مقداره ، وقال له :

---

(١) و (٢) حياة الإمام عليّ الهادي عليه‌السلام : ٤٣ .

«خُذْ هٰذِهِ الْوَرَقَةَ ، فَإِذا وَصَلْتَ إِلىٰ سُرَّ مَنْ رَأىٰ ، وَحَضَرَ عِنْدي جَماعَةٌ فَطالِبْني بِالدَّيْنِ الَّذي في الْوَرَقَةِ ، وَأَغْلِظْ عَلَيَّ في تَرْكِ إِيْفائِكَ ، وَلا تُخالِفْني فيما أَقُول» ، فأخذ الأعرابي الورقة ، ولمّا قفل الإمام راجعاً إلى سرّ من رأى قصدته جماعة من عيون السلطة للسلام عليه ، فجاء الأعرابي فأبرز الورقة ، وطالب الإمام بتسديد ما فيها ، فجعل الإمام يعتذر له ، والأعرابي يغلظ له في القول ، وبادر بعض أعوان السلطة إلى المتوكّل فأخبره بالأمر ، فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم للإمام ، ولمّا وصلت له قال الإمام للأعرابي :

«خُذْ هذا الْمالَ فَأَوْفِ بِهِ دَيْنَكَ ، وَأَنْفِقِ الْباقي عَلىٰ عيالِكَ» .

وأكبر الأعرابي ذلك ، وقال للإمام يبلغ ثلث هذا المبلغ ، ولكنّ الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء ، وأخذ الأعرابي المال وهو فرح مسرور يدعو للإمام الذي أنقذه من البؤس والحرمان(١) .

هذه أمثلة من كرم الإمام وجوده التي أفاضها على الفقراء لا يبغي بذلك إلّا وجه الله تعالى ، وحسبه أنّه من اُسرة كانوا يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، وأنّ جدّه الإمام الصادق عليه‌السلام كان يطعم النّاس ويكسوهم حتّى لا يبقى عند عياله أي شيء من الطعام(٢) .

٦ ـ الزهد

وعرف الإمام الهادي عليه‌السلام بالزهد والتجرّد عن مباهج الحياة الدنيا ، فعاش عيشة الفقراء ، وقد كان منزله في المدينة وسامراء خالياً من كلّ أثاث ، وقد داهمت

---

(١) الاتحاف بحبّ الأشراف : ٦٧ ـ ٦٨. شرح شافية أبي فراس : مخطوط ، الورقة ١٦٧ من الجزء الثاني . جوهرة الكلام : ١٥١.

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٩٨.

شرطة المتوكّل منزله مراراً فلم تجد فيه شيئاً من رغائب الحياة ، وقد داهمت منزله الشرطة في سامرّاء فوجدوا الإمام في بيت مغلق ، وعليه مدرعة من شعر وهو جالس على الرمل والحصى ليس بينه وبين الأرض فراش .

ويقول السبط ابن الجوزي : « إنّ عليّاً الهادي لم يكن عنده ميل إلى الدنيا ، وكان ملازماً للمسجد ، فلمّا فتّشوا داره لم يجدوا فيه إلّا مصاحف وأدعية وكتب علم »[١] .

لقد عاش الإمام الهادي على ضوء الحياة التي عاشها جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مكتفياً من الطعام ما يسدّ رمقه ، ومن اللباس ما يستر بدنه من دون أن ينعم بأي شيء من ملذات الحياة .

٧ - الصبر

من أخلاق الإمام الهادي عليه السلام الصبر على محن الدنيا وبلائها ، فقد صبّ عليه الطاغية فرعون زمانه المتوكّل العبّاسي جام غضبه ، وجرّعه ألواناً قاسية من التنكيل والاضطهاد ، فقد أجبره على مغادرة المدينة والإقامة الجبريّة في سامرّاء ، وأحاطه بقوى الأمن تحصي عليه أنفاسه ، كما فرض عليه الحصار الاقتصادي ، ومنع من إيصال الحقوق الشرعيّة أو أي صلة له ، كما منع العلماء والفقهاء من الانتهال من نمير علومه ، وقد اعتقله عدّة مرّات وزجّه في سجونه ، وكان يتهدّده ويتوعّده بالقتل ، ويقول : « والله لأحرقنّ جسده بالنّار بعد القتل »[٢] .

وكان يجلبه معتقلاً إلى قصوره مستهيناً به ، وسلك جميع الوسائل للحطّ من شأنه والتنكيل به ، والإمام صابر ممتحن كأشدّ ما يكون الامتحان .

---

(١) صفة الصفوة : ٢ : ٤٥ .

(٢) حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام : ٢٦٤ .

٨ ـ إنابته عليه السلام لله عزّ وجلّ

أمّا البارز من أخلاق الإمام الهادي عليه السلام فهو الإنابة إلى الله تعالى وخشيته، فكان معظم أيّام حياته صائماً في النهار، قائماً في الليل، يناجي ربّه ويدعوه، ويتلو كتابه، وكان هذا هو السمت البارز في أخلاق أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ورحم الله أبا فراس الحمداني الذي قارن بين الأئمّة الطاهرين عليهم السلام وبين خصومهم وأعدائهم العبّاسيّين الذين أسرفوا في اقتراف ما حرّم الله تعالى من إثم، قال:

تُمْسِي التِّلَاوَةُ فِي أَبْياتِهِمْ سَحَراً   وَفِي بُيُوتِكُمُ الْأَوْتارُ وَالنَّغَمُ

لقد كان الإمام الهادي عليه السلام فرعاً من شجرة التقوى في عبادته لله تعالى وتقواه وورعه وشدّة تحرّجه في الدين، وهذه شذرات من إنابته لله تعالى:

١ ـ مناجاته عليه السلام لله تعالى

وأُثرت عن الإمام الهادي عليه السلام عدّة مناجات روحيّة مع الله تعالى دلّت على مدى طاعته للخالق العظيم، كان منها هذه المناجاة:

١ ـ **«إلٰهي تاهَتْ أَوْهامُ الْمُتَوَهِّمينَ، وَقَصُرَ طَرْفُ الطّارِفينَ، وَتَلاشَتْ أَوْصافُ الْواصِفينَ، وَاضْمَحَلَّتْ أَقاويلُ الْمُبْطِلينَ عَنِ الدَّرْكِ لِعَجيبِ شَأْنِكَ، أَوِ الْوُقُوعِ بِالْبُلوغِ إِلىٰ عُلُوِّكَ، فَأَنْتَ فِي الْمَكانِ الَّذي لا يَتَناهىٰ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْكَ عُيونٌ بِإِشارَةٍ وَلا عِبارَةٍ، هَيْهاتَ ثُمَّ هَيْهاتَ، يا أَوَّلُ يا واحِدُ، شَمَخْتَ بِالْعُلُوِّ بِعِزِّ الْكِبْرِياءِ، وَارْتَفَعْتَ مِنْ وَراءِ كُلِّ غَوْرَةٍ، وَنِهايَةٍ بِجَبَروتِ الْفَخْرِ»**[١].

---

(١) الصحيفة الرضويّة: ١٦٢.

حكت هذه المناجاة الرفيعة عظمة الخالق العظيم الذي لا تحيط العقول بكنه معرفته. يقول الشاعر:

فيكَ يا أُعجوبةَ الكونِ غَدا الفِكرُ عَليلاً   فكـري كُـلّما دانَ شِـبراً فـرَّ مـيلا

أَنْتَ حَيَّرتَ ذوي اللُّبِّ وَبَلْبَلْتَ الْعُقُولا

٢ ـ ومن مناجاته قوله عليه السلام:

«اللّهُمَّ مَناهِلُ كَراماتِكَ بِجَزيلِ عَطِيّاتِكَ مُتْرَعَةٌ، وَأَبْوابُ مُناجاتِكَ لِمَنْ أَمَّكَ ـأيْ قَصَدَكَـ مُشْرَعَةٌ، وَعَطوفُ لَحَظاتِكَ لِمَنْ ضَرَعَ إِلَيْكَ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٌ، وَقَدْ أُلْجِمَ الْحِذارُ، وَاشْتَدَّ الاضْطِرارُ، وَعَجزَ عَنِ الْإِصْطِبارِ أَهْلُ الْإِنْتِظارِ. وَأَنْتَ اللّهُمَّ بِالْمَرْصَدِ مِنَ الْمَكّارِ، وَغَيْرُ مُهْمِلٍ مَعَ الْإِمْهالِ، وَاللّائِذُ بِكَ آمِنٌ، وَالرّاغِبُ إِلَيْكَ غانِمٌ، وَالْقاصِدُ لِبابِكَ سالِمٌ، اللّهُمَّ فَعاجِلْ مَنْ قَدِ اسْتَنَّ في طُغْيانِهِ، وَاسْتَمَرَّ في جَهالَتِهِ لِعُقْباهُ في كُفْرانِهِ، وَأَطْمَعَهُ حِلْمُكَ عَنْهُ في نَيْلِ إِرادَتِهِ، وَهُوَ يَتَسَرَّعُ إِلىٰ أَوْلِيائِكَ بِمَكارِهِهِ، وَيُواصِلُهُمْ بِقَبائِحِ مَراصِدِهِ، وَيَقْصُدُهُمْ في مَظانِّهِمْ بِأَذِيَّتِهِ.

اللّهُمَّ اكْشِفِ الْعَذابَ عَنِ الْمُؤْمِنينَ، وَابْعَثْهُ جَهْرَةً عَلَى الظّالِمينَ، اللّهُمَّ اكْفُفْ الْعَذابَ عَنِ الْمُسْتَجيرينَ، وَاصْبُبْهُ عَلَى الْمُغْتَرّينَ، اللّهُمَّ بادِرْ عَصَبَةَ الْحَقِّ بِالْعَوْنِ، وَبادِرْ أَعْوانَ الظُّلْمِ بِالْقَصْمِ، اللّهُمَّ أَسْعِدنا بِالشُّكْرِ، وَامْنَحْنا النَّصْرَ، وَأَعِذْنا مِنْ سوءِ الْبَدْءِ، وَالْعاقِبَةِ وَالْخَتْرِ»[1].

وأنت ترى في هذا الدعاء مدى ما عاناه الإمام عليه السلام وشيعته المؤمنون من الظلم والجور من طاغية زمانه المتوكّل العبّاسي الذي لا عهد له بالشرف والإنسانيّة، وكان من أهمّ مقوّماته النفسيّة القتل وسفك الدماء.

---

(١) بحار الأنوار: ٨٢: ٢٢٦.

٣ ـ ومن مناجاته هذه المناجاة ، ويدعو فيها لشيعته ، ومن بنودها هذه الفقرات :

« أَسْأَلُكَ اللّٰهُمَّ بِاسْمِكَ الَّذي خَشَعَتْ لَهُ السَّمٰواتُ وَالْأَرْضُ ، وَأَحْيَيْتَ بِهِ مَواتَ الْأَشْياءِ ، وَأَمَتَّ بِهِ جَمِيعَ الْأَحْياءِ ، وَجَمَعْتَ بِهِ كُلَّ مُتَفَرِّقٍ ، وَفَرَّقْتَ بِهِ كُلَّ مُجْتَمِعٍ ، وَأَتْمَمْتَ بِهِ الْكَلِماتِ ، وَأَرَيْتَ بِهِ كُبْرَى الْآياتِ ، وَتُبْتَ بِهِ عَلَى التَّوّابِينَ ، وَأَخْسَرْتَ بِهِ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، فَجَعَلْتَ عَمَلَهُمْ هَباءً مَنْثُوراً ، وَتَبَّرْتَهُمْ تَتْبِيراً .. أَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تَجْعَلَ شِيعَتي مِنَ الَّذينَ حُمِّلُوا فَصَدَّقُوا ، وَاسْتُنْطِقُوا فَنَطَقُوا آمِنِينَ مَأْمُونِينَ .

اللّٰهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ لَهُمْ تَوْفِيقَ أَهْلِ الْهُدىٰ ، وَأَعْمالَ أَهْلِ الْيَقِينِ ، وَمُناصَحَةَ أَهْلِ التَّوْبَةِ ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ ، وَتَقِيَّةَ أَهْلِ الْوَرَعِ ، وَكِتْمانَ الصِّدِّيقِينَ ، حَتّىٰ يَخافُوكَ ـ اللّٰهُمَّ ـ مَخافَةً تَحْجُزُهُمْ عَنْ مَعاصِيكَ ، وَحَتّىٰ يَعْمَلُوا بِطاعَتِكَ لِيَنالُوا كَرامَتَكَ ، وَحَتّىٰ يُناصِحُوا لَكَ وَفِيكَ خَوْفاً مِنْكَ ، وَحَتّىٰ يُخْلِصُوا لَكَ النَّصِيحَةَ فِي التَّوْبَةِ حُبّاً لَكَ ، فَتُوجِبَ لَهُمْ مَحَبَّتَكَ الَّتي أَوْجَبْتَها لِلتَّوّابِينَ ، وَحَتّىٰ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْكَ في أُمُورِهِمْ كُلِّها حُسْنَ ظَنٍّ بِكَ ، وَحَتّىٰ يُفَوِّضُوا إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثِقَةً بِكَ . اللّٰهُمَّ لا تُنالُ طاعَتُكَ إِلّا بِتَوْفِيقِكَ ، وَلا تُنالُ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجاتِ الْخَيْرِ إِلّا بِكَ ، اللّٰهُمَّ يا مالِكَ يَوْمِ الدِّينِ ، الْعالِمَ بِخَفايا صُدُورِ الْعالَمِينَ ، طَهِّرِ الْأَرْضَ مِنْ نَجَسِ أَهْلِ الشِّرْكِ ، وَأَخْرِسِ الْخَرّاصِينَ عَنْ تَقَوُّلِهِمْ عَلىٰ رَسُولِكَ الْإِفْكَ . اللّٰهُمَّ اقْصِمِ الْجَبّارِينَ ، وَأَبِرِ الْمُفْتَرِينَ ، وَأَبِدِ الْأَفّاكِينَ الَّذينَ إِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمٰنِ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَأَنْجِزْ لي وَعْدَكَ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ .. »[١] .

---

(١) الصحيفة الرضويّة : ١٦٥ و ١٦٦ .

٤ ـ دعاء الإمام عليه السلام على المتوكّل

وضاق الإمام ذرعاً من المتوكّل الذي لم يترك لوناً من ألوان الاعتداء والتنكيل إلّا صبّها عليه ، فالتجأ الإمام إلى الله تعالى أن ينقذه ، فدعا عليه السلام بهذا الدعاء الذي هو من ذخائر أدعية أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وهذا نصّه :

« اللّهُمَّ إنّي وَفُلاناً ـ يَعْني الْمُتَوَكِّلَ ـ عَبْدانِ مِنْ عَبيدِكَ ، نَواصينا بِيَدِكَ ، تَعْلَمُ مُسْتَقَرَّنا وَمُسْتَوْدَعَنا ، وَتَعْلَمُ مُنْقَلَبَنا وَمَثْوانا ، سِرَّنا وَعَلانِيَتَنا ، وَتَطَّلِعُ عَلىٰ نَيّاتِنا ، وَتُحيطُ بِضَمائِرِنا ، عِلْمُكَ بِما نُبْديهِ كَعِلْمِكَ بِما نُخْفيهِ ، وَمَعْرِفَتُكَ بِما نُبْطِنُهُ كَمَعْرِفَتِكَ بِما نُظْهِرُهُ ، وَلَا يَنْطَوي عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ أُمورِنا ، وَلاَ يَسْتَتِرُ دُونَكَ حالٌ مِنْ أَحْوالِنا ، وَلا لَنا مِنْكَ مَعْقِلٌ يُحْصِّنُنا ، وَلا حِرْزٌ يُحْرِزُنا ، وَلَا هارِبٌ يَفُوتُكَ مِنّا ، وَلَا يَمْتَنِعُ الظّالِمُ مِنْكَ بِسُلْطانِهِ ، وَلا يُجاهِدُكَ عَنْهُ جُنودُهُ ، وَلَا يُغالِبُكَ مُغالِبٌ بِمَنْعَتِهِ ، وَلا يُعازُّكَ مُتَعَزِّزٌ بِكَثْرَةٍ ، أَنْتَ مُدْرِكُهُ أَيْنَما سَلَكَ ، وَقادِرٌ عَلَيْهِ أَيْنَ لَجأَ ، فَعاذَ الْمَظْلومُ مِنّا بِبابِكَ ، وَتَوَكَّلَ الْمَقْهورُ مِنّا عَلَيْكَ ، وَرُجوعُهُ إِلَيْكَ ، وَيَسْتَغيثُ بِكَ إذا خَذَلَهُ الْمُغيثُ ، وَيَسْتَصْرِخُكَ إذا قَعَدَ عَنْهُ النَّصيرُ ، وَيَلوذُ بِكَ إذا نَفَتْهُ الْأَفْنِيَةُ ، وَيَطْرُقُ بابَكَ إذا أُغْلِقَتْ دُونَهُ الْأَبْوابُ الْمُرْتَجَةُ ، وَيَصِلُ إِلَيْكَ إذا احْتَجَبَتْ عَنْهُ الْمُلوكُ الْغافِلَةُ ، تَعْلَمُ ما حَلَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْكوهُ إِلَيْكَ ، وَتَعْرِفُ ما يُصْلِحُهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعوكَ لَهُ ، فَلَكَ الْحَمْدُ سَميعاً بَصيراً ، لَطيفاً قَديراً »(١) .

تحدّث الإمام عليه السلام في هذا المقطع من دعائه عن علم الله تعالى ، وأنّه لا يخفى

---

(١) الصحيفة الرضويّة : ١٨٩ .

عليه شيء في السموات ولا في الأرض ، وأنّه عالم بخفايا الأمور وبواطنها ، وأسرار الأشياء ودقائقها ، كما تحدّث عن قدرته تعالى وأنّ كلّ شيء خاضع له ، فلا يمتنع عليه الظالم بسلطانه وجنوده ، وأنّه يأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وأنّ المظلوم لا ملجأ له سواه ، فبه يلوذ وبه يستجير ، ويستمر الإمام عليه السلام في دعائه :

« اللّٰهُمَّ إِنَّهُ قَدْ كانَ في سابِقِ عِلْمِكَ ، وَمُحْكَمِ قَضائِكَ ، وَجاري قَدَرِكَ ، وَماضي حُكْمِكَ ، وَنافِذِ مَشِيَّتِكَ في خَلْقِكَ أَجْمَعينَ ، سَعيدِهِمْ وَشَقِيِّهِمْ ، وَبَرِّهِمْ وَفاجِرِهِمْ ، أَنْ جَعَلْتَ لِفُلانِ بْنِ فُلانٍ ـ يعني المتوكّل ـ عَلَيَّ قُدْرَةً ، فَظَلَمَني ، وَبَغى عَلَيَّ ، وَتَعَزَّزَ عَلَيَّ بِسُلْطانِهِ الَّذي خَوَّلْتَهُ إِيّاهُ ، وَتَجَبَّرَ عَلَيَّ بِعُلُوِّ حالِهِ الَّتي جَعَلْتَها لَهُ ، وَغَرَّهُ إِمْلاؤُكَ لَهُ ، وَأَطْغاهُ حِلْمُكَ عَنْهُ ، فَقَصَدَني بِمَكْرُوهٍ عَجَزْتُ عَنِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ ، وَتَعَمَّدَني بِشَرٍّ ضَعُفْتُ عَنِ احْتِمالِهِ ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْإِنْتِصارِ مِنْهُ لِضَعْفي وَالْإِنْتِصافِ مِنْهُ لِذُلّي فَوَكَلْتُهُ إِلَيْكَ ، وَتَوَكَّلْتُ في أَمْرِهِ عَلَيْكَ ، وَتَوَعَّدْتُهُ بِعُقُوبَتِكَ ، وَحَذَّرْتُهُ سَطْوَتَكَ ، وَخَوَّفْتُهُ نِقْمَتَكَ ، فَظَنَّ أَنَّ حِلْمَكَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفٍ ، وَحَسِبَ أَنَّ إِمْلاءَكَ لَهُ مِنْ عَجْزٍ ، وَلَمْ تَنْهَهْ واحِدَةٌ عَنْ أُخْرىٰ ، وَلَا انْزَجَرَ عَنْ ثانِيَةٍ بِأُولىٰ ، وَلٰكِنَّهُ تَمادىٰ في غَيِّهِ ، وَتَتابَعَ في ظُلْمِهِ ، وَلَجَّ في عُدْوانِهِ ، وَاسْتَشْرى في طُغْيانِهِ جُرْأَةً عَلَيْكَ يا سَيِّدي ، وَتَعَرُّضاً لِسَخَطِكَ الَّذي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الظّالِمينَ ، وَقِلَّةَ اكْتِراثٍ بِبَأْسِكَ الَّذي لَا تَحْبِسُهُ عَنِ الْباغينَ .

فَها أَنا ذا يا سَيِّدي مُسْتَضْعَفٌ في يَدَيْهِ ، مُسْتَضامٌ تَحْتَ سُلْطانِهِ ، مُسْتَذَلٌّ بِعِقابِهِ ، مَغْلُوبٌ ، مَبْغِيٌّ عَلَيَّ ، مَغْضُوبٌ ، وَجِلٌ ، خائِفٌ مُرَوَّعٌ ، مَقْهُورٌ ، قَدْ قَلَّ

صَبْري ، وَضاقَتْ حيلَتي ، وَانْغَلَقَتْ عليَّ الْمَذاهِبُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَانْسَدَّتْ عَلَيَّ الْجِهاتُ إِلَّا جِهَتُكَ ، وَالْتَبَسَتْ عَلَيَّ أُموري في دَفْعِ مَكْرُوهِهِ عَنّي ، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيَّ الْآراءُ في إِزالَةِ ظُلْمِهِ ، وَخَذَلَني مَنِ اسْتَنْصَرْتُهُ مِنْ عِبادِكَ ، وَأَسْلَمَني مَنْ تَعَلَّقْتُ بِهِ مِنْ خَلْقِكَ ، وَاسْتَشَرْتُ نَصيحي فَأَشارَ عَلَيَّ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ ، وَاسْتَرْشَدْتُ دَليلي فَلَمْ يَدُلَّني إِلَّا عَلَيْكَ ، فَرَجَعْتُ إِلَيْكَ يا مَوْلايَ صاغِراً راغِماً مُسْتَكيناً عالِماً أَنَّهُ لا فَرَجَ لي إِلَّا عِنْدَكَ ، وَلا خَلاصَ لي إِلَّا بِكَ ، انْتَجِزُ وَعْدَكَ في نُصْرَتي ، وَإِجابَةِ دُعائي ، فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذي لا يُرَدُّ وَلا يُبَدَّلُ : ﴿ وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ ﴾[1] ، وَقُلْتَ جَلَّ جَلالُكَ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُكَ : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] .

فَها أَنا فاعِلٌ ما أَمَرْتَني بِهِ لا مَنّاً عَلَيْكَ ، وَكَيْفَ أَمُنُّ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيْهِ دَلَلْتَني ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَاسْتَجِبْ لي كَما وَعَدْتَني يا مَن لا يُخْلِفُ الْميعادَ .

وَإِنّي لَأَعْلَمُ يا سَيِّدي أَنَّ لَكَ يَوْماً تَنْتَقِمُ فيهِ مِنَ الظّالِمِ لِلْمَظْلُومِ ، وَأَتَيَقَّنُ أَنَّ لَكَ وَقْتاً تَأْخُذُ فيهِ مِنَ الْغاصِبِ لِلْمَغْصُوبِ ؛ لِأَنَّكَ لا يَسْبِقُكَ مُعانِدٌ ، وَلا يَخْرُجُ عَنْ قَبْضَتِكَ مُنابِذٌ ، وَلا تَخافُ فَوْتَ فائِتٍ ، وَلٰكِنْ جَزَعي وَهَلَعي لا يَبْلُغانِ بِيَ الصَّبْرَ عَلىٰ أَناتِكَ وَانْتِظارِ حُكْمِكَ ، فَقُدْرَتُكَ عَلَيَّ يا سَيِّدي وَمَوْلايَ فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ ، وَسُلْطانُكَ غالِبٌ عَلىٰ كُلِّ سُلْطانٍ ، وَمَعادُ كُلِّ أَحَدٍ

---

(١) الحجّ ٢٢ : ٦٠.

(٢) غافر ٤٠ : ٦٠.

إِلَيْكَ وَإِنْ أَمْهَلْتَهُ ، وَرُجُوعُ كُلِّ ظالِمٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْظَرْتَهُ ، وَقَدْ أَضَرَّني حِلْمُكَ عَنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، وَطُولُ أَناتِكَ لَهُ ، وَإِمْهالُكَ إِيّاهُ ، وَكادَ الْقُنُوطُ يَسْتَوْلي عَلَيَّ ، لَوْلا الثِّقَةُ بِكَ ، وَالْيَقينُ بِوَعْدِكَ ، فَإِنْ كانَ في قَضائِكَ النّافِذِ ، وَقُدْرَتِكَ الْماضِيَةِ أَنْ يُنيبَ أَوْ يَتُوبَ ، أَوْ يَرْجِعَ عَنْ ظُلْمي أَوْ يَكُفَّ عَنْ مَكْرُوهي ، وَيَنْتَقِلَ عَنْ عَظيمِ ما رَكِبَ مِنّي..

فَصَلِّ ـ اللّهُمَّ ـ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَوْقِعْ ذلِكَ في قَلْبِهِ السّاعَةَ السّاعَةَ قَبْلَ إِزالَتِهِ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ بِها عَلَيَّ ، وَتَكْديرِهِ مَعْرُوفَكَ الَّذي صَنَعْتَهُ عِنْدي ، وَإِنْ كانَ عِلْمُكَ بِهِ غَيْرَ ذلِكَ مِنْ مُقامِهِ عَلىٰ ظُلْمي ، فَأَسْأَلُكَ ـ يا ناصِرَ الْمَظْلُومِ الْمَبْغِيِّ عَلَيْهِ ـ إِجابَةَ دَعْوَتي .

فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَخُذْهُ مِنْ مَأْمَنِهِ أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ ، وَافْجَأْهُ في غَفْلَتِهِ مُفاجَأَةَ مَليكٍ مُنْتَصِرٍ ، وَاسْلُبْهُ نِعْمَتَهُ وَسُلْطانَهُ ، وَافْضُضْ عَنْهُ جُمُوعَهُ وَأَعْوانَهُ ، وَمَزِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، وَفَرِّقْ أَنْصارَهُ كُلَّ مُفَرَّقٍ ، وَأَعْرِهِ مِنْ نِعْمَتِكَ الَّتي لَمْ يُقابِلْها بِالشُّكْرِ ، وَانْزَعْ عَنْهُ سِرْبالَ عِزِّكَ الَّذي لَمْ يُجازِهِ بِالْإِحْسانِ ، وَاقْصِمْهُ يا قاصِمَ الْجَبابِرَةِ ، وَأَهْلِكْهُ يا مُهْلِكَ الْقُرُونِ الْخالِيَةِ ، وَأَبِرْهُ يا مُبيرَ الظّالِمَةِ ، وَأَخْذُلْهُ يا خاذِلَ الْفِئاتِ الْباغِيَةِ ، وَابْتُرْهُ عُمْرَهُ ، وَابْتَزَّ مُلْكَهُ ، وَعَفِّ أَثَرَهُ ، وَاقْطَعْ خَبَرَهُ ، وَأَطْفِ نارَهُ ، وَأَظْلِمْ نَهارَهُ ، وَكَوِّرْ شَمْسَهُ ، وَأَزْهِقْ نَفْسَهُ ، وَاهْشِمْ سُوقَهُ ، وَجُبَّ سَنامَهُ ، وَارْغِمْ أَنْفَهُ ، وَعَجِّلْ حَتْفَهُ ، وَلا تَدَعْ لَهُ جُنَّةً إِلّا هَتَكْتَها ، وَلا دِعامَةً إِلّا قَصَمْتَها ، وَلا كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إِلّا فَرَّقْتَها ، وَلا قائِمَةَ عُلُوٍّ إِلّا وَضَعْتَها ، وَلا رُكْناً إِلّا وَهَنْتَهُ ، وَلا سَبَباً إِلّا قَطَعْتَهُ ،

وَأَرِنا أَنْصارَهُ وَجُنُودَهُ وَأَحِبّاءَهُ وَأَرْحامَهُ عَبادِيدَ بَعْدَ الْأُلْفَةِ، وَشَتّىٰ بَعْدَ اجْتِماعِ الْكَلِمَةِ، وَمُقْنِعي الرُّؤُوسِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَى الْأُمَّةِ.

وَاشْفِ بِزَوالِ أَمْرِهِ الْقُلُوبَ الْمُنْقَلِبَةِ، وَالْأَفْئِدَةَ اللَّهِفَةِ، وَالْأُمَّةَ الْمُتَحَيِّرَةَ، وَالْبَرِيَّةَ الضّائِعَةَ، وَأَحْيِ بِبَوارِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ، وَالْأَحْكامَ الْمُهْمَلَةَ، وَالسُّنَنَ الدّاثِرَةَ، وَالْمَعالِمَ الْمُغَيَّرَةَ، وَالتِّلاواتِ الْمُتَغَيِّرَةَ، وَالْآياتِ الْمُحَرَّفَةَ، وَالْمَدارِسَ الْمَهْجُورَةَ، وَالْمَحارِيبَ الْمَجْفُوَّةَ، وَالْمَساجِدَ الْمَهْدُومَةَ، وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِماصَ السّاغِبَةِ، وَارْوِ بِهِ اللَّهَواتِ اللّاغِبَةَ، وَالْأَكْبادَ الظّامِيَةَ، وَأَرِحْ بِهِ الْأَقْدامَ الْمُتْعَبَةَ، وَأَطْرُقْهُ بِلَيْلَةٍ لَا أُخْتَ لَها، وَساعَةٍ لَا مَثْوىٰ فِيها، وَبِنَكْبَةٍ لَا انْتِعاشَ مَعَها، وَبِعَثْرَةٍ لَا إِقالَةَ مِنْها، وَأَبِحْ حَرِيمَهُ، وَنَغِّصْ نَعِيمَهُ، وَأَرِهِ بَطْشَتَكَ الْكُبرىٰ، وَنِقْمَتَكَ الْمُثْلىٰ، وَقُدْرَتَكَ الَّتي هِيَ فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ، وَسُلْطانَكَ الَّذي هُوَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطانِهِ، وَاغْلِبْهُ لي بِقُوَّتِكَ الْقَوِيَّةِ، وَمَحالِكَ الشَّدِيدِ، وَامْنَعْني بِمَنْعَتِكَ الَّتي كُلُّ خَلْقٍ فيها ذَليلٌ، وَابْتَلِهِ بِفَقْرٍ لَا تَجْبُرُهُ، وَبِسُوءٍ لَا تَسْتُرُهُ، وَكِلْهُ إِلىٰ نَفْسِهِ فيما يُرِيدُ، إِنَّكَ فَعّالٌ لِما تُرِيدُ.

وَأَبْرِئْهُ مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَكِلْهُ إِلىٰ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَزِلْ مَكْرَهُ بِمَكْرِكَ، وَادْفَعْ مَشِيَّتَهُ بِمَشِيَّتِكَ، وَاسْقِمْ جَسَدَهُ، وَأَيْتِمْ وُلْدَهُ، وَأَنْقِصْ أَجَلَهُ، وَخَيِّبْ أَمَلَهُ، وَأَزِلْ دَوْلَتَهُ، وَأَطِلْ عَوْلَتَهُ، وَاجْعَلْ شُغْلَهُ في بَدَنِهِ، وَلَا تَفُكَّهُ مِنْ حُزْنِهِ، وَصَيِّرْ كَيْدَهُ في ضَلالٍ، وَأَمْرَهُ إِلىٰ زَوالٍ، وَنِعْمَتَهُ إِلَى انْتِقالٍ، وَجَدَّهُ في سَفالٍ، وَسُلْطانَهُ في اضْمِحْلالٍ، وَعاقِبَتَهُ إِلىٰ شَرِّ مَآلٍ، وَأَمِتْهُ بِغَيْظِهِ إِذا أَمَتَّهُ، وَأَبْقِهِ لِحُزْنِهِ إِنْ أَبْقَيْتَهُ، وَقِني شَرَّهُ وَهَمْزَهُ وَلَمْزَهُ وَسَطْوَتَهُ وَعَداوَتَهُ، وَالْمَحْهُ

لَمْحَةً تُدَمِّرُ بِها عَلَيْهِ ، فَإنَّكَ أَشَدُّ بَأْساً ، وَأَشَدُّ تَنْكيلاً .

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ »(١)

وهذا الدعاء الشريف من كنوز آل محمّد عليهم السلام ومن ذخائر أدعيتهم ، وكان العلويّون يدعون به إذا دهمهم الحكّام الظالمون بالجور والتنكيل ، وهو دعاء مجرّب عندهم ، وأنّ الله تعالى يستجيب دعاءهم ، وينزل نقمته على الظالمين لهم .

وعلى أي حال ، فقد حكى هذا الدعاء مدى ما عاناه الإمام من الظلم والاضطهاد من الطاغية الفاجر الذي لم يألو جهداً في ظلم الإمام والتنكيل به واضطهاد العلويّين وشيعتهم ، فقد اقترف معهم كلّ إثم ، وكان عهده الأسود شبيهاً بحكّام الأمويّين الذين جهدوا على محاربة أهل البيت عليهم السلام واستئصال شيعتهم .

استجابة دعاء الإمام عليه السلام

واستجاب الله تعالى دعاء وليّه الإمام المظلوم على فرعون زمانه الطاغية المتوكّل الذي أُترعت نفسه بالعداء والكراهية لآل النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقد أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، فسلّط عليه ولده الشهم المنتصر ، فأوعز إلى الأتراك باغتياله ، فهجموا عليه ، وكان ثملاً سكراناً قد ملئت بطنه بالخمر ، فقطّعوه بسيوفهم ، وصار لحمه في كؤوس الخمر ، وقد انطوت صفحة من الصفحات السود التي أغرقت المسلمين بالفحشاء والمنكر ، وقد رثاه الشاعر الكبير البحتري بهذه الأبيات :

هكَذا فَلْتَكُنْ مَنايا الْكِرامِ ... بَيْنَ نايٍ وَمِزْهَرٍ وَمُدامِ
بَيْنَ كَأْسَيْنِ أَوْرَثاهُ جَميعاً ... كَأْسِ لَذّاتِهِ وَكَأْسِ الْحِمامِ
يَقِظٌ فِي السُّرُورِ حَتّىٰ أَتاهُ ... قَدَرُ اللهِ حَتْفُهُ فِي الْمَنامِ

---

(١) مهج الدعوات : ٣٢٠ ـ ٣٢٥ . المصباح / الكفعمي : ٢٨١ ـ ٢٨٦ . البلد الأمين : ٤٧٠ ـ ٤٧٥ .

وَالْـمَنايا مَـراتبٌ يـتفاضَلْـ ـنَ وَبِالمُرْهَفاتِ مَـوْتُ الْكِـرامِ
لَـمْ يَـزُرْ نَـفْسَهُ رَسُـولُ الْـمَنايا بِـصُنوفِ الْأَوْجـاعِ والْأَسْـقَامِ
هـابَه مُـعْلِناً فَـدَبَّ إِلَـيْهِ في سُتورِ الدُّجى بِحَدِّ الْحُسامِ(١)

لقد رثاه بهذه الأبيات التي مثّلت مجونه وخلاعته وتمرّده على القيم الإسلاميّة، فقد وافته المنيّة وهو بين كؤوس الخمر وآلات الطرب، وأنّ الأسقام والأوجاع لم تذلّ نفسه، فقد حصدت روحه السيوف، ولم يتجرّع من الآلام إلّا قليلاً، وكانت الملوك قبله ترثيهم الشعراء ببالغ الأسى والحزن، وتتأسّف على فقدانهم وخسارة الأمّة لفراقهم.

وعلى أيّ حال، فمن الجدير بالذكر أنّ هلاك المتوكّل كان بعد دعاء الإمام الهادي عليه السلام بثلاثة أيّام(٢)، وقد زال عن الإمام عليه السلام وباقي شيعته ذلك الكابوس المظلم، وقد سرّ الإمام بهلاكه كأعظم ما يكون السرور.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض أدعيته، وهي تضارع أدعية جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في سموّ فصاحتها، وعظيم بلاغتها كما تحكي بصورة واضحة معالي أخلاقه، ومكارم آدابه، ومدى تمسّكه بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة، وبذلك نطوي الحديث عن أخلاق الإمام الهادي عليه السلام التي هي من نفحات أخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله باعث الروح والعلم في الأجيال، ومتمّم مكارم الأخلاق.

---

(١) حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام: ٢٧٤.

(٢) المصدر المتقدّم: ٢٧١.

الإمام العسكري عليه السلام

الإمام أبو محمّد الحسن العسكري من أفذاذ العقل الإنساني وذلك بمواهبه وعبقرياته وطاقاته العلميّة وجهاده وتمرّده على الحكم العبّاسي المنحرف عن الحقّ والعدل، فقد كان الممثّل الوحيد للجبهة المعارضة التي نادت بحقوق الإنسان، وتبنّي القضايا العادلة التي لم يؤمن بها أُولئك الحكّام الذين اتّخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً، وقاوموا دعاة العدل الاجتماعي.

وعلى أيّ حال، فإنّ هذا الإمام الملهم العظيم قد ضارع في مثله وسموّ أخلاقه آبائه الأئمّة العظام الذين وهبوا أرواحهم لشريعة الله تعالى، وإقامة أحكامه على معالم الحياة العامّة، ونعرض لبعض وصاياه وتعاليمه في ميادين الأخلاق الرفيعة، ثمّ نعرض إلى مكارم آدابه وأخلاقه، وفيما يلي ذلك:

رسالة جامعة

أدلى الإمام الحسن عليه السلام بوصيّة جامعة لمكارم الأخلاق إلى شيعته جاء فيها:

«أُوصيكُم بِتَقْوَى اللهِ، وَالْوَرَعِ في دينِكُم، وَالْإِجْتِهادِ للهِ، وَصِدْقِ الْحَديثِ، وَأَداءِ الْأَمانَةِ إِلىٰ مَنِ ائْتَمَنَكُم مِنْ بَرٍّ أَوْ فاجِرٍ، وَطولِ السُّجودِ، وَحُسْنِ الْجِوارِ، فَبِهذا جاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، صَلّوا في عَشائِرِهِم، وَاشْهَدوا جَنائِزَهُم، وَعودوا مَرْضاهُم، وَأَدّوا حُقوقَهُم، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُم إذا وَرَعَ في

دينِهِ، وَصَدَقَ في حَديثِهِ، وَأَدّى الْأَمانَةَ، وَحَسَّنَ خُلْقَهُ مَعَ النّاسِ، قيلَ: هٰذا شيعيٌّ فَيَسُرَّني ذٰلِكَ، اتَّقُوا اللهَ، وَكُونُوا زَيْناً، وَلَا تَكُونوا شَيْناً، جُرّوا إِلَيْنا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وَارْفَعُوا عَنّا كُلَّ قَبيحٍ، فَإِنَّهُ ما قيلَ فينا مِنْ حَسَنٍ فَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَما قيلَ فينا مِنْ سوءٍ فَما نَحْنُ كَذٰلِكَ، لَنا حَقٌّ في كِتابِ اللهِ تَعالىٰ، وَقَرابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَطْهيرٌ مِنَ اللهِ لا يَدَّعيهِ أَحَدٌ غَيْرُنا إِلَّا كَذِبَ، أَكْثِروا ذِكْرَ اللهِ تَعالىٰ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ فَإِنَّ فِي الصَّلَاةِ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ حَسَناتٍ احْفَظوا ما وَصَّيْتُكُم بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ»(١).

حفلت هذه الوصيّة بروائع التربية الإسلاميّة التي ترفع الإنسان المسلم إلى أرقى مستويات الفضيلة والكمال، فقد أوصى شيعته على التحلّي بها، وهي:

١ ـ تقوى الله تعالى الذي هو من أفضل الصفات، فإنّ من يتّقي الله تعالى لا يقترف ذنباً ولا إثماً.

٢ ـ الورع عن محارم الله التي تلقي الإنسان في شرّ عظيم وتصدّه عن ذكر الله تعالى.

٣ ـ صدق الحديث وهو من الفضائل النفسيّه التي يسمو بها الإنسان.

٤ ـ أداء الأمانة للبرّ والفاجر.

٥ ـ حسن الجوار الذي هو من أقوى الروابط الاجتماعيّة التي أوصى بها الإسلام.

٦ ـ حسن السلوك وطيب المعاشرة مع الفِرق الإسلاميّة والاندماج معهم، والتعاطف معهم ليكون الشيعي انموذجاً رائعاً لمبادئ أهل البيت عليهم السلام.

٧ ـ الاكثار من ذكر الله تعالى، وذكر الموت، فإنّهما خير ضمان لسلامة الإنسان

---

(١) بحار الأنوار: ٧٨: ٣٧٢.

من السلوك في منعطفات التيه وسبل الضلال.

٨ - تلاوة القرآن الكريم الذي تزكو به النفس، وتخلق فيها طاقات من الوعي والإيمان هذه بعض محتويات هذه الوصيّة من القيم والآداب.

نصائح قيّمة

زوّد الإمام العسكري بعض أصحابه بهذه النصائح القيّمة والحكم الرائعة. قال عليه السلام:

«ادْفع الْمَسْأَلَةَ ما وَجَدْتَ التَّحَمُّلَ يُمْكِنْكَ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ خَبَراً جَديداً وَالْإِلْحاحُ في الْمَطالِبِ يَسْلُبُ الْبَهاءَ إِلَّا أَنْ يَفْتَحَ لَكَ باباً تَحْسُنُ الدُّخولُ فيهِ فَما أَقْرَبَ الصَّنْعَ مِنَ الْمَلْهُوفِ، وَرُبَّما كانَتْ الْغيرَةُ نَوْعاً مِنْ آدابِ اللهِ تَعالىٰ وَالْحُظوظُ مَراتِبٌ فَلَا تَعْجَلْ عَلىٰ ثَمَرَةٍ لَمْ تَدْرِكْ فَإِنَّها تُنالُ في أَوانِها، وَالْمُدَبِّرُ لَكَ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ الَّذي يُصْلِحُ حالَكَ فيهِ، فَثِقْ بِخَبْرَتِهِ في أُمُورِكَ، وَلَا تُعَجِّلْ حَوائِجَكَ في أَوَّلِ وَقْتِكَ، فَيَضيقَ قَلْبُكَ، وَيَغْشاكَ الْقُنوطُ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْحَياءِ مِقْداراً، فَإِنْ زادَ عَلىٰ ذٰلِكَ فَهُوَ ضَعْفٌ، وَلِلْجُودِ مِقْداراً، فَإِنْ زادَ عَلىٰ ذٰلِكَ فَهُوَ سَرَفٌ، وَلِلْاقْتِصادِ مِقْداراً، فَإِنْ زادَ عَلَيْهِ فَهُوَ بُخْلٌ، وَلِلشَّجاعَةِ مِقْداراً فَإِنْ زادَ عَلىٰ ذلِكَ فَهُوَ التَّهَوُّرُ»[1].

ما اعظم هذه الحكم القيّمة التي حوت كلّ ما يشرّف به الإنسان من القيم والأخلاق والآداب.

المحتوى:

أمّا محتوى هذه النصائح الرفيعة التي ألمّت بقواعد الأخلاق فهي:

(١) تنبيه الخواطر ونزهة الناظر: ١٤٣ - ١٤٤.

١ ـ تحمّل ضيق الحياة والترفّع عن مسألة الغير التي توجب ـ على الأكثر ـ الذلّ والمهانة للإنسان، خصوصاً إذا كان المسؤول لا عهد له بالأخلاق.

٢ ـ التحذير من الالحاح في طلب الحاجة، فإنّه يوجب سلب بهاء الشخص.

٣ ـ النهي عن العجلة في الأمور التي تؤدّي ـ على الأكثر ـ إلى الأضرار البالغة، ورحم الله المتنبّي إذ يقول:

قَدْ يُدرِكُ الْمُتَأَنّي بعضَ حاجَتِهِ   وَقَد يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

٤ ـ الاقتصاد في الحياء على القدر المتعارف، فإنّ الزيادة تؤدّي إلى الخسران.

٥ ـ أنّ للكرم حدّاً، فإذا زاد عليه فيكون تبذيراً وإسرافاً.

٦ ـ إنّ للاقتصاد حدّاً، فإذا زاد عنه فيكون بخلاً.

٧ ـ إنّ للشجاعة حدّاً، فإذا تجاوزه الإنسان فإنّه يكون متهوّراً.

التحذير من النفاق

حذّر الإمام عليه السلام من النفاق وذلك بذمّه للمنافقين، قال:

« بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْداً يَكونُ ذا وَجْهَيْنِ، وَذا لِسانَيْنِ، يُطْري أَخاهُ شاهِداً، وَيَأْكُلُهُ غائِباً، إنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ، وَإنْ ابْتُلِيَ خَذَلَهُ »[1].

من الأمراض الخبيثة النفاق، فإنّه يجعل المبتلى به كذّاباً وخائناً وغدّاراً، كما يجعله بعيداً عن كلّ صفة شريفة، ومن سماته أنّ المنافق يتوصّل إلى أطماعه وشهواته بكلّ طريق غير مشروع.

الغضب

حذّر الإمام أبو محمّد عليه السلام من الغضب، وذلك لما ينجم عنه من الشرّ وإزهاق

---

(١) بحار الأنوار: ٧٨: ٣٧٣.

الأنفس ، وغيره من مآثم الحياة ، قال عليه السلام :

« الْغَضَبُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ » .

وبهذا نطوي الحديث عن بعض ما أُثر عن الإمام أبي محمّد عليه السلام من الحثّ على التحلّي بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات .

مكارم أخلاقه

أمّا معالي أخلاق الإمام أبي محمّد الإمام أبي محمّد عليه السلام فإنّها نفحة من أخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله مفجّر النور والوعي في دنيا العرب ، وهذه شذرات من سموّ أخلاقه :

١ ـ الحلم

من الصفات البارزه في أخلاق الإمام أبي محمّد عليه السلام سعة الحلم ، فقد كان من أحلم النّاس وأكظمهم للغيظ ، وأكثرهم عفواً وصفحاً لمن أساء إليه ، وقد عمدت الحكومات العبّاسيّة الجائرة إلى اعتقاله وزجّه في سجونها كما صنعت بأبيه الهادي من قبل ، وهو صابر محتسب لم يشكو إلى أي أحد سوى الله تعالى .

٢ ـ قوّة إرادته

وتميّز الإمام أبو محمّد عليه السلام بإرادته الصلبة ، وعزمه الجبّار شأنه شأن جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي قاوم الإلحاد والشرك ، وصمد أمام طغاة قريش ، وقال الكلمة الذهبيّة الخالدة : **« وَاللهِ لَوْ وَضَعوا الشَّمْسَ بِيَميني ، وَالْقَمَرَ بِيَساري عَلىٰ أَنْ أَتْرُكَ هٰذَا الْأَمْرَ ما تَرَكْتُهُ حَتّىٰ أَمُوتَ ، أَوْ يُظْهِرَهُ اللهُ تَعالىٰ »** ، وكذلك وقف حفيده أمام المدّ الجاهلي في حكومة العبّاسيّين ، فقد بقي صامداً ينكر عليهم سياستهم السوداء التي

تفجّرت بكلّ ما خالف الله ورسوله ، وقد جهد العبّاسيّون أنّ يضمّوه إلى جهازهم ، وينعموا عليه بالأموال الطائلة والمناصب الرفيعة إلّا أنّه أصرّ على موقفه في إنكار مخطّطاتهم الرامية إلى إشاعة المنكر والفساد ، وإنفاق اقتصاد الأُمّة على شهواتهم ولياليهم الحمراء ، حتّى اعتبره العبّاسيّون الممثّل الوحيد لقوى المعارضة لسياستهم السوداء القائمة على الظلم والطغيان .

٣ ـ السخاء

وثمّة ظاهرة أُخرى من أخلاق أبي محمّد عليه السلام ونزعاته وهي الكرم والسخاء ، فقد كان من أندى النّاس كفّاً وأبرهم بالفقراء والبؤساء ، وهذه لقطات من جوده :

١ ـ إنّه أقام وكلاءً له في معظم المناطق الإسلاميّة التي تدين بإمامته ، وعهد إليهم بقبض ما يرد إليه من الحقوق الشرعيّة وإنفاقها على الفقراء والمحرومين وإصلاح ذات البين ، وغير ذلك ممّا ينفع النّاس .

٢ ـ ومن فيض كرمه أنّ العلويّ محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام روى أنّ ضائقة اقتصاديّة ألمّت بهم ، فقال له أبوه :

« امضِ بنا إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمّد ـ فإنّه قد وصف لنا سماحه » .

فانبرى ولده قائلاً :

« أتعرفه ؟ » .

« ما أعرفه ولا رأيته قطّ » .

ويعود السبب في هذا التقاطع بين العلويّين إلى الضغط الهائل الذي صبّه العبّاسيون على السادة أبناء النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقد أشاعوا فيهم القتل وخلّدوا الكثيرين منهم في ظلمات السجون ، خصوصاً من يتّصل منهم بأئمّة أهل البيت عليهم السلام .

وعلى أي حال ، فقد قال الأب :

« ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا ـ يعني أبا محمّد ـ بخمسمائة درهم ؛ مائتان منها للكسوة ، ومائتان منها للدقيق ، ومائة للنفقة » ، وقال ولده :

« ليته أمر لي بثلاثمائة درهم ؛ مائة أشتري بها حماراً ، ومائة للنفقة ، ومائة للكسوة ، فأخرج إلى الجبل ، ولمّا تشرّفوا بمقابلة الإمام قابلهم بمزيد من الحفاوة والتكريم ، وأرسل إليهم غلامه فأعطى الأب خمسمائة درهم لما تمنّاه ، وأعطى ولده ثلاثمائة دينار ، وهو ما كان يحلم به ، وأمره أن لا يخرج إلى الجبل ، ويصير إلى سوراء[1] ، وتحسّنت حالة العلويّين ببركة الإمام .

٣ ـ ومن برّه وكرمه ما رواه الثقة أبو هاشم الجعفري ، وكان مسجوناً ، فكتب له رسالة يشكو فيها ضيق الحبس ، وكلب القيد[2] ، فكتب إليه :

« أَنْتَ تُصَلّي الظُّهْرَ الْيَوْمَ في مَنْزِلِكَ » .

ولم يلبث حتّى أُفرج عنه ، وصلّى صلاة الظهر في بيته ، وكان أبو هاشم في ضيق ، فبعث له الإمام عليه السلام مائة دينار ، وكتب له : **« إذا كانَتْ لَكَ حاجَةٌ فَلا تَسْتَحِ وَلَا تَحْتَشِمْ ، وَاطْلُبْها فَإنَّكَ عَلىٰ ما تُحِبُّ إنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ »**[3] .

هذه بعض البوادر من بحر كرمه وجوده الذي أنقذ الفقراء والمحرومين .

٤ ـ سموّ الأخلاق

كان الإمام أبو محمّد عليه السلام على جانب عظيم من سموّ الأخلاق ، فكان يقابل الصديق والعدوّ ببسمات فيّاضة بالبشر ، وقد ورث هذه الظاهرة من جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي وسع النّاس بمكارم أخلاقه ، حتّى انقلب أعداؤه من البغض والكراهية له إلى

---

(١) كشف الغمّة : ٣ : ٢٠٠ .

(٢) **الكلب** : الشدّة والضيق .

(٣) كشف الغمّة : ٣ : ٢٠٢ .

الحبّ والمودّة له ، وقد سلك هذا الخطّ حفيده ووصيّه الإمام أبو محمّد عليه السلام ، فقد نقل الرواة أنّه حبس عند أحد أعضاء السلطة العبّاسيّة ، وكان شديد الكراهية والبغض للإمام ، وقد أوعز إليه الملك العبّاسي بالتنكيل بالإمام والتشديد عليه ، إلّا أنّه لمّا اتّصل بالإمام وشاهد سموّ أخلاقه وعظيم هديه وإيمانه انقلب رأساً على عقب فكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وتعظيماً وتكريماً له ، ولمّا خرج الإمام عليه السلام من السجن كان من أحسن النّاس بصيرة ، وأحسنهم قولاً في الإمام(١) .

٥ - إنابته عليه السلام إلى الله تعالى

كان الإمام أبو محمّد عليه السلام أعبد أهل زمانه ، وأكثرهم إنابة وطاعة لله تعالى ، فكان يحيي لياليه بالصلاة وتلاوة الكتاب ، والسجود لله تعالى ، قال محمّد الشاكري : كان الإمام يجلس في المحراب ، ويسجد ، فأنام وأنتبه وهو ساجد(٢) . لقد أناب الإمام إلى الله تعالى ، وأخلص في عبادته وطاعته كآبائه الذين وهبوا أرواحهم لله تعالى ، وكانوا حملة رسالته ، ودعاته الواقعيّين في الأرض .. وهذه لمحات عن بعض شؤونه العباديّة :

صلاته عليه السلام

كان الإمام أبو محمّد عليه السلام إذا أقبل على صلاته ترتعد فرائصه ، ويصفرّ لونه ، ويتّجه بقلب سليم نحو الله تعالى خالق الأكوان وواهب الحياة ، فلم يرَ النّاس مثله في خشوعه وخضوعه لله تعالى في أثناء صلاته التي هي أعظم العبادات شأناً .

دعاؤه عليه السلام في قنوت صلاته

كان الإمام أبو محمّد عليه السلام إذا صلّى دعا في قنوته بهذا الدعاء الجليل :

---

(١) كشف الغمّة : ٣ : ٢٠٤ .

(٢) دلائل الإمامة : ١ : ٢٢٧ .

«يا مَنْ غَشِيَ نُورُهُ الظُّلُماتِ، يا مَنْ أَضاءَتْ بِقُدْسِهِ الفِجاجُ الْمُتَوَعِّراتُ، يا مَنْ خَشَعَ لَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمٰواتِ، يا مَنْ بَخَعَ لَهُ بِالطّاعَةِ كُلُّ مُتَجَبِّرٍ عاتٍ، يا عالِمَ الضَّمائِرِ الْمُسْتَخْفِياتِ، وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، فاغْفِرْ لِلَّذينَ تابُوا، وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ، وَعاجِلْهُمْ بِنَصْرِكَ الَّذي وَعَدْتَهُم إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعادَ، وَعَجِّلِ اللّٰهُمَّ اجْتِياحَ أَهْلِ الْكَيْدِ، وَآوِهِمْ إِلىٰ شَرِّ دارٍ في أَعْظَمِ نَكالٍ، وَأَقْبَحِ مَثابٍ.

اللّٰهُمَّ إِنَّكَ حاضِرٌ أَسْرارَ خَلْقِكَ، وَعالِمٌ بِضَمائِرِهِمْ، وَمُسْتَغْنٍ ـ لَوْلَا النَّدْبُ بِاللَّجَأِ إِلىٰ تَنَجُّزِ ما وَعَدْتَهُ اللّاجِئَ عَنْ كَشْفِ مَكامِنِهِمْ، وَقَدْ تَعْلَمُ يا رَبِّ ما أُسِرُّهُ وَما أُبْدِيهِ، وَأَنْشُرُهُ وَأَطْوِيهِ، وَأُظْهِرُهُ وَأُخْفِيهِ عَلىٰ مُتَصَرِّفاتِ أَوْقاتي وَأَصْنافِ حَرَكاتي مِنْ جَمِيعِ حاجاتي، وَقَدْ تَرىٰ يا رَبِّ ما قَدْ تَراطَمَ فيهِ أَهْلُ وِلايَتِكَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْدائِكَ، غَيْرَ ظَنِينٍ في كَرَمٍ، وَلَا ظَنِينٍ بِنِعَمٍ، وَلٰكِنَّ الْجَهْدَ يَبْعَثُ عَلَى الْاِسْتِزادَةِ، وَما أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعاءِ ـ إِذا أُخْلِصَ لَكَ اللَّجَأُ ـ يَقْتَضي إِحْسانُكَ شَرْطَ الزِّيادَةِ، وَهٰذِهِ النَّواصي وَالْأَعْناقُ خاضِعَةٌ لَكَ بِذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ، وَالْاِعْتِرافِ بِمَلَكَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، داعِيَةٌ بِقُلُوبِها، وَمُشْخَصاتٌ إِلَيْكَ في تَعْجِيلِ الْاِنالَةِ، وَما شِئْتَ كانَ وَما تَشاءُ كائِنٌ.

أَنْتَ الْمَدْعُوُّ الْمَرْجُوُّ، الْمَأْمُولُ الْمَسْؤُولُ، لَا يَنْقُصُكَ نائِلٌ وَإِنِ اتَّسَعَ، وَلَا يُلْحِفُكَ سائِلٌ، وَإِنْ أَلَحَّ وَضَرَعَ.

مُلْكُكَ لَا يُخْلِقُهُ التَّنْفِيدُ، وَعِزُّكَ الْباقي عَلَى التَّأْبِيدِ، وَما في الْأَعْصارِ مِنْ مَشِيَّتِكَ بِمِقْدارٍ، وَأَنْتَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّؤُوفُ الْجَبّارُ.

اللّٰهُمَّ أَيِّدْنا بِعَوْنِكَ، وَاكْنُفْنا بِصَوْنِكَ، وَأَنِلْنا مَنالَ الْمُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِكَ

الْمُسْتَظِلّينَ بِظِلِّكَ»(١).

حكى هذا الدعاء النعوت الكريمة والأوصاف العظيمة التي أضفاها الإمام عليه السلام على الخالق العظيم ، وهو ممّا ينمّ عن معرفته الكاملة بعظمة الله تعالى ، لقد كان هو وآباؤه دعاة التوحيد والأدلّاء على مرضاته تعالى ، وقد ألحّ الإمام عليه السلام في دعائه إلى ما يعانيه المسلمون في عصره من الاضطهاد والتنكيل من حكّام بني العبّاس الذين جهدوا على ظلم النّاس وإرغامهم على ما يكرهون .

دعاء آخر لقنوته عليه السلام

وأُثر عن الإمام أبي محمّد عليه السلام دعاء آخر في قنوت صلاته ، كان يدعو به على ملوك عصره الذين استباحوا ما حرّم الله تعالى ، ويذكر فيه ظلمهم للرعيّة ، واعتدائهم الصارخ عليه ، وهو من الأدعية السياسيّة ، وهذه بعض بنوده :

« اللّهُمَّ وَقَدْ شَمِلَنا زَيْغُ الْفِتَنِ ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْنا عَشْوَةُ الْحَيْرَةِ ، وَقارَعَنا الذُّلُّ وَالصَّغارُ ، وَحَكَمَ عَلَيْنا غَيْرُ الْمَأْمُونينَ عَلىٰ دينِكَ ، وَابْتَزَّ أُمُورَنا مَعادِنُ الْأُبَنِ مِمَّنْ عَطَّلَ حُكْمَكَ ، وَسَعىٰ في إِتْلافِ عِبادِكَ ، وَإِفْسادِ بِلَادِكَ .

اللّهُمَّ وَقَدْ عادَ فَيْئُنا دَوْلَةً بَعْدَ الْقِسْمَةِ ، وَإِمارَتُنا غَلَبَةً بَعْدَ الْمَشُورَةِ ، وَعُدْنا ميراثاً بَعْدَ الْإِخْتيارِ لِلْأُمَّةِ ، وَاشْتُرِيَتِ الْمَلَاهي وَالْمَعازِفُ بِسَهْمِ الْيَتيمِ وَالْأَرْمَلَةِ ، وَرَعىٰ في مالِ اللهِ مَنْ لا يَرْعىٰ لَهُ حُرْمَةً ، وَحَكَمَ في الْمُؤْمِنينَ أَهْلُ الذِّمَّةِ ، وَوَلِيَ الْقِيامَ لِلْيَتيمِ بِأُمُورِهِمْ فاسِقُ كُلِّ قَبيلَةٍ ، فَلا ذائِدَ يَذُودُهُمْ عَنْ هَلَكَةٍ ، وَلا راعٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ ، وَلا ذُو شَفَقَةٍ يُشْبِعُ الْكَبِدَ الْحَرّىٰ مِنْ مَسْغَبَةٍ ، فَهُمْ أُولُوا ضَرَعٍ بِدارِ مَضْيَعَةٍ ، وَأُسَراءُ مَسْكَنَةٍ ، وَخُلَفاءُ كَآبَةٍ وَذِلَّةٍ .

---

(١) مهج الدعوات : ٦٢ ـ ٦٣.

اللّهُمَّ وَقَدِ اسْتَحْصَدَ زَرْعُ الْباطِلِ ، وَبَلَغَ نِهايَتَهُ ، وَاسْتَحْكَمَ عَمُودُهُ ، وَاسْتَجْمَعَ طَرِيدُهُ ، وَخَذْرَفَ وَلِيدُهُ ، وَبَسَقَ فَرْعُهُ ، وَضَرَبَ بِجِرانِهِ .

اللّهُمَّ فاتِحْ لَهُ مِنَ الْحَقِّ يَداً حاصِدَةً تَصْرَعُ قائِمَهُ ، وَتَهْشِمُ سُوقَهُ ، وَتَجُذُّ سَنامَهُ ، وَتَجْدَعُ مَراغِمَهُ ، لِيَسْتَخْفِيَ الْباطِلُ بِقُبْحِ صُورَتِهِ ، وَيَظْهَرَ الْحَقُّ بِحُسْنِ حِلْيَتِهِ .

اللّهُمَّ لَا تَدَعْ لِلْجَوْرِ دِعامَةً إِلَّا قَصَمْتَها ، وَلَا جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَها ، وَلَا كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إِلَّا فَرَّقْتَها ، وَلَا سَرِيَّةَ ثِقْلٍ إِلَّا خَفَّفْتَها ، وَلَا قائِمَةَ عُلُوٍّ إِلَّا حَطَطْتَها ، وَلَا رافِعَةَ عِلْمٍ إِلَّا نَكَّسْتَها ، وَلَا خَضْراءَ إِلَّا أَبَرْتَها .

اللّهُمَّ فَكَوِّرْ شَمْسَهُ ، وَحُطَّ نُورَهُ ، وَاطْمِسْ ذِكْرَهُ ، وَارْمِ بِالْحَقِّ رَأْسَهُ ، وَفُضَّ جُيُوشَهُ ، وَارْعِبْ قُلُوبَ أَهْلِهِ .

اللّهُمَّ وَلَا تَدَعْ مِنْهُ بَقِيَّةً إِلَّا أَفْنَيْتَ ، وَلَا بَنِيَّةً إِلَّا سَوَّيْتَ ، وَلَا حَلَقَةً إِلَّا فَصَمْتَ ، وَلَا سِلاحاً إِلَّا أَكْلَلْتَ ، وَلَا حَدّاً إِلَّا فَلَلْتَ ، وَلَا كُراعاً إِلَّا اجْتَحْتَ ، وَلَا حامِلَةَ عَلَمٍ إِلَّا نَكَّسْتَ»[١] .

أرأيتم ما حلّ بالوطن الإسلامي من الانتهاك لحرمات الله تعالى ، وما اقترفه اُولئك الملوك الظلمة من بني العبّاس من الظلم والجور والفساد ، والعبث بمقدّرات الاُمّة .

أرأيتم هذا الدعاء الحادّ من الإمام عليه‌السلام على أئمّة الجور والفساد في الأرض .

---

(١) الصحيفة الرضويّة الجامعة ـ أدعية الإمام الحسن العسكري : ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه

هو المصلح الأعظم الذي يغيّر مجرى تأريخ العالم ، ويقضي على الظلم والجور ، وينشر الأمن والسلام العالمي في الأرض ، ويشيع الرخاء فلا يبقى ظلّ للبؤس والحاجة ، ولا ظلّ للخوف والارهاب .

إنّ الإمام المهدي عليه السلام هو الرحمة الكبرى التي يفيضها الله تعالى على عباده ليقيم أودهم ، ويهديهم للتي هي أقوم ، وينشر الإسلام العظيم على حقيقته النازلة من ربّ العالمين ، وقد اختاره الله تعالى من بين أوليائه لنشر الإصلاح الاجتماعي ، وإقامة المثل العليا في الأرض ؛ لأنّه من أكثر النّاس نكراناً للذات ، ومن أنفذهم بصيرة ، ومن أرقّهم قلباً ، ومن أصفاهم طبعاً .

إنّ البشريّة المروعة بالويلات والكوارث والحروب لا ينقذها من المحن والخطوب إلّا قائم آل محمّد عليه السلام الذي بشّر بحتميّة ظهوره النبيّ صلى الله عليه وآله وأوصيائه الأئمّة العظام عليهم السلام[1] .

وقد حازت الأخبار في ظهوره الدرجة القطعيّة ، وصدّقها أئمّة الحديث ، وآمن بها الحفّاظ مجمعين على تدوينها في الصحاح والسنن ، حتّى صار التشكيك فيها تشكيك في إحدى ضروريّات الدين ، وقد نقل الرواة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال :

---

(١) عرضنا إلى النصوص المتظافرة في خروج الإمام المهدي عليه السلام في كتابنا حياة الإمام المهدي المنتظر المصلح الأعظم عليه السلام : ١٧٦ ـ ١٩٦ .

« مَنْ أنْكَرَ خُروجَ الْمَهْديّ فَقَدْ كَفَرَ بِما اُنْزِلَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله »(١).

وهذا عرض لبعض مكارم أخلاقه ، ومحاسن صفاته ، كما نذكر بعض أدعيته :

مكارم أخلاقه

١ ـ صبره عليه السلام

ومن معالي أخلاق الإمام القائم صلوات الله تعالى عليه الصبر على الكوارث والمحن والخطوب ، فهو من أعظم الأئمّة عليهم السلام محنة ، وأشدّهم بلاءً ، فهو يرى في هذه الفترة الطويلة من حياته الأحداث الجسام التي داهمت العالم الإسلامي ، ومزّقت أشلاؤه ، ووقعت الاُمّة بجميع شرائحها صريعة بأيدي المستعمرين والكافرين ، فأشاعوا فيها الباطل والإثم ، وعطّلوا أحكام الله تعالى وحدوده ، ونهبوا ثرواتها ، وتحكّموا في قضاياها المصيريّة ، وجميع هذه الأحداث الرهيبة ، والمناظر المفزعة بمرأى من الإمام عليه السلام ومسمع ، ومن المؤكّد أنّ الحزن قد نخب قلبه الشريف ، وأذاقه آلاماً مرهقة ، فإنّه سلام الله عليه بحكم قيادته الروحيّة والزمنيّة لهذه الاُمّة واُبوّته العامّة لها مسؤول عن رعايتها والاهتمام بجميع شؤونها ، إلّا أنّه خلد إلى الصبر ، وتجرّع الغصص والآلام ، وفوّض جميع ذلك إلى الله تعالى ينتظر منه الإذن للقيام بإصلاح العالم الذي أفسدته السياسات الظالمة التي لا نصيب لها من الرحمة بشؤون النّاس .

٢ ـ زهده عليه السلام

وتشابهت سيرة أهل البيت عليهم السلام وسلوكهم في جميع مجالات الحياة الأخلاقيّة

---

(١) عقد الدرر : ٢٣ . أعيان الشيعة : ٤ : ٤٣١ . لسان الميزان : ٥ : ١٣٠ .

والفكريّة ، والتي منها الزهد في الدنيا ، والرفض الكامل لجميع مباهج الحياة وزينتها ، فلا تقرأ سيرة إمام منهم إلّا تجد البارز فيها الإعراض عن الدنيا ، وقد أُثرت كوكبة من الأحاديث من الأئمّة في زهد الإمام المنتظر قبل أن يولد ، هذه بعضها :

١ ـ روى معمّر بن خلّاد عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه‌السلام أنّه قال :

« ما لِباسُ الْقائِمِ إلّا الْغَلِيظُ ، وَما طَعامُهُ إلّا الشَّعيرُ الْجَشِبُ »(١).

٢ ـ روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه‌السلام أنّه قال :

« ما تَسْتَعْجِلُونَ بِخُروجِ الْقائِمِ ، فَوَاللهِ ! ما لِباسُهُ إلّا الْغَليظُ ، وما طَعامُهُ إلّا الشَّعيرُ الْجَشِبُ »(٢).

٣ ـ روى عليّ بن أبي حمزة عن الإمام الصادق عليه‌السلام :

« ما لِباسُهُ ـ يَعْني الإمام المنتظر ـ إلّا الغلَيظُ ، وَما طَعامُهُ إلّا الْجَشِبُ »(٣).

إنّ الزهد في الدنيا ، والإعراض عن متعها وزينتها سمة ظاهرة عند جميع أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام ، ولذا اختارهم الله تعالى هداة لعباده ، وأدلّاء على مرضاته ، واختار القائم المنتظر بالخصوص لإنقاذ العالم من الظلم والجور وتطهيره من غطرسة الحاكمين والظالمين.

٣ ـ شجاعته عليه‌السلام

أمّا الإمام المنتظر عليه‌السلام فهو من أشجع النّاس قلباً ، ومن أربطهم جأشاً ، وأقواهم عزيمة ، فهو كجدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في شجاعته وقوّة بأسه ، فقد قاوم النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قوى الشرك ، وحطّم الأوثان ، ودمّر ركائز الجهل ، وأعلن حقوق الإنسان ، وقد قابله

---

(١) و (٣) حياة الإمام المهدي المنتظر المصلح الأعظم عليه‌السلام : ٤٠ ، نقلاً عن غيبة النعماني.

(٢) حياة الإمام المهدي المنتظر المصلح الأعظم عليه‌السلام : ٤٠ ، نقلاً عن الغيبة للشيخ الطوسي.

بشراسة ذئاب الشرك ، وضروس الكفر ، إلّا أنّه صلى الله عليه وآله سحق رؤوسهم ، ومزّق جنودهم ، ونصره الله تعالى عليهم ، ويمثل هذا الدور الجهادي المشرق يقوم الإمام المنتظر سلام الله عليه ، فلا يبقِ للظالمين عرقاً ، ويسقي الطغاة كأساً مصبرة ، ويعيد للإسلام كرامته ومجده وعزّه وسلطانه وحكمه عجّل الله فرجه .

٤ ـ صلابته عليه السلام في الحقّ

أمّا القائم المنتظر عليه السلام ، فهو من أصلب المدافعين عن الحقّ ، ومن أكثرهم تفانياً واندفاعاً لنصرة المظلومين والمضطهدين شعوباً وأفراداً ، لا تأخذه في إقامة الحقّ ، ونشر العدل لومة لائم ، شأنه شأن آبائه الأئمّة المطهّرين الذين وهبوا أرواحهم لله تعالى ، وقدّموها قرابين لإقامة العدل الاجتماعي بين النّاس .

إنّ الدنيا إذا أشرقت بظهور المصلح العظيم القائم المنتظر عليه السلام، فإنّ الباطل سيزول ، ويقام العدل بجميع رحابه بين النّاس ، ولا ظلّ للغبن والظلم والجور في الأرض (١) .

٥ ـ سخاؤه عليه السلام

أمّا الإمام المنتظر عليه السلام فهو من أجود الناس وأسخاهم ، وأكثرهم عطاء ، وأجمع الرواة على أنّ الإمام عليه السلام إذا ظهر يوزّع خيرات الله تعالى على خلقه ، فلا يختصّ بها فريق دون فريق ، ولا يبقى بائس وفقير على وجه الأرض ، وحتّى لا يجد من وجبت عليه الزكاة فقيراً يعطيها له ، وهذه بعض الأحاديث النبويّة وغيرها التي تحدّثت عن فيض جوده :

١ ـ روى أبو سعيد عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن كرم الإمام المهدي عليه السلام ، قال :

« يَجيءُ الرَّجُلُ إِلَيْهِ ـ أي إلى الإمامِ الْمُنتَظَرِ ـ فَيَقُولُ : يا مَهْدي ، أَعْطِني ، أَعْطِني ،

---

(١) حياة الإمام المهدي المنتظر المصلح الأعظم عليه السلام : ٤٤ .

فَيَحْثي لَهُ في ثَوبِهِ ما اسْتَطاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ »[١] .

٢ ـ روى ابن عساكر بسنده عن النبيّ ﷺ أنّه قال :

« يَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ خَليفَةٌ يَحْثُو الْمالَ حَثْواً »[٢] .

٣ ـ روى جابر قال : أقبل رجل على الإمام أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر ، فقال : رحمك الله ، اقبض هذه الخمس مائة درهم فضعها في مواضعها ، فإنّها زكاة أموالي ، فقال له أبو جعفر :

« بَلْ خُذْها أَنْتَ فَضَعْها في جيرانِكَ وَالْأَيْتامِ وَالْمَساكِينِ ، وَفي إِخْوانِكَ مِنَ الْمُسْلِمينَ ، إِنَّما يَكُونُ هٰذا إذا قامَ قائِمُنا فَإِنَّهُ يُقَسِّمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَيَعْدِلُ في خَلْقِ الرَّحْمٰنِ ، الْبَرِّ مِنْهُمْ وَالْفاجِرِ ، فَمَنْ أَطاعَهُ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصاهُ فَقَدْ عَصَى اللهَ ، فَإِنَّما سُمِّيَ الْمَهْدِيَ لِأَنَّهُ يَهْدي لِأَمْرٍ خَفِيّ ، يَسْتَخْرِجُ التَّوْراةَ وَسائِرَ الْكُتُبِ مِنْ غارٍ بِـ (أَنْطاكِيَة) ، فَيَحْكُم بِأَهْلِ التَّوْراةِ بِالتَّوْراةِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجيلِ بِالْإِنْجيلِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزَّبُورِ بِالزَّبُورِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقانِ بِالْفُرْقانِ ، وَتُجْمَعُ إِلَيْهِ أَمْوالُ الدُّنْيا كُلُّها ، ما في بَطْنِ الْأَرْضِ وَظَهْرِها ، فَيَقُولُ لِلنّاسِ : تَعالَوا إِلىٰ ما قَطَعْتُمْ فيهِ الْأَرْحامَ ـ أَشارَ إِلَى الْأَمْوالِ ـ وَسَفَكْتُمْ فيهِ الدِّماءَ ، وَرَكِبْتُمْ فيهِ مَحارِمَ اللهِ ، فَيُعْطي لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ كانَ قَبْلَهُ »[٣] .

إلى غير ذلك من الأخبار التي أعلنت أنّه بحر من الجود ، وفيض من الكرم والسخاء ، وأنّه الذي ينقذ الفقراء من العري والجوع ، ويشيع فيهم الغنى والثراء .

٦ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ

أمّا الإمام المنتظر عليه السلام فهو من أعظم المنيبين إلى الله تعالى ، ومن أكثرهم طاعة

---

(١) منتخب كنز العمّال : ٦ : ٢٩ . ينابيع المودّة : ٢٤٣ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١ : ١٨٦ . منتخب كنز العمّال : ٦ : ٣٠ .

(٣) حياة الإمام المهدي المنتظر المصلح الأعظم عليه السلام : ٤٥ و ٤٦ .

وتحرّجاً في الدين ، وهو في معظم أوقاته صائم في النهار ، قائم بالليل ، وقد أُثرت عنه بعض الأدعية الشريفة التي كان يدعو في بعضها في قنوت صلاته ، وبعضها في غيره ، وهي تنمّ عن مدى تعلّقه بالله تعالى ، وانقطاعه إليه ، وهذه بعضها :

دعاؤه عليه السلام في قنوت صلاته

كان الإمام المنتظر صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء في قنوت صلاته ، وهذا نصّه حسب ما دوّنه الثقات من الرواة :

« اللّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ ، تُؤْتي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، ياماجِدُ ، يا جَوادُ ، ياذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرامِ ، يا بَطّاشُ ، يا ذا الْبَطْشِ الشَّديدِ ، يا فَعّالاً لِما يُريدُ ، يا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتينِ ، يا رُؤُوفُ يا رَحيمُ ، يا لَطيفُ ، يا حَيُّ حينَ لَا حَيَّ .

اللّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ ، الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، الَّذي اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي تُصَوِّرُ بِهِ خَلْقَكَ في الْأَرْحامِ كَيْفَ تَشاءُ ، وَبِهِ تَسُوقُ إِلَيْهِمْ أَرْزاقَهُمْ في أَطْباقِ الظُّلُماتِ مِنْ بَيْنِ الْعُرُوقِ وَالْعِظامِ .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي أَلَّفْتَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِ أَوْليائِكَ ، وَأَلَّفْتَ بَيْنَ الثَّلْجِ وَالنّارِ ، لَا هٰذا يُذيبُ هٰذا ، وَلَا هٰذا يُطْفِئُ هٰذا .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي كَوَّنْتَ بِهِ طَعْمَ الْمِياهِ ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي أَجْرَيْتَ بِهِ الْماءَ في عُرُوقِ النَّباتِ بَيْنَ أَطْباقِ الثَّرىٰ ، وَسُقْتَ الْماءَ إِلىٰ عُرُوقِ الْأَشْجارِ بَيْنَ الصَّخْرَةِ الصَّمّاءِ .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي كَوَّنْتَ بِهِ طَعْمَ الثِّمارِ وَأَلْوانَها ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي بِهِ تُبْدِئُ وَتُعيدُ .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْفَرْدِ الْواحِدِ ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْوَحْدانِيَّةِ ، الْمُتَوَحِّدِ بِالصَّمَدانِيَّةِ ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي فَجَّرْتَ بِهِ الْماءَ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمّاءِ ، وَسُقْتَهُ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي خَلَقْتَ بِهِ خَلْقَكَ ، وَرَزَقْتَهُمْ كَيْفَ شِئْتَ ، وَكَيْفَ شاؤُوا .

يا مَنْ لا تُغَيِّرُهُ الْأَيّامُ وَاللَّيالي ، أَدْعُوكَ بِما دَعاكَ بِهِ نُوحٌ حينَ ناداكَ فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَأَهْلَكْتَ قَوْمَهُ ، وَأَدْعُوكَ بِما دَعاكَ بِهِ إِبْراهيمُ خَليلُكَ حينَ ناداكَ فَأَنْجَيْتَهُ ، وَجَعَلْتَ لَهُ النّارَ بَرْداً وَسَلاماً .

وَأَدْعُوكَ بِما دَعاكَ بِهِ مُوسىٰ كَليمُكَ حينَ ناداكَ ، فَفَلَقْتَ لَهُ الْبَحْرَ ، فَأَنْجَيْتَهُ وَبَني إِسْرائيلَ ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَقَومَهُ فِي الْيَمِّ .

وَأَدْعُوكَ بِما دَعاكَ بِهِ عيسىٰ رُوحُكَ حينَ ناداكَ ، فَنَجَّيْتَهُ مِنْ أَعْدائِهِ ، وَإِلَيْكَ رَفَعْتَهُ ، وَأَدْعُوكَ بِما دَعاكَ بِهِ حَبيبُكَ وَصَفيُّكَ وَنَبيُّكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فَاسْتَجَبْتَ لَهُ ، وَمِنَ الْأَحْزابِ نَجَّيْتَهُ ، وَعَلىٰ أَعْدائِكَ نَصَرْتَهُ .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي دُعيتَ بِهِ أَجَبْتَ ، يا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، يا مَنْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وَأَحْصىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً .

يا مَنْ لا تُغَيِّرُهُ الْأَيّامُ وَاللَّيالي ، وَلا تَتَشابَهُ عَلَيْهِ الْأَصْواتُ ، وَلا تَخْفىٰ عَلَيْهِ اللُّغاتُ ، وَلا يُبْرِمُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحّينَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، خِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ صَلَواتِكَ ، وَصَلِّ عَلىٰ

جَميعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلينَ الَّذينَ بَلَّغُوا عَنْكَ الْهُدىٰ ، وَعَقَدُوا لَكَ الْمَواثيقَ بِالطّاعَةِ ، وَصَلِّ عَلىٰ عِبادِكَ الصّالِحينَ .

يا مَنْ لَا يُخْلِفُ الْميعادَ ، انْجِزْ لي ما وَعَدْتَني ، وَاجْمَعْ لي أَصْحابي ، وَصَبِّرْهُمْ ، وَانْصُرْني عَلىٰ أَعْدائِكَ وَأَعْداءِ رَسُولِكَ ، وَلَا تُخَيِّبْ دَعْوَتي ، فَإِنّي عَبْدُكَ ، ابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أَمَتِكَ ، أَسيرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ ، سَيِّدي أَنْتَ الَّذي مَنَنْتَ عَلَيَّ بِهٰذَا الْمَقامِ ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيَّ دُونَ كَثيرٍ مِنْ خَلْقِكَ .

أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تُنْجِزَ لي ما وَعَدْتَني ، إِنَّكَ أَنْتَ الصّادِقُ ، وَلَا تُخْلِفُ الْميعادَ ، وَأَنْتَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٍ »(١) .

حكى هذا الدعاء الشريف التعظيم والتمجيد للخالق العظيم ، فهو المكوّن والمبدع لهذا الكون ، كما حكى آخر الدعاء طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى النصر على أعدائه وأعداء رسوله ، وأن يجمع له أصحابه ليقوم بإحياء الدين ، وإعلاء كلمة الله تعالى في الأرض .

دعاء آخر له عليه السلام في القنوت

كان الإمام عليه السلام يدعو الله تعالى بهذا الدعاء الشريف في قنوت بعض صلواته وهو :

« اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَكْرِمْ أَوْلِياءَكَ بِإِنْجازِ وَعْدِكَ ، وَبَلِّغْهُمْ دَرَكَ ما يَأْمُلُونَهُ مِنْ نَصْرِكَ ، وَاكْفُفْ عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ نَصَبَ الْخِلافَ عَلَيْكَ ، وَتَمَرَّدَ بِمَنْعِكَ عَلىٰ رُكُوبِ مُخالَفَتِكَ ، وَاسْتَعانَ بِرَفْدِكَ عَلىٰ فَلِّ حَدِّكَ ، وَقَصَدَ لِكَيْدِكَ بِأَيْدِكَ ، وَوَسِعْتَهُ حِلْماً لِتَأْخُذَهُ عَلىٰ جَهْرَةٍ ، وَتَسْتَأْصِلَهُ

(١) مهج الدعوات : ١٨٤ ـ ١٨٦ .

عَلىٰ غِرَّةٍ ، فَإِنَّكَ اللّٰهُمَّ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : ﴿ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) ، وَقُلْتَ : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾(٢).

وَإِنَّ الْغايَةَ عِنْدَنا قَدْ تَناهَتْ ، وَإِنّا لِغَضَبِكَ غاضِبُونَ ، وَإِنّا عَلىٰ نَصْرِ الْحَقِّ مُتَعاصِبُونَ ، وَإِلىٰ وُرُودِ أَمْرِكَ مُشْتاقُونَ ، وَلاِنْجازِ وَعْدِكَ مُرْتَقِبُونَ ، وَلِحُلُولِ وَعيدِكَ بِأَعْدائِكَ مُتَوَقِّعُونَ .

اللّٰهُمَّ فَأْذَنْ بِذٰلِكَ ، وَافْتَحْ طُرُقاتِهِ ، وَسَهِّلْ خُرُوجَهُ ، وَوَطِّئْ مَسالِكَهُ ، وَاشْرَعْ شَرائِعَهُ ، وَأَيِّدْ جُنْدَهُ وَأَعْوانَهُ ، وَبادِرْ بَأْسَكَ الْقَوْمَ الظّالِمينَ ، وَابْسُطْ سَيْفَ نَقِمَتِكَ عَلىٰ أَعْدائِكَ الْمُعانِدينَ ، وَخُذْ بِالثّارِ إِنَّكَ جَوادٌ مَكّارٌ »(٣).

وأعلن الإمام عليه السلام في هذا الدعاء الشريف عن شوقه العارم إلى الظهور ليقيم معالم الحقّ والعدل في الأرض ، ويحيي سنّة جدّه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله ، وينتقم من أعداء الإسلام وخصوم الدين(٤).

دعاؤه عليه السلام للمسلمين

أمّا الإمام المنتظر عليه السلام فهو الأب الروحي للمسلمين ، وقد شملهم بدعائه الذي منه هذا الدعاء :

---

(١) يونس ١٠ : ٢٤.

(٢) الزخرف ٤٣ : ٥٥.

(٣) مهج الدعوات : ٢٨٤.

(٤) حياة الإمام المهدي المنتظر المصلح الأعظم عليه السلام : ٤٤.

«اَللّهُمَّ ارْزُقْنا تَوْفِيقَ الطّاعَةِ، وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النِّيَّةِ، وَعِرْفانَ الْحُرْمَةِ، وَاَكْرِمْنا بِالْهُدىٰ وَالإسْتِقامَةِ، وَسَدِّدْ اَلْسِنَتَنا بِالصَّوابِ وَالْحِكْمَةِ، وَامْلأْ قُلُوبَنا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بُطُونَنا مِنَ الْحَرامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ اَيْدِيَنا عَنِ الظُّلْمِ وَالسَّرِقَةِ، وَاغْضُضْ اَبْصارَنا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيانَةِ، وَاسْدُدْ اَسْماعَنا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغِيبَةِ، وَتَفَضَّلْ عَلىٰ عُلَمائِنا بِالزُّهْدِ وَالنَّصِيحَةِ، وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ بِالْجُهْدِ وَالرَّغْبَةِ، وَعَلَى الْمُسْتَمِعِينَ بِالإتِّباعِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَعَلىٰ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ بِالشِّفاءِ وَالرّاحَةِ، وَعَلىٰ مَوْتاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلىٰ مَشايِخِنا بِالْوَقارِ وَالسَّكِينَةِ، وَعَلَى الشَّبابِ بِالإنابَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَعَلَى النِّساءِ بِالْحَياءِ وَالْعِفَّةِ، وَعَلَى الأَغْنِياءِ بِالتَّواضُعِ وَالسَّعَةِ، وَعَلَى الْفُقَراءِ بِالصَّبْرِ وَالْقَناعَةِ، وَعَلَى الْغُزاةِ بِالنَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَعَلَى الأُسَراءِ بِالْخَلاصِ وَالرّاحَةِ، وَعَلَى الأُمَراءِ بِالْعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ، وَعَلَى الرَّعِيَّةِ بِالإنْصافِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَبارِكْ لِلْحُجّاجِ وَالزُّوّارِ فِي الزّادِ وَالنَّفَقَةِ، وَاقْضِ ما اَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمِينَ»(١).

حكى هذا الدعاء شفقة الإمام ورحمته بالمسلمين، فقد دعا لهم بكلّ ما يسمون به من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، وما يقرّبهم إلى الله تعالى زلفى.

دعاؤه عليه السلام للمؤمنين

كان الإمام عليه السلام يواصل رعايته وعطفه للمؤمنين، فكان يدعو لهم بهذا الدعاء:

(١) مصباح الكفعمي: ٢٨١.

«اللّهُمَّ بِحَقِّ مَنْ ناجاكَ، وَبِحَقِّ مَنْ دَعاكَ في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَفَضَّلْ عَلىٰ فُقَراءِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالْغِنىٰ وَالسِّعَةِ، وَعَلىٰ مَرْضَى الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالشِّفاءِ وَالصِّحَّةِ وَالرّاحَةِ، وَعَلىٰ أَحْياءِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِاللُّطْفِ وَالْكَرامَةِ، وَعَلىٰ أَمْواتِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلىٰ غُرَباءِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالرَّدِّ إِلىٰ أَوْطانِهِمْ سالِمينَ غانِمينَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعينَ»(١).

حكى هذا الدعاء تعاطف الإمام عليه السلام ورأفته بالمؤمنين، ودعا لهم بكلّ ما فيه خيرهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم.

دعاؤه عليه السلام لشيعته

اهتمّ الإمام المنتظر عليه السلام اهتماماً بالغاً بشيعته، فهم في رعايته، وفي كنف مودّته، وكان يدعو لهم بخالص الدعاء، ومن أدعيته لهم هذا الدعاء:

«يا نُورَ النُّورِ، يا مُدَبِّرَ الْأُمُورِ، يا باعِثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ لي وَلِشيعَتي مِنَ الضّيقِ فَرَجاً، وَمِنَ الْهَمِّ مَخْرَجاً، وَأَوْسِعْ لَنا الْمَنْهَجَ، وَأَطْلِقْ لَنا مِنْ عِنْدِكَ ما يُفَرِّجُ، وَافْعَلْ بِنا ما أَنْتَ أَهْلُهُ يا كَريمُ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ»(٢).

هذه بعض أدعية الإمام المنتظر عليه السلام وهي تحكي جانبه الروحي، وتمثّل صفحة

---

(١) مصباح الكفعمي: ٤٠٧. مهج الدعوات: ٣٥٢.

(٢) حياة الإمام المهدي المنتظر المصلح الأعظم عليه السلام: ٥٣.

من أخلاقه المستمدّة من أخلاق جدّه رسول الله ﷺ ، وأخلاق آبائه أئمّة الهدى عليهم السلام ، الذين هم سفن نجاة هذه الأُمّة ، وعدلاء الذكر الحكيم ، وبهذا نطوي الحديث عن هذا الكتاب الذي يحكي صفحة مشرقة من أخلاق النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام .

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين

المصادر

القرآن الكريم

١ ـ **أدب النفس**: العيناثي = محمّد بن محمّد بن حسن الحسيني العاملي (كان حيّاً ١٠٧٨هـ): المكتبة المرتضويّة ـ طهران / ١٣٨٠هـ. ش.

٢ ـ **الإتحاف بحُبِّ الأشراف**: الشبراويّ الشافعيّ، عبد الله بن محمّد بن عامر (ـ ١١٧٢هـ): تحقيق: سامي الغريريّ، مؤسّسة دار الكتاب الإسلاميّ ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٣ ـ **الاثنا عشريّة**: الحسيني، محمّد بن الحسن بن عبدالله بن محمّد بن قاسم (٧١٧ ـ ٧٧٦):

٤ ـ **أخبار الدول وآثار الأُول**: القرمانيّ، أحمد بن يوسف (٩٣٩ ـ ١٠١٩هـ): الحلبي ـ القاهرة / ١٩٨٢م.

٥ ـ **الاختصاص**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٣هـ.

٦ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): طبع وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٧ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة** : ابن الأثير الجزري = عزّ الدين عليّ بن محمّد بن محمّد (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٦م .

٨ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** : ابن عبدالبرّ = أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد النمري القرطبيّ الأندلسي (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ) : دار الإسلام ـ عمّان / ٢٠٠٢م .

٩ ـ **إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين** : الصبّان ، محمّد بن عليّ (ـ ١٢٠٦هـ) ، نشر دار الفكر ـ بيروت .

١٠ ـ **الشفا بتعريف أحوال المصطفى** : القاضي اليحصبيّ ، عياض بن موسى (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ) : دار ابن حزم ـ بيروت / ١٤٢٢هـ.

١١ ـ **ألف باء** : أبو الحجّاج البلويّ = يوسف بن محمّد : عالم الكتب ـ بيروت / ١٢٨٧هـ.

١٢ ـ **أمالي المرتضى = غرر الفوائد ودرر القلائد** : الشريف المرتضى = علم الهدى أبي القاسم عليّ بن الحسين الموسوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٣٨٧هـ.

١٣ ـ **الأمالي** : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : تحقيق ونشر : قسم الدراسات الإسلاميّة ، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ.

١٤ ـ **الأمالي** : شيخ الطائفة الطوسي ، أبو جعفر محمّد بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة ، دار الثقافة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٤هـ.

١٥ ـ **الإمام زيد** : أبو زهرة ، محمّد : دار الفكر العربي ـ القاهرة / ١٩٧٤م .

١٦ ـ **الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب** : ترجمة : آل عليّ ، نور الدين : مجمع الذخائر ـ قم المقدّسة / ١٤٢٥هـ.

١٧ ـ **الإمامة والسياسة** : ابن قتيبة الدينوري = أبو محمّد عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) : المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٧م .

١٨ ـ **أنساب الأشراف** : البلاذريّ ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ـ ٢٧٩هـ) : تحقيق : د. سهيل زكار و د. رياض زكلي ، دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٧هـ.

١٩ ـ **الأنوار البهيّة في تواريخ الحجج الإلـهيّة** : القمّيّ ، الشيخ عبّاس (١٢٥٤ ـ ١٣١٩هـ) ، تحقيق : فارس حسون كريم ، انتشارات فدك ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

....

٢٠ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار** : العلاّمة المجلسيّ = محمّدباقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م.

٢١ ـ **البداية والنهاية في التاريخ = تاريخ ابن كثير** : ابن كثير الدمشقي ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ) : تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٣م.

٢٢ ـ **البلد الأمين** : الكفعميّ ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ) : مؤسّسة قائم آل محمّد عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢٣ ـ **بهجة المجالس وأُنس المجالس** : ابن عبدالبرّ = يوسف بن عبدالله النمريّ القرطبيّ : الدار المصريّة ـ القاهرة / ١٩٠٠م.

٢٤ ـ **تاريخ ابن الورديّ** : ابن الورديّ ، زين الدين عمر بن مظفّر (ـ ٧٤٩هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٢٥ ـ **تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر** : أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ) : تعليق: محمود ديوب ، منشورات دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٦ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام** : شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٤م .

٢٧ ـ **تاريخ بغداد** : الخطيب البغداديّ ، أبو بكر أحمد بن عليّ (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ) : تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٨ ـ **تاريخ الخلفاء** : جلال الدين السيوطيّ ، عبدالرحمن بن أبي بكر الشافعيّ (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) : السعادة ـ القاهرة ، الطبعة الأُولى / ١٩٥٢م .

٢٩ ـ **تاريخ الطبري = تاريخ الأُمم والملوك** : الطبري ، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م .

٣٠ ـ **تاريخ مدينة دمشق** : ابن عساكر = أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ) : دار الفكر ـ دمشق / ١٤١٩هـ .

٣١ ـ **تاريخ اليعقوبيّ** : اليعقوبيّ ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ـ ٢٧٨هـ) : دار صادر ـ بيروت / ١٩٨٤م .

٣٢ ـ **تحسين التقبيح وتقبيح الحسن** : أبو منصور الثعالبي النيسابوري = عبد الملك بن محمّد (ـ ٤٢٩هـ) :

٣٣ ـ **تحف العقول عن آل الرسول** : ابن شعبة الحرّانيّ ، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري) : دار الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤٢١هـ .

٣٤ ـ **التذكرة الحمدونيّة** : ابن حمدون ، أبو المعالي محمّد البغداديّ : دار صادر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٩٩٦م .

٣٥ ـ **تذكرة الحُفّاظ** : شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (ـ ٧٤٨هـ) : وضع حواشيه : زكريّا عميرات ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م (٤ أجزاء في مجلّدين) .

٣٦ ـ **تفسير القرآن العظيم** : ابن كثير الدمشقي ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (٧٠١ ـ ٧٧٤هـ) : تحقيق : سامي بن محمّد سلامة ، دار طيبة ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٣٧ ـ **تفسير فُرات الكوفي** : فرات بن إبراهيم بن فرات (ـ ٣٥٢هـ) : تحقيق : محمّد الكاظم ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٤١٠هـ.

٣٨ ـ **التمثيل والمحاضرة** : أبو منصور الثعالبي النيسابوري = عبد الملك بن محمّد (ـ ٤٢٩هـ) : دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة / ١٩٦١م .

٣٩ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** : النووي = أبو زكريّا محيي الدين بن شرف (ـ ٦٧٦هـ)طبعة دار الكتب العلميّة ـ بيروت .

٤٠ ـ **تهذيب التهذيب** : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن عليّ بن محمّد (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٩٩٥م .

٤١ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** : الحافظ المزّي ، جمال الدين أبي الحجّاج يوسُف (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ) : مراجعة : سُهيل زكار ، تحقيق : أحمد علي عبيد ، وحسن أحمد آقا ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م (٢٢ مجلّداً + مجلّدا الفهارس) .

٤٢ ـ **الثقات** : ابن حبّان السجستاني = الحافظ محمّد بن أحمد أبو حاتم السبتيّ التميميّ (٢٧٠ ـ ٣٥٤هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٩٨م .

٤٣ ـ **جامع السعادات** : النراقي ، مهدي بن أبي ذرّ (١١٢٨ ـ ١٢٠٩هـ) : تعليق : مؤسّسة السيّدة المعصومة عليها‌السلام ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٥م .

٤٤ ـ **الجعفريّات** (المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام) : الحميريّ ، عبدالله بن جعفر (ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة الثقافة ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

٤٥ ـ **الجنّة الواقية والجنّة الباقية** : الكفعميّ ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ) :

٤٦ ـ **جواهر البحار في فضائل النبيّ المختار** : النبهاني ، يوسف بن إسماعيل : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر .

٤٧ ـ **جواهر المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب** : الباعونيّ ، شمس الدين محمّد بن أحمد الدمشقي الشافعيّ (٧٨٠ ـ ٨٧١هـ) : مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة ـ قم المقدّسة / ١٤١٥هـ.

٤٨ ـ **جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام** : القراغوليّ البغداديّ ، السيّد محمود : الآداب ـ بغداد / ١٣٢٩هـ.

....

٤٩ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** : أبو نعيم الاصفهانيّ ، الحافظ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الخامسة / ١٩٨٧م.

٥٠ ـ حياة الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه‌السلام : القرشيّ ، باقر شريف (ـ ١٩٢٦م) :، تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم‌السلام) دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥١ ـ **حياة الإمام الحسن بن عليّ ٨** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم‌السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥٢ ـ **حياة الإمام الحسين بن عليّ ٨** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم‌السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥٣ ـ **حياة الإمام زين العابدين عليه‌السلام** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم‌السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥٤ ـ **حياة الإمام عليّ الهادي عليه‌السلام** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم‌السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥٥ ـ **حياة الإمام محمّد الباقر** عليه السلام: القرشيّ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م): تحقيق: مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام): دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥٦ ـ **حياة الإمام محمّد الجواد** عليه السلام: القرشيّ، باقر شريف (١٩٢٦م)، تحقيق: مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥٧ ـ حياة الإمام محمّد المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف: القرشيّ، باقر شريف (ـ ١٩٢٦م): تحقيق: مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥٨ ـ **حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم** عليه السلام: القرشيّ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م): تحقيق: مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام): دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٥٩ ـ حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: القرشيّ، باقر شريف (ـ ١٩٢٦م): تحقيق: مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٦٠ ـ **حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد** صلّى الله عليه وآله: القرشيّ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م):

....

٦١ ـ **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**: البغداديّ، عبدالقادر بن عمر (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣هـ): مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٣م.

٦٢ ـ **الخصال**: الشيخ الصدوق = أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): نشر وتحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / ١٤٢٤هـ.

٦٣ ـ **خلاصة تهذيب الكمال**: الخزرجيّ الأنصاريّ، أحمد.

٦٤ ـ **دائرة معارف القرن العشرين** : فريد وجدي ، محمّد : دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثالثة / ١٩٧١م .

٦٥ ـ **الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة** : الشاميّ العاملي ، يوسف بن حاتم (من أعلام القرن السابع الهجري) : مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٦٦ ـ **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام** : القاضي التميميّ المغربيّ ، أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور (ـ ٣٦٣هـ) : اسماعيليان ـ قم المقدّسة / ١٣٧٢هـ. ش .

٦٧ ـ **دلائل الإمامة** : ابن رستم الطبريّ ، أبو جعفر محمّد بن جرير (ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة / ١٤١٢هـ.

....

٦٨ ـ **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار** : جار الله الزمخشريّ = أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) : دار الذخائر ـ قم المقدّسة / ١٤١٠هـ.

٦٩ ـ **رجال الكشّي = اختيار معرفة الرجال** : شيخ الطائفة ، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : محمّد تقي فاضل الميبديّ والسيّد أبوالفضل الموسويان ، وزارة الثقافة والإرشاد ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٣٨٢هـ. ش .

٧٠ ـ **روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات** : الخوانساريّ ، الميرزا محمّد باقر الموسوي (ـ ١٣١٣هـ) ، مكتبة إسماعيليان ـ قم المقدّسة / ١٣٩٠هـ.

....

٧١ ـ **سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار** : الشيخ القمّيّ ، عبّاس بن محمّد رضا (١٢٥٤ ـ ١٣٥٩هـ) : دار أُسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الرابعة / ١٤٢٧هـ.

٧٢ ـ **سنن ابن ماجة**: ابن ماجة القزوينيّ، أبو عبدالله محمّد بن يزيد (ـ ٢٧٣هـ): تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (٤ مجلّدات + مجلّد الفهرس).

٧٣ ـ **سنن أبي داود**: الحافظ أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ): تحقيق: سعيد محمّد اللحّام، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٧٤ ـ **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤١٩هـ.

٧٥ ـ **السيرة النبويّة والآثار المحمّديّة**: زيني دحلان، نورالدين أحمد الشافعي (ـ ١٣٠٤هـ): دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية / ١٣١٠هـ.

....

٧٦ ـ **شرح السُّنّة**: البَغوي = أبي محمّد الحسين بن مسعود (٤٣٨ ـ ٥١٤هـ : تحقيق: سعيد محمّد اللحّام، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م (٨ مجلّدات).

٧٧ ـ **شرح شافية أبي فراس** (م): الحسينيّ، محمّد بن أمير الحاج: دار الطباعة ـ طهران / ١٢٩٦هـ. ش.

٧٨ ـ **شرح نهج البلاغة**: عبدة، محمّد (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م): مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / ١٩٨٥م.

٧٩ ـ **الشفا بتعريف أحوال المصطفى**: القاضي اليحصبيّ، عياض بن موسى (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ): دار ابن حزم ـ بيروت / ١٤٢٢هـ.

٨٠ ـ **صحيح البخاريّ**: البخاريّ، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفيّ (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ): ضبطه ورقّمه: الدكتور مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق. الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (٦ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٨١ ـ **صحيح الترمذيّ**: الترمذيّ، محمّد بن عيسى (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٥م.
٨٢ ـ **الصحيفة الرضويّة**: البحرانيّ، أحمد بن صالح.
٨٣ ـ **الصحيفة السجاديّة (أدعية الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين** عليهما السلام): تحقيق ونشر: مدرسة ومؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة ـ الطبعة الخامسة / ١٤٢٣هـ.
٨٤ ـ **صفة الصفوة**: ابن الجوزيّ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (ـ ٥٩٧هـ): دار المعرفة ـ بيروت / ١٩٧٩م.

. . . .

٨٥ ـ **الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار**: الشعرانيّ، أبو المواهب عبدالوهاب بن أحمد المصريّ: صحّح بمعرفة لجنة من العلماء بالقاهرة / ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.
٨٦ ـ **الطبقات الكبرى**: ابن سعد الواقدي = أبو عبدالله محمّد بن سعد بن منيع البصريّ الزهري (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ): تحقيق: محمّد عبد القادر عَطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

. . . .

٨٧ ـ **عِقد الدرر في أخبار المنتظر**: المقدّس الشافعيّ، يوسف بن يحيى بن عليّ: تحقيق: د. عبدالفتّاح محمّد الحلو، انتشارات مسجد مقدّس صاحب الزمان ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.
٨٨ ـ **علل الشرائع**: الشيخ الصّدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): دار الحُجّة للثقافة ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ (جزءان في مجلّد).
٨٩ ـ **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**: ابن عنبة = جمال الدين أحمد بن عليّ بن الحسين الحسينيّ (٧٤١ ـ ٨٢٨هـ): المكتبة الثقافيّة ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٤م.
٩٠ ـ **العمل وحقوق العامل في الإسلام**: القرشيّ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م):

٩١ ـ **عيون أخبار الرضا** عليه السلام: الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : تحقيق : الشيخ حسين الأعلميّ ، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ.

٩٢ ـ **عيون التواريخ** : ابن شاكر الكتبيّ = محمّد بن شاكر (٦٨١ ـ ٧٦٤هـ) : دار الحرّيّة ـ بغداد / ١٩٧٧م .

٩٣ ـ **الغارات** : ابن هلال الثقفيّ ، إبراهيم بن محمّد الكوفي (ـ ٢٨٣هـ) : دار الكتاب الإسلامي ـ قم المقدّسة / ١٤١١هـ.

٩٤ ـ **الغايات** : ابن الرازي ، جعفر بن أحمد (القرن الرابع الهجري) ، آستانه قدس رضوي ـ مشهد المقدّسة / ١٤١٣هـ.

٩٥ ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** : ابن حجر العسقلانيّ ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ الشافعي (٧٣٣ ـ ٨٥٢هـ) : تحقيق : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (١٥ مجلّداً + مجلّدا المقدّمة والخاتمة) .

٩٦ ـ **الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة** : ابن الصّبّاغ = عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي (ـ ٨٥٥هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

٩٧ ـ **فضائل الخمسة من الصحاح الستّة** : الحسينيّ الفيروزآباديّ ، مرتضى (١٢٨٩ ـ ١٣٦٨هـ) ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٩٨ ـ **في ظلال الصحيفة السجّاديّة** : مغنية ، محمّد جواد (١٩٠٤ ـ ١٩٧٩م) : دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٩٩ ـ **الكافي** : ثقة الإسلام الكلينيّ ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ) : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١٠٠ ـ **الكامل في اللغة والأدب** : المبرّد ، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (٢١٠ ـ ٢٨٦هـ) : دار الفكر العربي ـ القاهرة / ١٩٩٧م .

١٠١ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة** : الإربلي ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) : دار الأضواء ـ بيروت / ١٩٨٥م .

١٠٢ ـ **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال** : المتّقيّ الهنديّ = علاء الدين عليّ بن حسام الدين (٨٨٨ ـ ٩٧٥هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ٢٠٠٤م .

١٠٣ ـ **كنز اللغة** : د. هنفر ، اوغست :

١٠٤ ـ **الكواكب الدرّية في مناقب الصوفيّة** : عبدالرؤوف المناويّ ، محمّد الشافعي (٩٥٢ ـ ١٠٣١هـ) :

١٠٥ ـ **لسان الميزان** : ابن حجر العسقلانيّ ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ الشافعي (٧٣٣ ـ ٨٥٢هـ) : تحقيق : عادل أحمد وعلي معوّض ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م (٧ مجلّدات) .

١٠٦ ـ **اللمعة الدمشقيّة في فقه الإماميّة** : الشهيد الأوّل : محمّد بن مكّي العامليّ الجزينيّ (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ) : تحقيق : محمّد تقي وعلي أصغر مرواريد ، نشر دار التراث ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

١٠٧ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : الهيثميّ ، الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر المصري الشافعي (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٠٨ ـ **مجموعة ورّام = تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** : المالكيّ الأشتريّ ، الأمير أبو الحسين ورّام بن أبي فراس (ـ ٦٠٥هـ) : دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ، الطبعة الثانية / ١٣٦٨هـ .

١٠٩ ـ **المحاسن** : البرقيّ ، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد (ـ ٢٧٤هـ) : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ .

١١٠ ـ **محاضرات الأُدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** : الراغب الأصفهانيّ = الحسين بن محمّد (ـ ٥٠٢) : المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

١١١ ـ **محمّد المثل الكامل** : أحمد جاد المولى ، محمّد :

١١٢ ـ **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** : سبط ابن الجوزيّ ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) : مؤسّسة آل البيت عليهم‌السلام ، قم المقدّسة / ١٣٦٦هـ.

١١٣ ـ **المستدرك على الصحيحين** : الحاكم النيسابوريّ ، محمّد (ـ ٤٠٥هـ) : تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

١١٤ ـ **المستطرف** : شهاب الدين الأبشهيّ ، أحمد : مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة / ١٩٤٢م .

١١٥ ـ **مسند أبي عوانة** : ابن السكّيت = يعقوب بن إسحاق (١٨٦ ـ ٢٤٦هـ) : دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٥٦م .

١١٦ ـ **مسند أحمد بن حنبل** : ابن حنبل ، أحمد (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١١٧ ـ **المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات** : الكفعمي ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ) : مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الثانية / ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

١١٨ ـ **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة** (المنسوب إلى الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه‌السلام) : مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٠هـ.

١١٩ ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول** : القرشيّ ، كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن الشافعي (٥٨٣ ـ ٦٥٢هـ) : مؤسّسة أُمّ القرى ـ قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ.

١٢٠ ـ **معاني الأخبار**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): قدّم له: الشيخ حسين الأعلمي، تعليق: علي أكبر الغفّاري، نشر مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

١٢١ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبدالله الروميّ البغداديّ (ـ٦٢٦هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

١٢٢ ـ **مقتل الحسين** عليه السلام: الخوارزميّ = أخطب خوارزم، موفّق بن أحمد بن محمّد البكري الحنفي المكّي (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ): تحقيق: محمّد السماوي، أنوار الهدى ـ قم المقدّسة / ١٤١٨هـ.

١٢٣ ـ **مناقب آل أبي طالب**: ابن شهرآشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ السرويّ المازندرانيّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ): دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

١٢٤ ـ **منتخب كنز العمّال**: المتّقيّ الهنديّ = علاء الدين عليّ بن حسام الدين (٨٨٨ـ ٩٧٥هـ): نشر دار الفكر ـ بيروت.

١٢٥ ـ **منتهى الآمال**: الشيخ القمّيّ، عبّاس بن محمّد رضا (١٢٥٤ ـ ١٣٥٩هـ): مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة، الطبعة الخامسة / ١٤٢٢هـ.

١٢٦ ـ **من لا يحضره الفقيه**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١٢٧ ـ **خطط الشام = المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**: تقي الدين المقريزي، أحمد بن عليّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ): مشهد المقدّسة / ١٣٧٩هـ. ش.

١٢٨ ـ **موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** عليه السلام: القرشي، باقر شريف (ـ ١٩٢٦م): دار الهدى ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٢م.

١٢٩ ـ **مهج الدعوات ومنهج العبادات**: السيّد ابن طاووس، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ): دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

١٣٠ ـ **الميزان في تفسير القرآن** (تفسير) : الطباطبائيّ ، محمّد حسين (١٢٨١ ـ ١٣٦٠هـ) : تحقيق : الشيخ حسين الأعلميّ ، الناشر مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الأُولى المحقّقة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

١٣١ ـ **نثر الدرر** : منصور بن الحسين ، أبو سعد (ـ ٤٢١هـ) : الدار التونسيّة ـ تونس ، الطبعة الأُولى / ١٩٨٣م .

١٣٢ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** : الأتابكيّ ، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨١٣ ـ ٧٨٤هـ) : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة / ١٩٧٢م .

١٣٣ ـ **نفحات من سيرة أئمّة أهل البيت** عليهم‌السلام : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) :

١٣٤ ـ **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار** : الشبلنجيّ ، مؤمن بن حسن بن مؤمن : تحقيق : عبد الوارث محمّد عليّ ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

١٣٥ ـ **نهاية الإرب في فنون الأدب** : النويريّ ، أحمد بن عبدالوهاب (ـ ٧٣٣هـ) : طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسّسة المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية .

١٣٦ ـ **نهج البلاغة** (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام) : دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

١٣٧ ـ **الوافي بالوفيات** : صلاح الدين الصفدي = خليل بن أيبك بن عبدالله (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ) : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ـ بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

١٣٨ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة** : الحرّ العامليّ ، محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ) : مؤسّسة آل البيت عليهم‌السلام ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٦هـ .

١٣٩ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ـ ٦٨١هـ): تحقيق: د. إحسان عباس، منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ.

١٤٠ ـ **ينابيع المودّة لذوي القربى**: القندوزيّ، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ـ ١٢٩٤هـ): تحقيق: السيّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، الناشر: دار الأُسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

المحتويات

تقديم ٧

١٣ ـ ٣٧

مكارم الأخلاق ١٥

مساوئ الأخلاق ١٧

من مكارم أخلاق النبيّ ﷺ ١٨

١ ـ نكران الذات ١٩

وصف الإمام لأخلاق النبيّ ﷺ ٢٠

٢ ـ الحلم ٢٠

٣ ـ الإعراض عن الجاهلين ٢١

٤ ـ الوفاء ٢٢

٥ ـ الصبر ٢٣

٦ ـ الرحمة ٢٤

٧ ـ التواضع ٢٦

٨ ـ الزهد في الدنيا ٢٧

٩ ـ الحياء ٢٩

١٠ ـ الجود والسخاء ٣٠

١١ ـ الإنابة إلى الله تعالى ٣١
١٢ ـ الشجاعة ٣٣
١٣ ـ حبّ الفقراء ٣٤
١٤ ـ العدل ٣٥
١٥ ـ الأريحيّة ٣٥

الإمام علي عليه السلام

٤١ ـ ٦٨

مكارم الأخلاق ٤٣
١ ـ وصيّته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام ٤٣
٢ ـ وصيّته عليه السلام لولده الحسين عليه السلام ٤٥
٣ ـ وصيّته عليه السلام للحارث ٤٦
مكارم أخلاقه عليه السلام ٤٧
١ ـ حلمه عليه السلام ٤٧
بوادر من حلمه عليه السلام ٤٧
٢ ـ تواضعه عليه السلام ٥٠
٣ ـ عيادته عليه السلام للمرضى ٥٢
٤ ـ كراهته عليه السلام للمدح ٥٣
٥ ـ الصراحة والصدق ٥٣
٦ ـ الإيثار ٥٥
٧ ـ انعاؤه عليه السلام للتفاخر ٥٥
٨ ـ مواساته عليه السلام للفقراء ٥٦
٩ ـ المساواة ٥٦

١ ـ المساواة في العطاء ٥٦

٢ ـ المساواة أمام القانون ٥٧

٣ ـ المساواة في الحقوق ٥٧

١٠ ـ زهده عليه السلام ٥٨

صور من زهده عليه السلام ٥٨

١ ـ لباسه عليه السلام ٥٨

٢ ـ طعامه عليه السلام ٦٠

١١ ـ إنابته عليه السلام لله تعالى ٦٢

١٢ ـ سخاؤه عليه السلام ٦٥

شذرات من جوده عليه السلام ٦٦

فاطمة الزهراء عليها السلام

٦٩ ـ ٨٢

انقطاعها عليها السلام إلى الله عزّ وجلّ ٧١

برّها عليها السلام بالفقراء ٧٢

العفاف والحجاب ٧٤

موقفها عليها السلام الحاسم في نصرة الإمام عليه السلام ٧٥

خطابها عليها السلام التأريخي ٨٠

وصاياها عليها السلام الخالدة ٨١

الإمام الحسن عليه السلام

٨٣ ـ ٩٦

مكارم الأخلاق ٨٥

مساوئ الأخلاق ٨٦
مكارم أخلاقه عليه السلام ٨٧
١ ـ التواضع ٨٧
٢ ـ الحلم ٨٨
٣ ـ السخاء ٨٩
٤ ـ الزهد ٩٢
٥ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ ٩٤
٦ ـ وضوؤه وصلاته عليه السلام ٩٤
٧ ـ حجّه عليه السلام ٩٥
٨ ـ التصدّق بأمواله عليه السلام ٩٥
٩ ـ تلاوته عليه السلام للقرآن بخشوع ٩٥
١٠ ـ قضاء حوائج النّاس ٩٦

الإمام الحسين عليه السلام

٩٧ ـ ١١٧

مكارم أخلاقه عليه السلام ٩٩
١ ـ الإباء عن الضيم ٩٩
٢ ـ الصبر ١٠٢
٣ ـ الحلم ١٠٣
٤ ـ التواضع ١٠٤
٥ ـ الجود ١٠٥
شذرات من جوده عليه السلام : ١٠٦
١ ـ مع أُسامة بن زيد ١٠٦

٢ ـ مع أعرابي ١٠٧

٣ ـ مع جارية ١٠٨

٦ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ : ١١٠

١ ـ خوفه عليه السلام من الله عزّ وجلّ ١١١

٢ ـ صلاته وصومه عليه السلام ١١١

٣ ـ حجّه عليه السلام ١١١

٤ ـ صدقاته عليه السلام ١١٢

٥ ـ الرأفة والإحسان ١١٢

٧ ـ الصلابة في الحقّ ١١٣

٨ ـ الصراحة ١١٤

٩ ـ الشجاعة ١١٥

الإمام السجّاد عليه السلام

١١٩ ـ ١٤٧

مكارم أخلاقه عليه السلام ١٢١

١ ـ الحلم ١٢١

٢ ـ الإحسان إلى النّاس ١٢٤

١ ـ إحسانه عليه السلام لأعدائه ١٢٤

٢ ـ دعاؤه عليه السلام لأعدائه ١٢٥

٣ ـ قضاء حوائج النّاس ١٢٦

٣ ـ السخاء ١٢٨

١ ـ مع محمّد بن أُسامة ١٢٨

٢ ـ إطعام عامّ ١٢٨

٣ـ إعالته عليه السلام لمائة بيت ١٢٩
٤ـ صدقاته عليه السلام ١٢٩
١ـ التصدّق بثيابه عليه السلام ١٢٩
٢ـ التصدّق بما يحبّ ١٣٠
٣ـ مقاسمة أمواله عليه السلام ١٣٠
٤ـ صدقاته عليه السلام في السرّ ١٣٠
٥ـ الصبر ١٣٣
٦ـ العزّة والإباء ١٣٤
٧ـ الشجاعة ١٣٥
٨ـ التجرّد من الأنانيّة ١٣٦
٩ـ الزهد في الدنيا ١٣٧
١٠ـ الإنابة إلى الله عزّوجلّ ١٣٨
دعاؤه عليه السلام في الالتجاء إلى الله عزّ وجلّ ١٣٩
انقطاعه عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ ١٤٠
دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ١٤١

الإمام الباقر عليه السلام

١٤٩ ـ ١٦٥

مكارم الأخلاق ١٥١
١ـ متابعة الإحسان ١٥١
٢ـ فعل المعروف ١٥٢
٣ـ مقابلة المعروف بالإحسان ١٥٣
٤ـ معاملة النّاس بالحسنى ١٥٣

٥ـ طلاقة الوجه ١٥٤
٦ـ قضاء حوائج النّاس ١٥٤
٧ـ صلة الأرحام ١٥٥
٨ـ العطف على اليتيم ١٥٥
٩ـ مكارم الأخلاق ١٥٥
مساوئ الأخلاق ١٥٦
١ ـ التكبرّ ١٥٦
٢ـ النفاق ١٥٧
٣ـ الغيبة والبهتان ١٥٧
٤ـ العجب ١٥٧
٥ـ الغضب ١٥٨
٦ـ صفات ممقوتة ١٥٨
مكارم أخلاقه عليه السلام ١٥٨
١ ـ الحلم ١٥٩
٢ـ الصبر ١٦٠
٣ـ الزهد ١٦١
٤ـ الكرم والسخاء ١٦٤
٥ـ تكريمه عليه السلام للفقراء ١٦٤
٦ـ صلته عليه السلام لفقراء المدينة ١٦٤
٧ـ إنابته عليه السلام الى الله عزّ وجلّ ١٦٤

الإمام الصادق عليه السلام

١٦٧ـ ٢٠٤

مكارم الأخلاق ١٦٩

١ ـ الحلم ١٦٩
٢ ـ التواضع ١٧٠
٣ ـ حُسن الخُلق ١٧٢
٤ ـ العفّة والحياء ١٧٣
٥ ـ القناعة ١٧٣
٦ ـ الإحسان ١٧٤
٧ ـ الرأفة ١٧٤
٨ ـ الرحمة ١٧٤
٩ ـ السخاء ١٧٥
١٠ ـ القوّة والعزم ١٧٥
١١ ـ التسليم للحقّ ١٧٦
١٢ ـ الصدق وأداء الأمانة ١٧٦
١٣ ـ التثبّت من الأُمور ١٧٦
١٤ ـ التوكّل على الله تعالى ١٧٧
١٥ ـ خصال الأنبياء ١٧٨
١٦ ـ صفات رفيعة ١٧٨
١٧ ـ صفات المؤمن ١٧٨
١٨ ـ عشر خصال من الفضائل ١٧٩
مساوئ الأخلاق ١٧٩
١ ـ الحقد ١٧٩
٢ ـ الحسد ١٨٠
٣ ـ العجب ١٨١
٤ ـ التكبّر ١٨٢

٥ـ الحرص ١٨٢
٦ـ البخل ١٨٣
٧ـ الطمع ١٨٤
٨ـ الغرور ١٨٤
٩ـ الغضب ١٨٥
١٠ـ النفاق ١٨٦
١١ـ السفه ١٨٧
١٢ـ الغيبة ١٨٧
١٣ـ النميمة ١٨٨
١٤ـ الشماتة ١٨٩
١٥ـ المراء والجدل ١٨٩
١٦ـ البهتان ١٩٠
١٧ـ البغي ١٩٠
١٨ـ الظلم ١٩١
١٩ـ الرياء ١٩٢
٢٠ـ الخيانة ١٩٣
٢١ـ الغشّ والخداع ١٩٤
٢٢ـ العصبيّة ١٩٥
٢٣ـ الشؤم ١٩٥
٢٤ـ الضجر والقلق ١٩٦
٢٥ـ الكسل ١٩٦
٢٦ـ الذلّ ١٩٦
٢٧ـ الكذب ١٩٧

٢٨ ـ عقوق الوالدين ١٩٨
٢٩ ـ جحد الإحسان ١٩٩
مكارم أخلاقه عليه السلام ١٩٩
١ ـ التواضع ١٩٩
٢ ـ الصبر ٢٠٠
٣ ـ السخاء ٢٠١
٤ ـ صدقاته عليه السلام في السرّ ٢٠٣
٥ ـ تكريمه عليه السلام للضيوف ٢٠٤
٦ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ ٢٠٤

الإمام الكاظم عليه السلام

٢٠٥ ـ ٢٢٦

مكارم الأخلاق ٢٠٨
١ ـ إيثار الحقّ ٢٠٨
٢ ـ قول الخير ٢٠٨
٣ ـ إغاثة المستجير ٢٠٩
٤ ـ العفو والإصلاح ٢٠٩
٥ ـ حسن الجوار ٢٠٩
٦ ـ زيارة الاخوان ٢١٠
٧ ـ شكر النعمة ٢١٠
٨ ـ محاسبة النفس ٢١٠
٩ ـ الاستشارة ٢١١
١٠ ـ الرضا بقضاء الله تعالى ٢١١

١١ـ الصبر ٢١١
١٢ـ الورع ٢١٢
١٣ـ التفقّه في الدين ٢١٢
١٤ـ مجالسة العلماء ٢١٢
١٥ـ وصايا تربويّة ٢١٣
١٦ـ التحذير من الكسل ٢١٤
١٧ـ الاقتصاد ٢١٤
مكارم أخلاقه عليه السلام ٢١٤
١ـ الحلم ٢١٥
٢ـ كرمه وسخاؤه عليه السلام ٢١٦
١ـ محمّد البكري ٢١٧
٢ـ غلام زنجي ٢١٧
٣ـ عيسى بن محمّد ٢١٩
٤ـ فقير ٢١٩
٥ـ صدقات السرّ ٢٢٠
٦ـ إطعام عامّ ٢٢٠
٣ـ زهده عليه السلام ٢٢١
٤ـ الإحسان إلى النّاس ٢٢٢
٥ـ عتقه عليه السلام للعبيد ٢٢٣
٦ـ الإنابة إلى الله عزّ وجلّ ٢٢٣
١ـ بكاؤه عليه السلام من خشية الله تعالى ٢٢٤
٢ـ كثرة سجوده عليه السلام لله تعالى ٢٢٤
٣ـ شغف الإمام عليه السلام بالعبادة ٢٢٥

٤ ـ دعاؤه عليه السلام في السجن لتفرّغه للعبادة ٢٢٥

الإمام الرضا عليه السلام

٢٢٧ ـ ٢٤٧

مكارم الأخلاق ٢٢٩
١ ـ التواضع ٢٢٩
٢ ـ خيار النّاس ٢٣٠
٣ ـ التبسّم في وجه المؤمن ٢٣١
٤ ـ التودّد إلى النّاس ٢٣١
٥ ـ المساواة في السلام ٢٣١
٦ ـ أفضل العقل ٢٣٢
٧ ـ التفكّر في أمر الله تعالى ٢٣٢
٨ ـ محاسبة النفس ٢٣٢
٩ ـ تماميّة العقل ٢٣٣
١٠ ـ من وصيّة له عليه السلام ٢٣٤
١١ ـ شكر المنعم ٢٣٤
١٢ ـ خصال كريمة ٢٣٥
١٣ ـ صلة الأرحام ٢٣٥
١٤ ـ عون الضعيف ٢٣٦
١٥ ـ الفرج عن المؤمن ٢٣٦
مكارم أخلاقه عليه السلام ٢٣٦
كلمة جامعة عن أخلاق الإمام عليه السلام ٢٣٧
لمحات من أخلاقه عليه السلام ٢٣٨

١ ـ زهده عليه السلام ٢٤٠
٢ ـ سخاؤه عليه السلام ٢٤٠
٣ ـ تكريمه عليه السلام للضيوف ٢٤٣
٤ ـ عتقه عليه السلام للعبيد ٢٤٤
٥ ـ الإحسان للعبيد ٢٤٤
٦ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ ٢٤٤
شذرات من أدعيته عليه السلام ٢٤٦

الإمام الجواد عليه السلام

٢٤٩ ـ ٢٦٦

مكارم الأخلاق ٢٥١
١ ـ محاسن الأخلاق ٢٥١
٢ ـ قضاء حوائج النّاس ٢٥٢
٣ ـ فعل المعروف ٢٥٣
٤ ـ الخصال التي تجلب المودّة ٢٥٣
٥ ـ خصال كريمة ٢٥٤
٦ ـ التقوى والعلم ٢٥٤
٧ ـ ما يحتاج إليه المؤمن ٢٥٥
٨ ـ الثقة بالله عزّ وجلّ ٢٥٥
٩ ـ الاستغناء بالله عزّ وجلّ ٢٥٦
١٠ ـ القصد إلى الله عزّ وجلّ بالقلوب ٢٥٦
مساوئ الصفات ٢٥٧
١ ـ البدع والطمع ٢٥٧

٢ ـ الشتم والتهوّر ٢٥٧
مكارم أخلاقه عليه السلام ٢٥٧
١ ـ الإحسان إلى النّاس ٢٥٨
٢ ـ مواساة النّاس ٢٥٩
٣ ـ الكرم والسخاء ٢٦٠
٤ ـ برّه عليه السلام بالحيوانات ٢٦١
٥ ـ زهده عليه السلام ٢٦١
٦ ـ الإنابة إلى الله عزّ وجلّ ٢٦٢
نماذج من أدعيته عليه السلام ٢٦٢

الإمام الهادي عليه السلام

٢٦٧ ـ ٢٩١

مكارم الأخلاق ٢٦٩
١ ـ الحلم ٢٦٩
٢ ـ الخير ٢٧٠
٣ ـ نصيحة الإمام عليه السلام للمتوكّل ٢٧٠
٤ ـ الدنيا سوق ٢٧١
مساوئ الصفات ٢٧١
١ ـ سوء الخلق ٢٧١
٢ ـ التملّق ٢٧١
٣ ـ البخل والطمع ٢٧٢
٤ ـ الحسد ٢٧٢
٥ ـ الزهو والعجب ٢٧٢

٦ ـ مخالطة الأشرار ٢٧٢
٧ ـ الطبائع الفاسدة ٢٧٣
٨ ـ الجهل والبخل ٢٧٣
مكارم أخلاقه عليه السلام ٢٧٤
١ ـ تكريم العلماء ٢٧٤
٢ ـ تحذيره عليه السلام من مجالسة الصوفيّين ٢٧٥
٣ ـ الإرشاد ٢٧٧
٤ ـ العمل ٢٧٨
٥ ـ الكرم ٢٧٨
٦ ـ الزهد ٢٨٠
٧ ـ الصبر ٢٨١
٨ ـ إنابته عليه السلام لله عزّ وجلّ ٢٨٢
١ ـ مناجاته عليه السلام لله تعالى ٢٨٢
٢ ـ من مناجاة أُخرى ٢٨٣
٣ ـ من مناجاة أُخرى فيها دعاء لشيعته عليه السلام ٢٨٤
٤ ـ دعاء الإمام عليه السلام على المتوكّل ٢٨٥
استجابة دعاء الإمام عليه السلام ٢٩٠

الإمام العسكري عليه السلام

٢٩٣ ـ ٣٠٥

رسالة جامعة ٢٩٥
نصائح قيّمة ٢٩٧
التحذير من النفاق والغضب ٢٩٨
مكارم أخلاقه عليه السلام ٢٩٩

١ ـ الحلم ٢٩٩
٢ ـ قوّة إرادته عليه السلام ٢٩٩
٣ ـ السخاء ٣٠٠
٤ ـ سموّ الأخلاق ٣٠٢
٥ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ ٣٠٢
صلاته ودعاؤه عليه السلام في قنوت صلاته ٣٠٢
دعاء آخر لقنوته عليه السلام ٣٠٤

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه

٣٠٧ ـ ٣١٩

مكارم أخلاقه عليه السلام ٣١٠
١ ـ صبره عليه السلام ٣١٠
٢ ـ زهده عليه السلام ٣١٠
٣ ـ شجاعته عليه السلام ٣١١
٤ ـ صلابته في الحقّ عليه السلام ٣١٢
٥ ـ سخاؤه عليه السلام ٣١٢
٦ ـ إنابته عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ ٣١٣
دعاؤه عليه السلام في قنوت صلاته ٣١٤
دعاء آخر له عليه السلام في القنوت ٣١٦
دعاؤه عليه السلام للمسلمين ٣١٧
دعاؤه عليه السلام للمؤمنين ٣١٨
دعاؤه عليه السلام لشيعته ٣١٩
مصادر الكتاب ٣٢١
محتويات الكتاب ٣٣٧